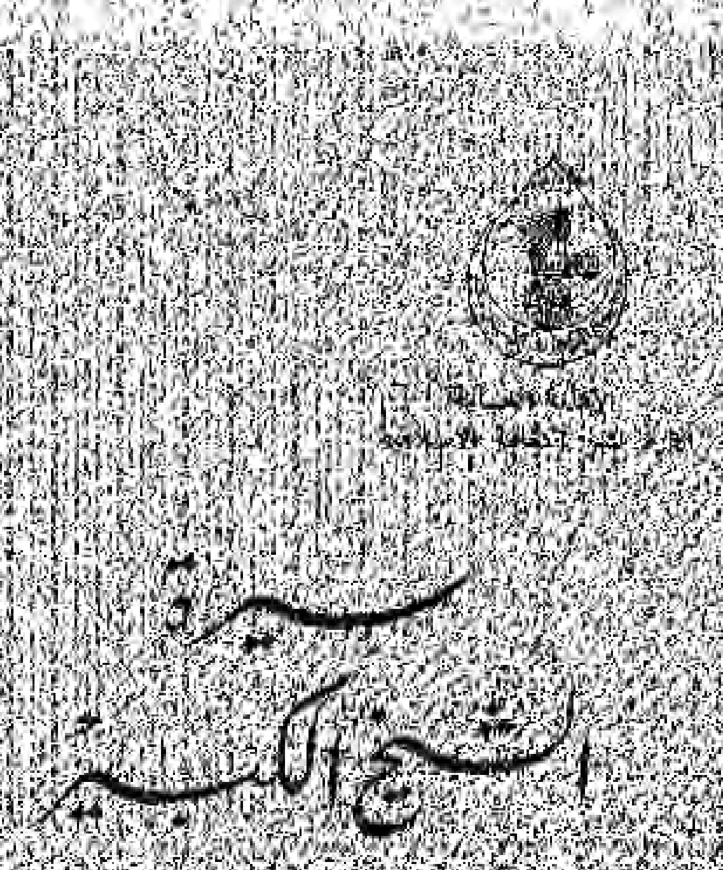


سيرة الشيخ الكبير

أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي



منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET



الأمانة العـامة
ادارة نشر الثقافة الاسلامية

سيرة الشيخ الكبير

"أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي"

ألفها بالعربية : أبو الحسن علي بن محمد الديلمي
ترجمها إلى الفارسية : ركن الدين يحيى بن جنيد الشيرازي

أعاد ترجمتها إلى العربية من الترجمة الفارسية ، وذلك لفقد النص العربي
وترجم مقدمتها من التركية ، وعلق عليها

دكتور / ابراهيم الدسوقي شتا

القـاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

«أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِى الْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» .

صدق الله العظيم

إهـــداء

إلى والدى الجليل الشيخ يوسف محمد شتا

من المهد : استمعت منك إلى كلام الله المجيد

وإلى اللحد : سيظل ما قدمت من أفضال دينا فى عنقى

فإليك . .

أقدم هذا الكتاب ،،

دكتور

إبراهيم الدسوقى شتا

تقـــديم

كان هدفى أن أقوم بكتابة مقدمة لهذا الكتاب ، تحتوى على مصادر حياة ابن خفيف الشيرازى وأعماله ، ولكنى وجدت المقدمة الوافية التى قدّمتْ بها « أنَّا ماريا شميل طارى » لطبعتها على هذا الكتاب كافية بالغرض . فترجمتها عن اللغة التركية – ووضعت فى ذهنى أن أكتب مقدمة عن تاريخ هذا الكتاب ، الذى ألفه فى بداية الأمر باللغة العربية « أبو الحسن على بن محمد الديلمى » فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وترجمه إلى الفارسية فى عهد الأتابك أبى سعيد – أى فى القرن السابع الهجرى – ركن الدين يحيى بن الجنيد الشيرازى ، ولم تبق إلا ترجمته بعد ضياع الأصل العربى ، وهى التى قامت بنشرها « أنا ماريا طارى » فى أنقره سنة ١٩٥٥ ، وصدَّرتْها بمقدمة قيمة عن ابن خفيف فى المصادر العربية والفارسية والأوروبية كما ألحقت بها ملاحق قيمة عن المعلومات التى وردت عن ابن خفيف فى المصادر الأخرى ولم ترد فى السيرة .

لم يبق على إذن إلا أن اكتب عن الديلمى وابن الجنيد الشيرازى ، ولكن المصادر تصمت عن ذكرهما تماما ، بل إن أبا الحسن يَرِدُ فى بعض المصادر القريبة العهد منه مثل طبقات الأنصارى باسم على الديلمى[1] ، كما أنه لايوجد ذكر عن ابن الجنيد الشيرازى ،

في مصدر قط من المصادر التي وقعت تحت يدي . ولا يذكر عن أبي الحسن . إلا أنه كان أحد مريدي الشيخ ابن خفيف . وأنه مؤلف لكتاب عن مشايخ فارس [1] . يستند أيضاً إلى الشيخ ابن خفيف [2] . وكتاب عن الحب الصوفي ذكرته أنا ماري [3] في مقدمتها باسم عطف الأليف العطوف

كما أن المصادر لاتذكر عن ابن الجنيد الشيرازي إلا أنه مترجم السيرة العربية إلى اللغة الفارسية .

بقي لنا إذن أن نتحدث عن قيمة هذا الكتاب الذي يبدو من ظاهره أنه اقتصر على سيرة ابن خفيف . بينما هو في الحقيقة . يتحدث عن بيئة شيراز الصوفية في القرن الرابع الهجري . كما يذكر معلومات لابأس بها عن عدد كبير من الصوفية . الذين لم يحفل بهم كتاب آخر من الكتب التي تؤرخ للتصوف . خاصة الباب الذي يتناول صوفية شيراز الذين عاصروا الشيخ أو تتلمذوا عليه .

وهذه المعلومات صارت فيما بعد نصوصاً لما كتب عن هؤلاء الصوفية في المصادر الأخرى المشهورة . مثل كشف المحجوب للهجويري . وتذكرة الأولياء للعطار . ونفحات الأنس لعبد الرحمن جامي .

ويبدو أن سيرة الديلمي حازت شهرة لابأس بها عند هؤلاء . فإن اسم الديلمي يذكر دائماً منسوباً إليه . كما تذكر هذه السيرة تحت

(٢) انظر حواشي القزويني على شد الإزار ص ٢١

«سيرة ابن خفيف» تارة ، و «مقامات ابن خفيف» تارة أخرى ، ولا جدال فى أن هذين العنوانين يدلان على كتاب واحد .

بقى لى هنا أن أنوه بالمجهود العظيم ، الذى بذلته ناشرة الكتاب ، سواء فى نشر النص الفارسى ، أم فى مقدمتها التى لم تترك فيها صغيرة أو كبيرة عن ابن خفيف .

ولا يقلل من هذا المجهود العظيم ، بعض الهنات البسيطة فى رسم بعض الكلمات الفارسية ، أو العربية ، أو بعض النقاط ، التى كانت تحتاج إلى إيضاح ، ولا شك أن هذا كان من حسن حظى ، إذ وجدت عملا آخر غير الترجمة أقوم به .

هذا وأسأل الله العلى القدير ، أن أكون قد وفقت فى رد بضاعتنا إلينا ، وهى على حالتها الأولى ، أو تقترب من حالتها الأولى

والله ولى التوفيق .

دكتور
إبراهيم الدسوقى شتا
كلية الآداب — جامعة القاهرة

ترجمة المقدمة التركية

ترجمها عن التركية : دكتور إبراهيم الدسوقى شتا

اشتهر عدد من الصوفية الذين عاشوا فى العصر الكلاسى للتصوف الإسلامى – أى فى أواخر القرن التاسع والعقود الأُولى من القرن العاشر الميلاديين – (الثالث والرابع الهجريين) فى الشرق والغرب ، وجذبوا بذلك انتباه المستشرقين .

وقد وفق الحسين بن منصور الحلاج ، والجنيد البغدادى ، والشبلى ، وآخرون غيرهم ، فى اكتساب شهرة مًا فى ظل الآثار العلمية لهم ، والحكايات التى انتشرت عنهم بين الناس .

وبالرغم من ذلك ، فإننا قليلا ما نلتقى نسبياً باسم الشيخ الكبير أبى عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى (٨٨٢ – ٩٨٢ م ٢٦٨ – ٣٧١ هـ) تقريباً ، فى المؤلفات العلمية والأدبية ، فقد ذكره « بروكلمان » فى ملاحق تاريخ الأدب العربى ببضع كلمات .

وبالرغم من أن حياة ابن خفيف الصوفية ، التى ستكون مدار بحثنا الحالى ، لا تغص بكرامات كثيرة ، كما أن الأقوال الصوفية التى رويت عنه ، ليست فى عمق كلمات الجنيد ، أو فى حدة عاطفة كلمات ذى النون وعمق تأثيرها ، إلا أن سيرة هذا الشيخ ، تلقى الضوء على حياة متصوفة شيراز ، وتعرض بعض خصائص بيئة دينية ، تبدى رعاية فائقة ، للتمسك بأشد أنواع الزهد ، والتمسك بالشريعة .

ومن أوائل المستشرقين ، الذين انتبهوا بدقة العلماء إلى ابن خفيف « ف . وستنفلد » فى بحثه عن الإمام الشافعى [(١)] ، فقد ذكر أن ابن خفيف : « قام برحلات طويلة هدف منها زيارة الفقهاء والمتصوفة والزهاد » كما ذكر أنه « قَبِل مذهب الأشعرى الصوفى وعاداته » وأنه « أمضى فترة عند الأشعرى فى دراسة علم الكلام » — كما ذكر شراينر فى مقالة له [(٢)] أنه « كان يشرح دروس الأشعرى بصفته قد شهدها » . وأشار جولد تسيهر ، إلى أن ذكر ابن خفيف بين علماء الشافعية ، منحه مكانة خاصة بين الصوفية [(٣)] .

وإلى نفس الموضوع أشار آمدروز فى مقالة له [(٤)] ، واستناداً على رواية للذهبى (المتوفى سنة ١٣٤٨ م — ٧٤٨ هـ) ، فحواها أن ابن خفيف كان يخالف رفاقه الصوفية ، ويذهب إلى مجالس الحديث متخفيا . ثم ردد ميتز نفس هذه الحكاية [(٥)] ، وروى عنه آمدروز أيضاً حكاية اتهامه بالسرقة ، وانقاذه من إقامة الحد بمحض الصدفة [(٦)] ، وأورد نفس الباحث رواية ثالثة نقلها عن الهجويرى (المتوفى سنة ١٠٧٢ م — ٤٦٥ هـ) ثم تناولها ميتز أيضاً [(٧)] ، وفحواها أن الشيخ الشيرازى تزوج أربعمائة امرأة .

---

(١) Wustnfele (F.), Der Imam Schafei. N. 198.

(٢) Schrieknr, Beitraege Zur Geschichte der Islamischen Theologie ZmMG 52 489.

(٣) Zur Gottesliebe in der Islamischen Theologie, Islam 9,152

(٤) Notes on some sufi lives, J. R. A. S. 1912, 556.

(٥) Die Renaissance des Islam, p. 18

ولجولد تسيهر كتاب قيّم أوقفه على بحث المذهب الظاهرى ، وفيه يدعى على ابن خفيف « أنه لم يكن كثير الاهتمام بأصول المذهب الظاهرى »[١] ، وهذه الفكرة يناقضها ما روى عن ابن خفيف أنه حين عجز عن القيام بالصلاة واقفا ، وأداها قاعدا ، قام بها ضعفاً ؛ ذلك أن ابن خفيف ، يقرر أصول هذه الواقعة بأسلوب ظاهرى ، يخالف المذهب المضاد تماما .

وهذه حالة ظاهرية بحتة . ويمكن أن يكون فى هذا واقعا تحت تأثير مرشده « رويم » الذى يعد من أوائل الظاهرية بين الصوفية . كما ورد فى كتاب آخر لنفس هذا العالم[٢] ، بضع سطور عن ابن خفيف فى الباب الخاص بالزهد .

« ولرودلف هارتمان » كتاب يعالج الرسالة القشيرية[٣] ؛ ومن الطبيعى جداً أن يتعرض بالبحث لكثير من الأقوال المروية عن شيخنا فى الرسالة وهى قدر كبير .

وأكبر اهتمام بابن خفيف ظهر حتى الآن ؛ هو ذلك الذى بدأه « لويس ماسينيون » وذلك لأن الشيخ الشيرازى يعد واحدا من القلائل ، الذين اعتقدوا فى الحلاج وحسن قبوله عندهم ، فى عصر كُفرّ فيه . ففى La passion d,all Hallaj وفى كتبه الأخرى التى خصصها للحلاج والتصوف القديم ، يقدم بعض المعلومات ؛ التى

---

(١) Die zehiriten, p. 112.

(٢) Vor lesungen uber den Islam

(٣) Al-Kuchiaris Darstellung des Sufituvs.

تدور حول ابن خفيف فى كتبه نفسها ، ومن النقاط التى استنسخها من كتب المؤلفين المسلمين ، وبعد ما أورده فى :

Bibliographie HallaJiienne (N. 141) من نصوص مختارة حول ابن خفيف مفتاحا لهذا الموضوع . وفى نفس هذا الكتاب ، يقدم خلاصة لخصائص ابن خفيف ، فهو شيخ الطريقة الخفيفية ، التى سارت على أثرها الطريقة الكازرونية . وهومحَدِّث يبدو قريبا من المذهب الظاهرى ، وهو تلميذ للأشعرى فى الكلام ، كما أنه كان مخالفا بالقطع للطريقة السليمية .

وبعد ذلك يوضح انحياز أبى عبد الله للحلاج ، تجاه الحركات المعادية له . وقد قدر هذا الصوفى الكبير فى جميع النواحى ، ووصفه كعالم ربانى . وإن لم يقبل نظريات التقديس المترتبة على اتحاد اللاهوت بالناسوت ، والتى تقترب من أفكار مسيحية ، كما وضح أن الكرامات التى أظهرها الحلاج ، صادقة طبقا للمذهب الأشعرى ، وأنها من الممكن أن تظهره كولى ، وأن تظهره كساحر ، بحسب تجليات الإرادة الإلهية المنتظرة .

وقد جمع « ماسينيون » مختلف النصوص حول الحلاج فى مؤلفاته [1] ، وفى أخبار الحلاج ، مستندا على سيرة ابن خفيف ، خاصة تلك الأخبار التى رواها مريده ابن باكويه .

---

(١) Essui, Recuil, Akhbar Al-Hallaj.

وعلاوة على ذلك ، فقد أثبت « ماسينيون » فى مقالته عن روزبهان البقلى [١] ، أن الشيخ الشيرازى كان المرشد الروحى للبقلى المتوفى سنة ١٢٠٩م «٦٠٦ هـ» . أمام . وايزويلر » [٢] فقد أشار إلى الشيخ الشيرازى فى معرض إشارته إلى كتاب للديلمى (المتوفى بعد سنة ١٠٠٠م ٣٨٩هـ.) يدور حول العشق الصوفى ويسمى «عطف الأليف المعطوف » ، ويحتوى على أقوال لشيخه ابن خفيف ، وهذا الكتاب الذى سبق ذكره للديلمى تعرض لتدقيق على يد «ريتر» [٣] فبعد أن أشار إلى أنه واحد من الكتب ، التى كتبت عن الحب الصوفى عند ابن خفيف ، أشار إلى المخطوطة كواحدة من أندر المخطوطات ، التى وصلت إلى أيدينا .

وأخيرا فإن « موير » تحدث عن ابن خفيف بالتفصيل فى المقدمة ، التى كتبها على سيرة الكازرونى ، فنشر معلومات مستقلة عن حياته ، ذلك أن الكازرونى طبقا لرؤيا اختار ابن خفيف مرشدا له ، وسلسلة الطريقة الكازرونية تصل إلى ابن خفيف عن طريق الأكار ، وفصل « موير » بعض الروايات المختلطة بشأن هذا الموضوع عن بعضها ، وأثبت الصلات الحقيقية [٤] .

---

(١) J. Pedersen Melange.

(٢) Weisweiler (M.), Die arbischen Handschriften der Universitaetes bibliothek Ounbingen, N. 81

(٣) H. Ritter, Philologica, VII, Islam 21.

(٤) آخر ما كتب باللغات الأوربية عن ابن خفيف فصل فى كتاب : (A.J) Arbery,Shiraz, the city of saints and poets. Cambridge 1960) وقد كان كل اعتماده على الكتاب الذى بين أيدينا (المترجم) .

وأهم مصادرنا عن حياة الشيخ الشيرازى الكبير ، السيرة التى كتبها أبو الحسن الديلمى باللغة العربية، وترجمها إلى الفارسية فى عهد الأتابك أبى سعيد(أوائل القرن الرابع عشر الميلادى – الثامن الهجرى) ركن الدين ابن جنيد الشيرازى،وقد وصلنا نسختان من الترجمة الفارسية للأصل العربى المفقود بعنوان « سيرة الشيخ أبى عبد الله بن خفيف » إحداهما فى مكتبة كويرلو تحت رقم (1589) والأخرى بمكتبة برلين وسيرد ذكرها فيما بعد .

وإلى جوار كتاب الديلمى وصل إلى أيدينا عملان قصيران : أحدهما العقيدة الصحيحة ونسخته العربية فى مكتبة أياصوفيا[١] والفاتح[٢] ، أما ترجمته الفارسية ففى أيا صوفيا[٣] ثم الوصية التى كتبها لمريديه ونسختها العربية ، موجودة فى « توبنجن »[٤] ، أما نسختها الفارسية ، فموجودة فى مكتبة شهيد على باشا[٥] ، والترجمتان الفارسيتان فضلا عن أنهما ترجمتان فهما أيضا شرحان .

ومن المعروف أن الشيخ الشيرازى ، زار الحسين بن منصور فى السجن ، وقد شرحت تفصيلات هذه الزيارة بشكل أسطورى فى كتاب المناقب ، وهذا الكتاب موجود فى برلين[٦] وببعض التغيير

(١) S, 4792, f 746b-748 a.
(٢) 5381.
(٣) 479 z, f. 777 a-784 b.
(٤) Tubingen weisewiler N. 89, 21, f 127 b-128 b.
(٥) Sehitali pasa, 1388, 156 b'159ç b.
(٦) 349, z, Pm11, 553

البسيط فى لندن[١] . وكتاب عطف الألِيف المعطوف ، الذى سبق ذكره للديلمى مؤلف كتابنا هذا ، راجعه ابن خفيف مباشرة لمريده ، والنسخة الموجودة فى «توبنجن» ، لم ينقل منها مع الأسف إلا قليلا من أقوال مرشده ، وقد عرض الديلمى فى بداية هذا الكتاب بعض الأفكار عن كتابين مفقودين ألفهما ابن خفيف فى هذا الموضوع .

وكما ذكر فى كتاب «وستنفيلد» السالف الذكر ، ذكر أيضا فى كتاب «كشف الظنون» لكاتب جلبى[٢] كتابٌ لابن خفيف فى فضل الدعاء وفضل المناجاة ، ومثل هذا الكتاب لم يرد فى قوائم المؤلفات المنسوبة للشيخ ، التى أوردها الديلمى والجنيد الشيرازى .

وتحدث ابن النديم فى الفهرست[٣] عن كتاب نسخه الشيخ بعنوان «كتاب الدبابات والمنجنيقات والمقاعد» وهذه النقطة غامضة إلى حد ما ، وذلك لأننا نعلم أن الذى يشغل نفسه بنسخ كتب الحديث وهذا النوع من المؤلفات ، ليس من المحتمل أن يشغل نفسه بنسخ كتب المنجنيق وآلات الحرب .

وفى فهرست مكتبة مشهد[٤] ، التى استند إليها «بروكلمان» ، كتاب يسمى «أوصاف القلوب» لمؤلف اسمه عبد الله ، يتسرع فى إسناده إلى أبى عبد الله بن خفيف ، ومع ذلك فهذا العنوان أو مايشابهه ، ليسا فى القائمتين الموجودتين لدينا .

---

(١) N. 888

(٢) N 10, 373.

(٣) ص ٣١٥ .

(٤) فهرست كتبخانة مشهد (مجلد ٢ صحيفة ٣٣٣ نمرة ٢) .

والأَخبار المنتشرة عن معلوماتنا حول حياة الشيخ الشيرازى موجودة فى كل كتب التصوف ، خاصة تلك الكتب التى تحتوى على سيرة صوفية العصر الكلاسى .

وهناك مرجع قيم هو كتاب «حلية الأَولياء » لأَبى نعيم الأصفهانى (المتوفى سنة ١٠٣٨ م ٤٢٧ هـ)[١] ، خاصة وقد نقل بعض الأَقوال التى لم ترد عند الديلمى أَو عند الجنيد الشيرازى .

ذلك أَننا من أَجل أَن نُكوِّن فكرة عامة عن ابن خفيف لم ترد فى الترجمة الفارسية لسيرته مضطرون إلى مراجعتها على بعض المراجع الأُخرى التى روت بعض كلماته ، وذلك لأَن المترجم أَخذ بعض الأَقوال التى يفهمها ، ولم يستطع بعض الناس فهمها بالشبهة ، ومن المحتمل أيضا أَلا تأْخذ النسخة الأَصلية — وهى فى غاية الأَهمية — بأَيدينا فى بعض النقاط الهامة .

وإلى جوار حلية أَبى نعيم ، يُشكِّل كتاب السلمى « طبقات الصوفية » مرجعا هاما ، وقد استفدت من مخطوطة هذا المرجع الموجودة فى مكتبة جامعة « ابسالا » والمصورة بالميكروفيلم تحت رقم ٧٩٤ عمومى[٢] ، وبالمقارنة مع الديلمى فإن السلمى قد أَضاف بعض الحكايات التى وردت فيما بعد فى الكتب التى اعتمدت على طبقات الصوفية .

---

(١) مجلد ١٠ ص ٣٨٥ — ص ٣٨٦

(٢) نشر هذا الكتاب منقحا ومزيدا على يد الأستاذ نور الدين شريبة (القاهرة ١٩٥٢)

وبعض النقاط الصغيرة التى لم يذكرها السلمى فى هـذا الكتاب موجودة بالتفصيل فى كتاب « نامه دانشوران » فى الجزء الذى يتحدث فيه عن ابن خفيف ، وهو مطول عن التلخيصات التى نقلها السلمى .

ومن أهم الأعمال التى اعتمـدت على السلمى كتاب طبقات الصوفية لأبى عبدالله الأنصارى الهروى ، ومعظم ما ورد فى هذا الكتاب موجود فى نفحات الأنس لجامى . وقد قرأت كتاب الأنصارى عن مصور لمخطوطة وجدها الأستاذ ريتر فى نافذ باشا تحت رقم ٤٢٦ [١]

وقد أخذ جامى (المتوفى سنة ١٤٩٥ م ـ ٨٩٨ هـ) كل الأخبار التى أوردها عن ابن خفيف كلمة كلمة من الأنصارى [٢] ، ولكنه أتمها بالأخبار التى أوردها كتـاب الديلمى ، فلم ينقل الأخبار الخاصة بابن خفيف فحسب ، بل نسخ الأخبار التى تتصل بالمتصوفة الموجودين فى شيراز فى زمانه ، وقد ضمّن كتابه بعض الأفكار الكثيرة المتعاقبة من كتاب الديلمى خاصة البابين السابع والثامن والتى لم تذكر فى المصادر الأخرى عن بعض المتصوفة المشهورين . (على سبيل المثال معلوماته عن أبى محرز و أحمد بن يحيى والأشنانى) [٣] .

---

(١) طبع هذا الكتاب و نشر باهتمام عبد الحى حبيبى (كابلى سنة ١٣٤١ هـ . ش) .

(٢) انظر نفحات الأنس ص ٢٣٥ — ص ٢٣٦ . الطبعة الجديدة بتحقيق مهدى توحيد بور طهران سنة ١٣٣٦

(٣) انظر نفحات الأنس ص ٢٤٠ ، ص ١٤٤ ، ص ١٩٨ على التوالى .

وفى الكتاب المسمى بطرائق الحقائق – الذى يعتمد على نفوذ ابن خفيف ، والذى روجع على كتاب جامى ونقل منه – بعض الحكايات التى لا توجد فى مرجع آخر ، وقد اتخذت سيرة الشيخ عنده مكانا كبيرا ، ومن المحتمل أنه لم يرد فى مرجع آخر ، وذلك لأن هذه الحكايات تشكل معلومات متكاملة ، ولم تدخل فى كتاب ابن الجنيد لسبب أو لآخر .

والرسالة القشيرية مرجع مفيـــد بالنسبة لدراسات أقوال ابن خفيف ، وقد خصص للشيخ بابا [(١)] ، كما أن كلماته منتشرة فى أبواب الكتاب المختلفة (الفقر التوكل إلى آخره) .

أما الهجويرى فى كتابه الكبير كشف المحجوب فقـــد درس الشيخ الشيرازى فى باب خاص [(٢)] ، والمعلومات التى أوردهامطابقة فى بعض فقراتها لما أورده العطار ، خاصة الرواية التى ذكرت فى شأن ابن خفيف وتزوجه أربعمائة امرأة ، فهى لم ترد إلا فى هذين المرجعين . وبأستاذية ذكر الهجويرى طريقة ابن خفيف حينما كان يشرح الحضور والغيبة [(٣)] .

أما بالنسبة للعطار (المتوفى سنة ١٢٢٠م–٦٢٧ هـ)فقد جمع كل ما وصل إلى يديه من معلومات عن ابن خفيف بانتباه وكدح [(٤)] ،

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٣٧ ، ص ٣٨ من طبعة مصر سنة ١٢٨٤

(٢) كشف المحجوب ص ١٩٩

(٣) نفس المصدر ص ٣١٧ - ص ٣١٩

... ١٣٠ – ص ١٣١

ولأنه قرأ اسم الشيخ على أصوله الفارسية فهم أن «خفيفا» لقب له ، فجاهد فى شرح معنى هذا اللقب . وبقدر ما جمع فى هذه الدراسة من أساطير وخيالات لا بأس بها فقد ابتعد عن المعلومات التاريخية الموجودة فى المراجع الأخرى ، فأخذت دراسته هذه شكل الأسطورة أو الحكاية . فما أشير إليه بجملة أو جملتين فى المصادر السابقة ورد فى كتابه فى صورة حكايات مفصلة وبعض هذه الحكايات لا أساس لها فى مصادر أخرى .

وبالرغم من ذلك فقد تناول أقوال الشيخ بشكل موثوق به ، بحيث إن كل قول له ما يشابهه فى المصادر الأخرى بالعربية أو بالفارسية.

وكل روايات العطار موجودة فى كتاب معصوم على شاه « طرائق الحقائق » ، فى الفصل الذى خصصه لابن خفيف[1] ، وقد تناول بطريقة أكثر معقولية الحكايات التى تتحدث عن زيجات ابن خفيف الكثيرة ؛ فهى أقرب إلى الحقيقة مما هو موجود فى تنقيح نيكلسون على التذكرة .

وهناك مصدر آخر ملىء بالمعلومات عن ابن خفيف . وهو كتاب الجنيد الشيرازى « شد الإزار » ؛ فهذا الكتاب المؤلف سنة ٧٩١ هـ ملىء بروايات مفصلة عن العلماء والأولياء المدفونين فى شيراز ، ومادام من الطبيعى أن يعطى معلومات حول أولياء شيراز المحليين فقد وضّح بدرجة كافية بعض المعلومات حول أم الشيخ ووالده وخدمه وأصدقائه.

---

(١) الجزء الثانى من تذكرة الأولياء ص ٢١٢ - ٢٢٤

ومما زاد فى قيمة هذا الكتاب الملاحظات القيمة الخاصة بالسير ، والتى أضافها إلى هذا المؤلَّف ناشراه العالمان محمد عبد الوهاب القزوينى وعباس إقبال .

وبالرغم من ذلك فإن المعلومات التى احتواها كتاب الجنيد الشيرازى عن ابن خفيف ليست بأكثر مما ورد فى كتاب الديلمى —وهو يعتبر الديلمى أهم مصادره — ، فقد كان كتاب الديلمى موجودا ومتداولا فى شيراز فى ذلك الزمن ، كما نعلم فى مقدمة ترجمة الجنيد الشيرازى الفارسية .ولكن هذا الكتاب يؤكد معرفتنا لبعض الشخصيات التى لعبت أدوارا صغيرة فى حياة الشيخ ، كما يؤيد بعض الروايات التى وردت عن الجنيد الشيرازى مترجم السيرة .

ويعتمد كتاب شيراز نامه الذى كتبه زركوب الشيرازى فى منتصف القرن الرابع عشر على الروايات المذكورة فى شد الإزار وهو لا يعد من مصادرنا المعتمدة ، لأنه يخلط فى التواريخ ، ولأنه ساق عن ابن خفيف ومعاصريه فصلا قصيرا بشكل لم يتحرَّ فيه الدقة .

وتوجد فى مكتبة كلية اللغة والتاريخ والجغرافية بجامعة أنقره مخطوطة مسجلة تحت رقم « إسماعيل صائب (3575) » وهى باللغة العربية ، وتحت عنوان «طبقات الصوفية » ، وهى تتيح لمتننا هذا بعض المقارنات الطيبة ، وهى باسم عبد الله بن يحيى بن محمد الا الشافعى .

وللمؤلف أيضا مخطوطة تحت عنوان « طبقات الفقهاء » أنهاها فى العاشرة من ذى الحجة سنة ٨٧٩ هـ — ١٤٧٤ م ، وكتاب الطبقات

هذا يستفيد من السلمى والقشيرى وابن عساكر وابن الجوزى والسمانى ، ويرتب الطبقات ترتيبا أبجديا ، وتبدأ بإبراهيم ، أحمد . . . . . إلى آخره وما بقى من المخطوطة يبلغ مائة واحدى وثلاثين ورقة من الكاغد الأصفر ، ولم تعد صفحاتها حتى الآن وهى طبقا للفهرسة خمس وسبعون ورقة . ويتحدث المؤلف عن تاريخ حياة الشيخ بالتفصيل ، ولأنه يروى لنا أجزاء لم ترد فى مصدر آخر لابد أنه كان قد وضع تحت أنظاره الأصل العربى لكتابنا هذا ، وعلى هذا فقد حافظ بشكل جيد على بعض مواضع السيرة العربية كما تلقاها ، ولأن متن هذه المخطوطة [شديد القرب من النصوص التى أوردها السبكى والذهبى] فيمكن القول أنهم جميعا اعتمدوا على أصل عربى واحد .

وإلى جوار كتب الطبقات التى خصصت أبوابا مستقلة لابن خفيف فقد تناولته بالبحث الكتب الأخرى التى تبحث فى التصوف .

ومع ذلك فإن هذه الكتب لا تضيف إلى معلوماتنا إلا القليل حول حياة الشيخ ومذهبه ؛ وذلك لأنه لم يبلغ من الشهرة ما بلغه معاصروه الكبار .

فلم يقدم المكى (المتوفى سنة ٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م) فى كتابه قوت القلوب ولا الكلاباذى (المتوفى سنة ٣٧٩ هـ - ٩٩٠ م) فى كتابه التعرف معلومات كثيرة عنه ، وذلك لأنهما عاشا فى زمن قريب جدا من ابن خفيف[1] .

---

(١) كتب آربرى فى الترجمة التى قام بها على الكلاباذى تحت عنوان :

The Doctorine of the Sufis.

اسم الشيخ خطأ فى موضع : أبو بكر محمد بن خفيف .

أما أبو النصر السراج (المتوفى سنة ٣٧٨هـ — ٩٨٨) فبالرغم من أن الشيخ الشيرازى مرشده إلا أنه لم يذكر الشيخ فى كتابه اللمع إلا مرة واحدة، وفى موضع ليس على جانب كبير من الأهمية [١] وفى مقابل ذلك فقد اتخذت أقوال ابن خفيف وبعض الروايات التى تدور حوله خبرا فى كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالى . وعلى سبيل المثال فى باب الفقر وباب المراقبة ؛ وبالرغم من أنه رواها دون ذكر اسم الشيخ. أما بالنسبة للحكاية الموجودة فى باب المراقبة فهى لا توجد عند الديلمى .

وإلى جوار ذلك ؛ فهناك ذكر لبعض الأمثلة القصير عن الشيخ الشيرازى فى كتاب الكفوى (المتوفى سنة ١٥٨٢م) ٩٩٠ هـ) «أعلام الأخبار» [٢] . وفى كتاب السهروردى «آداب المريدين» [٣] . كما احتوى على بعضها كتاب عبد القادر الجيلانى «الغُنية» . ولا شك أنه توجد فى كل المصادر الصوفية التى غابت عن أنظارنا حتى الآن أقوال لابن خفيف أو روايات منسوبة إليه ؛ وبالرغم من ذلك فنحن واثقون فى أنها لن تغير كثيرا فى أفكارنا ومعلوماتنا عن الشيخ .

وفى كتاب اليافعى (المتوفى سنة ١٣٦٦ م ٧٦٧ هـ) الذى يحتوى على حكايات الأولياء — والمسمى «روض الرياحين» —

---

(١) ص ٢٩٨ .

(٢) مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٣٢٤٦

(٣) مكتبة استانبول تحت رقم ١١٣٦

يتحدث المؤلف عن سياحة مثيرة قام بها الشيخ إلى أولياء فارس ، ونحس المؤلف فى كتابه عن التاريخ « مرآة الجنان[1] » يذكر هذه الرواية دون أن يضيف إليها شيئا ، إلا أنه كتب أخبارا متناقضة .

وإلى جوار ذلك ، فهناك عدو التصوف القدير الفقيه الحنبلى ابن الجوزى (المتوفى سنة ١٢٠٠ م ٥٩٧ هـ) ، ففى كتابه المسمى « تلبيس إبليس » ، قدم تفسيرات خاصة لحكايات رواها عن ابن خفيف ، كما قدم أمثلة سيئة لبعض الرياضات المستكرهة . والتصرفات المخالفة للسنة ، ثم هاجمه باستخفاف وتجريح شديدين وهو أيضا المرجع الوحيد الذى وردت فيه حكاية تحتوى على اجتماع المريدين بعد جنازة ، واختلاطهم بالنساء . . . .

وقد قدمت كتب التاريخ العربية والفارسية أخبارا عن ابن خفيف . وذكرت وفاته فى حوليات الطبرى التى نشرها دجويجى[2] . كما تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل[3] ، ويُظهر الخطيب البغدادى فى المجلد الثامن من تاريخ بغداد[4] اسم ابن خفيف وشخصيته خاصة عند حديثه عن دعوة الحلاج . وخصص ابن عساكر فى « تبيين كذب

---

(١) مجلد ٢ ، ص٢٩٧ .

(٢) ص١٠٨ .

(٣) حـ ٩ ، ص ١٢ .

المفترى » فصلا كبيرا عن الشيخ الشيرازى [(١)] : كما قدم السمعانى فى كتابه « الأنساب » بعض الملاحظات القصيرة بشأن ابن خفيف وأساتذته وطلبته فى مجالس الحديث .

أما الذهبى فى كتابه العظيم «التاريخ» فقد أعطى لشيخنا مكانا كبيرا وذكرا طويلا [(٢)] ، وأهم مراجعه «طبقات السلمى». وإلى جوار السيرة فنحن مدينون بأكثر المعلومات تفصيلا ودقة للسبكى (المتوفى سنة ١٣٧١ م ٧٧٢هـ) ، فى طبقات الشافعية [(٣)] لم يقدم بعض الحكايات التى عرفتنا ببعض أحوال الشيخ فحسب (مثل دخل الشيخ) وأول ماقرأ العلم ، والتحدى الذى دخل فيه مع البرهمى ؛ بل نقل أيضا بعض أقوال الشيخ التى يمكن مقارنتها مع الحلية والقشيرى بغية تثبيتها .

وعلاوة على ذلك ، فقد احتوى على المقطوعة السجعية الجميلة التى كتبها ابن خفيف ؛ وتدور حول اشتراكه فى مجلس درس الأشعرى بالبصرة .

أما ابن العماد فى كتابه فى التاريخ « شذرات الذهب [(٤)] فقد قدم فى أخبار سنة ٣٧١هـ ٩٨٢م خلاصة

---

(١) ص ١٩٠ — ص ١٦٢

(٢) الذهبى مجلد ٣ ، ايا صوفيا ٣٣٠٨

(٣) مجلد ٢ ، ص ١٥٠ - ص ١٥٩ .

للأخبار التى وردت عند السبكى ، كما أن هذه السّنة صارت مقبولة عند معظم المؤلفين كسنة وفاة ابن خفيف .

ولم ينس المؤرخون الإيرانيون الحديث عن مواطنهم ، فذكره حمد الله مستوفى القزوينى فى كتابيه « تاريخ كزيده »[1] ونزهة القلوب[2] » بتقدير كبير . كما جعله خوندمير فى كتابه المسمى « حبيب السير » موضوعا للحديث ، ولكنه استنادا على رواية غير صحيحة منسوبة إليه ، وعلى بيت شعر نقله عن ابن الجنيد الشيرازى أورده فى المقدمة ، فقد أدخله فى باب الشعراء[3] ، فى حين أننا نستطيع أن نقول أنه بالرغم من مزاياه وفضائله السالفة ، فهو بعيد جدا عن الشاعرية . وبالرغم من ذلك ففى كتاب « نامه دانشوران »[4] الذى اعتمد على خوندير يوجد نفس الوصف ، كما ازداد عدد الأبيات التى نسبت إليه ، وإلى جوار ذلك فالمعلومات الأخرى الواردة فى هذا الكتاب والتى اعتمد فيها على جامى ثابتة وموثوق فيها .

كما لم ينس الجغرافيون أيضا هذا الأمر ، فقد مدح ياقوت الشيخ أثناء حديثه عن شيراز فى كتابه

---

(١) ص ٧٨٢ ؛ ص ٧٨٣ .

(٢) ص ١١٦ .

(٣) المجلد الثالث الباب الثانى ص ٦٣ .

(٤) المجلد الثانى ص ٤٤٤ .

« معجم البلدان » [١]. كما ذكره القزوينى فى كتابه « آثار البلاد » باختصار فى موضعين [٢]، والمعلومات التى يذكرها ناصرى فى المجلد الثانى من كتابه « فارس نامه » [٣] لاتضيف إلى معلوماتنا جديدا .

وفى إطار سيرة الديلمى ، وأطرف حكاية وصلتنا عن الشيخ خارج السيرة تلك التى رواها ابن بطوطة [٤] (المتوفى سنة ١٣٧٧ م ٧٧٨ هـ) ، يصف هذا الرحالة مزار ابن خفيف بأنه مكان مقدس يحج إليه الكثيرون . ويذكر أن الشيخ ذهب فى تجواله حتى جزيرة « سرنديب » ويجعله بطلا لحكاية مشهورة من حكايات السندباد . فبينما كان يتجول هو وأصحابه فى غابات الجزيرة ، ذبح الرجال الجياع فيلا صغيرا . وبعد أن أكلوا لحمه ، أتى الفيلة الكبار وانتقموا لأكل صغيرهم . ولكن الفيلة ممتنة للوحيد الذى لم يأكل من لحم الفيل الصغير — وهو ابن خفيف — حملته وذهبت به إلى العاصمة ، وبعد أن غاص فى النهر أخرج مجوهرات قيمة وقدمها للملك . وليس فى الإمكان تحريف أكثر من هذا لصورة ابن خفيف الزاهد المنصرف عن الدنيا .

---

(١) مجلد ٣ ص ٣٥٠ .

(٢) ص ١١٢ ، ص ١٤١ .

(٣) ص ١٤٢ ، ص ١٥٨ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : جـ ١ ص ١٣٣ - ص ١٣٤ من طبعة مصر .

فإذا ضممنا كل المعلومات التى ذكرت فى كافة المصادر عن ابن خفيف إلى بعضها من الممكن أن نرسم حياته على الوجه التالى :

هو أبو عبد الله محمد بن خفيف (وعند البعض ابن خفيف) بن اسفكشاد الضبى . وهو ابن أحد القواد الديالمة ، جاء من كلاشم ، وفى نيسابور ترك الجندية بعض الوقت وتزوج من ابنة إمام الطائفة الكرامية ؛ وذهب أبوه مع الأمير الصفارى عمرو بن الليث إلى شيراز (حوالى سنة ٨٨١ م ٢٦٧ هـ) ؛ وهناك ولد محمد . وحينما عاد عمرو ابن الليث إلى خراسان (سنة ٨٨٣م ٢٦٩ هـ) ؛ كان محمد — طبقا لروايته نفسه — فى الشهر الثامن من عمره ، فمن المحتمل أن يكون مولده على كل حال سنة ٢٦٨ هـ — ٨٨٢ م .

كانت كنيته أول الأمر أبا الحسين . وعرف بهذه الكنية عند أصدقائه الشيرازيين القدامى وعند جند أبيه[(١)]

وكانت والدته — التى انحدرت من بيئة دينية — امرأة طاهرة جدا . عميقة الروح . ويخصص لها كل من الجنيد الشيرازى فى كتابه « شد الإزار[(٢)] » وجامى فى « نفحات الأنس[(٣)] » بابا مستقلا . وأغلب الأمر أن هذه السيدة تركت أثرا عميقا فى طفلها الوحيد محمد .

(١) السيرة باب ١ - فصل ١ - باب ٣ - فصل ٢ .
(٢) ص ٢٦٨ ص ٢٦٩ .
(٣) نفحات الأنس : ص ٦٢٢ .

أمـا بالنسبـة لأبيـه وقد عـاد إلى الجندية فـكان يعود إلى المنزل ثملا فى بعض الأحيان [١] وهو يبدى الدهشة لميول طفله الدينية .

وقد رفض ابن خفيف أن يبدل الخرقة التى ألبسته إياها أمه بالخرقة التى قدمها إليه الصوفى البغدادى الكبير ابن عطاء ، مبينا تبجيله لأمه ، وكان هذا تصرفا غاية من الحسن مدح عليه كثيرا [٢] .

وبينما كان الابن قائما ينتظر المعجزات ذات ليلة شرفت أمه بتجل عظيم جدا [٣] . وبالنسبة لهذا الأمر فقد كان يستطيع أن يقدر قيمة أمه جيدا ؛ وقام ابن خفيف حينما كان ذاهبا إلى الحج للمرة الرابعة ، باصطحاب أمه عن طريق البحر [٤] .

أما بالنسبة لطفولة ابن خفيف فالروايات مختلفة ؛ فطبقا للروايات التى يرجحها الديلمى كان الفقر والحاجة يحكمان بيته ؛ وذات يوم وقد عاد الابن متألم القدم ، أرادت الأم أن تذيب بعض الشحم لتدهنه به ، وحينما أشعلت الموقد لم يكن فى المنزل قطعة حطب واحدة [٥] ، وكان ابن خفيف قد وقف حافى القدمين فى الثلج يستمع إلى حديث مرشده ؛

---

(١) السيرة باب ٢ ـ فصل ٢ .

(٢) السيرة : باب ٦ ـ فصل ٧ .

(٣) ١٠ ـ ١٣ ، نفحات ص ٦٢٢ ـ ٢٣ شد رقم ٢٢٤ .

(٤) سيرة ٣ ـ ٢ ، ٤ ـ ٢٣ .

(٥) سيرة ب ٢ ف ٢ .

وعند بقدمه لى تلك الحال . وبعد هذه الحادثة منعه مرشده مؤمل الجصاص من رياضة التجول فى الثلج بقدم عار ، فليست هذه المرتبة من مقامات الغلمان .

وأظهر ابن خفيف منذ طفولته شغفا شديدا بمزاولة الزهد والرياضة ، وبينما كان طفلا بايعه صوفية شيراز ، وبشره الشيخ أحمد بن يحيى الذى انتسب إليه أولا بمستقبل باهر فى طريق التصوف لكمال طاعته[1]

أما الهجويرى[2] والأنصارى والعطار والمصادر التى اعتمدت عليهم ، فتذكر أن ابن خفيف كان من أبناء الملوك ، وأن الله منحه التوبة فهجر الدنيا ، وهذه الحكاية أنموذج مشهور. وحادثة تقابل فى كل دين (وأشهر مثال لها فى التصوف إبراهيم ابن أدهم ، وفى الهند بوذا ، وفى المسيحية فرانز الأسيسى . وهلم جرا) وقد ذكر تعبير أبناء الملوك هنا غالبا ، لأن أباه كان من الضباط. ومن طبقة الحكام الديالمة .

وبالرغم من ذلك ، فطبقا للديلمى ورواياته فإن هذه التوبة وهجر الرفاهية حالة لم تحدث بعد شبابه ، بل كانت حالة روحية موجودة منذ طفولته ، فمنذ طفولته وهو يثير الدهشة فى البيئة المحيطة به بتدينه[3] .

---

(١) سيرة ٢ ـ ف ١ . s 75 b

وإذا نظرنا إلى مافصّله الديلمي عن حياته اليومية نحار من حماسة هذا الطفل التي لاتنتهي ولا تنفد ، ومن الإخلاص الذي أبداه في قيامه بكل الفرائض والسنن الدينية ، وبالرغم من أنه شغل من ناحية بإيفاء الفرائض الدينية وقراءة الحديث ، كان يكسب من ناحية أخرى مايقيم عيشه من حرفة ، وقد هجر الطعام والشراب كلية . فكان يفطر على حفنة من العنب[1] أو كف من الباقلاء .

كما أنه لم يتخير مكانا للنوم قط ، لقد نشأ نفسه على أداء الطاعات كما يقول السبكي[2]

ومعلوم أن القسم الأعظم من متصوفي ذلك العصر كان يزاول حرفة ما لكسب المعاش[3] ، وقد أشار « ماسينيون » أن ألقاب الصوفية توضح الحرف التي كانو يزاولونها مثل الحلاج ، الخزاز ، الرقّام ، القواريري ، المزين وهلم جرا[4] ، وبقي ابن خفيف مخلصا لهذه العادة ، وقد ترك الحرفة الأولى التي تعلمها ، وهي صناعة الفلكات لأن معلمه كان يستعمل العظام النجسة ، ثم كانت الحرفة الثانية هي حرفة القصارة ولكنها كانت قاسية بالنسبة لصبي يصوم دائما ، ثم اشتغل

---

(١) سيرة ١ - ١٠ رسالة ص ٨٩ ، طرائق ٢ - ١٢٥ ، سبكي ٢ - ١٥٢ ، تلبيس ، ص ٢٠٩ .

(٢) ٢-١٥١ .

(٣) انظر موير : الكازروني المقدمة ص ١٨ .

(٤)

passion, p. 83, Not. 3.

بصناعة الأحقاق بوصية من مرشدة . وبها استطاع أن يقيم أوده هو وأمه [١] وطبقا لإشارة النسخة (B) فإنه بتوصية من الزاهد الكبير العتايدى كان يكسب معاشه بصناعة النسخ ، وإلى هذا تشير الحكاية الواردة فى الفصل الثالث من الباب الثالث — كما تبينها إشارة ابن النديم — إلى الكتاب الذى نسخه ، ومع ذلك فقد وصلنا هذا الامر مبهما ، وربما أخطأ المترجم فيه . وبجوار صناعة الأحقاق نعلم أنه كان يقوم بنسخ الأحاديث ، وكان قسم كبير من النقود التى يكسبها ينفقه فى ثمن الكاغد .

وفى شبابه ، خرج ابن خفيف للسياحة ، وقد ذهب إلى الحج عدة مرات ، لانستطيع أن نجزم بأنها كانت أربع مرات أو ست مرات . وفى المرة الأولى وكان قد ناهز البلوغ ذهب بالسفينة إلى جدة [٢] . وبالرغم من شبابه فقد شرف بحضور مجلس كبار الصوفية فى جبل أبى قبيس [٣] .

وفى سياحة أخرى جاء إلى القدس ، وهناك اتهم بالسرقة فى دكان صباغ ، وقبل أن تقطع يده ببضع دقائق أنقذ ، لأن ضابطا من معية أبيه القديمة — وكان حاكما للمدينة — قد عرفه [٤] .

---

(١) سيرة ٢ - ٦ .

(٢) سيرة ٢ - ١ .

(٣) سيرة ب ٧ - ف ٢٢٠ .

(٤) سيرة ب ٣ - ف ٢٠ ، وهناك إضافة تتمة لهذه الحكاية عند الذهبى ١٢٨ والسبكى ٢ : ١٥٣ .

ولهذا الابتلاء وردت إشارات إلى وجوب عدم سياحة الصوفى الشاب منفردا ، بل عليه أن يقوم بالسياحة مع إخوانه من الصوفية الآخرين .

ولم يتحدث الديلمى فقط ، بل تحدث الغزالى والعطار والسبكى [١] عن إقامة ابن خفيف فى مصر قبل سياحته فى الشام ، وأثناء مغادرته لمصر كان فى نيته لقاء الشيخ أبى على الروزبارى . وطبقا للانصارى وأبى نعيم وجامى [٢] فإنه قابل فى دفعة واحدة شيخين من كبار صوفية الشام هما أبو عمرو الدمشقى وطاهر المقدسى ، فى حين أن القسم الأكبر والموثوق به من المصادر ، لم يتحدث عن مثل هذه الحادثة ، وبالنظر إلى كل معلوماتنا ، فليس هذا اللقاء محتملا جدا . والعطار هو الوحيد الذى أشار إلى سياحة للشيخ فى الأناضول ، وقدم فيها معلومات أسطورية [٣] .

وقد سبق ذكر الحكاية التى رواها الرحالة الذى جاب الدنيا ابن بطوطة عن رحلة للشيخ إلى سرنديب ، وقد رواها بمناسبة زيارته لقبره [٤] ، ومع ذلك فسياحة سرنديب هذه لم يروها الديلمى ولا غيره .

ومن الواجب إذن ألا يلتزم بالتعبير الشاعرى الذى تحدث به السبكى عن ابن خفيف بأنه «سياح الشرق والغرب» ،

---

(١) إحياء : ٤ - ٣٦١ . والعطار تذكره ، ٢ - ١٢٧ ، والسبكى ٢ - ١٥٣ .

(٢) نفحات : ص ٢٣٥ ، طبقات : ص ٤٥٥ ، حلية ١٠ - ٣٨٥ .

(٣) تذكرة : ٢ - ١٢٧ .   (٤) ابن بطوطة : ص ١٣٣ ص ١٣٤ .

ولكن السلمى والسبكى – الذى أعتمد عليه – أوردا حكاية عن تحديه لبعض البراهمة تظهر احتمالا بأنه ذهب إلى الهند . ومما هو معروف أن الحلاج هو الآخر ذهب إلى الهند .

والتاريخ الثابت الوحيد فى سياحات ابن خفيف هو سنة ٣٠٠ هـ ٩١٢ م ، ففى هذا التاريخ كان فى البصرة أثناء عودته من حجة ، يتابع دروس أبى الحسن الأشعرى فى الحديث ، ذلك الأشعرى الذى بدأ معتزليا لفترة قليلة ، ثم انفصل عن المعتزلة ، وأبدى معتقداته الخاصة .

وفى هذا الخصوص نقل السبكى رواية ابن خفيف لها على وجهين ، وتعد وثيقة قيمة لأقدم مجالس درس الأشعرى (١)

ومن المحتمل أن يكون دخول الصوفى الشاب «بغداد» قد أعقب هذا . وهنالك عقد بعض الصلات ، خاصة مع الصوفى الشهير رويم (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ٩١٥ م) ، والوصية التى أوصاها لابن خفيف موجودة فى كل كتب التصوف (٢) .

ورويم هذا أبدى فى الظاهر قليلا من الاهتمام بالزهد والتصوف فى نظر الصوفية المتشددين فى الزهد ، ولأنه اغتنى فى شيخوخته كان يبدو بدعا فى البيئة المشار إليها ، ولكن ابن خفيف صحب «رويما» بالرغم من تحقيرهم إياه .

---

(١) طبقات ٢ - ٢٧٧ ، ١٥٥ .

(٢) سيرة ٦ - ٥ ، أنصارى : ص ٣١٩ ، طبقات السبكى ٢ - ٦٧ ، قشيرى ص ٢٧ تلبيس ص ١٨٨ ، حلية ١٠ - ٢٩٧ ، نفحات ص ٩٦ ، طرائق ٢ - ١٩٨ ، نامه ٢ - ٥٢٠ ، شيراز نامه ٩٦ وعنده منسوبة لابن خفيف .

وفى هذا الوقت لم يلتق ابن خفيف « بطاووس الفقراء » – أى الجنيد –، وهذا طبقا للروايات المعتمدة . ولكن الروايات الخاصة بهذا الأمر مضطربة .

وهناك حكاية تبدو أقرب إلى الصحة رغم أنها لم ترد عند الديلمى [١] . وفحواها أن ابن خفيف التقى فى طريق جبلى بابن بندار ، (أو بالجريرى عند السلمى) ، فأعطاه حق التقدم قائلا : « لأنك رأيت الجنيد ولم أره أنا » . ويدعى العطار أن ابن خفيف التقى بالجنيد . [٢] وهناك فى أخبار الحلاج [٣] فقرة تتحدث عن مناقشة جرت بين هذين الصوفيين حول عقيدة الحلاج . ومن الواجب ألا تعد هذه شهادة قيمة .

أما الثابت فهى الروايات التى وردت حول هذا الموضوع فى « شيراز نامه [٤] » . ونستطيع أن نسلم بقبولها ، وفحواها أن ابن خفيف رأى الجنيد فى بغداد بعد أن حج للمرة الثانية ، وحينما عاد إلى بغداد بعد أن حج للمرة الثالثة كان الجنيد قد توفى ، وزيارته هذه حدثت سنة ٣٠٠ – ٩١٢ ، لأن الجنيد توفى سنة ٢٩٧ – ٩١٠ .

ومن جهة أخرى فإن الحكاية التى ذكرها العطار [٥] والسبكى [٦] التى تتحدث عن احتمال انبثاق الماء من الرمل لو صبر ابن خفيف ، لم يذكر فيها اسم الجنيد عند السلمى أقدم مصادرها [٧] . وعلى

---

(١) نفحات : ص ١١٥ (٢) تذكرة ٢ - ١٢
(٣) Receuils - 60 - N, 7
(٤) ص ٩٩ (٥) تذكرة ٢ - ١٢٦ (٦) طبقات ٢ - ١٥٢
(٧) طبقات السلمى : غير موجوده فى نسخة القاهرة .

كل حال فابن خفيف قابل فى بغداد « رويما » فقط. والجريرى خليفة الجنيد ، وربما يصح القول بأنه تلقى الخرقة عنهما ؛ وفى رأى أنه تلقى الخرقة عن الجريرى [1]، وفى رأى آخر عن « رويم » [2].

والسلسلة الصوفية التى أوردها صاحب الرأى الأخير ، [3] تصل ابن خفيف بالجنيد عن طريق « رويم » وما يخالف هذا الموضوع بالنظر إلى ما سبق من نقاط ما ورد فى كتاب طرائق الحقائق [4] إذ يتحدث عن علاقات مباشرة بين الجنيد وابن خفيف . ولكن والأمر كذلك يستطيع صمت الديلمى التام عن هذا الموضوع أن يؤيد رأينا ، فأى كاتب سيرة لايقدم بامتنان على نقل صلات موجودة بين الشخصية التى يؤرخ لها مع أشهر الرجال فى عصرها فى ميدانها ؟ فمثل هذه النقطة ، كان ليكتب فيها بأكبر تفصيل ممكن .

وليس فى الأمكان القطع برأى فى هذا الموضوع ، ولكننا نستطيع أن نقول بغير تردد أن أفكار الجنيد قد تركت تأثيرا عميقا فى أقوال ابن خفيف ، خاصة فيما يتعلق بأقواله حول الحب الإلهى .

وفى بغداد التى كانت تعتبر مركز التصوف فى هذا العصر ، التقى ابن خفيف بابن عطاء ، وتناقش معه فى مبدأ من المبادئ المشهورة فى ذلك العصر ، وهو « أن الأغنياء أفضل من الفقراء » . ومثل كل معاصريه عارض ابن خفيف هذا الرأى فى مناقشة مع ابن عطاء :

---

(١) شد : ٤١

(٢) شيراز نامه : ٩٥

(٣) المرجع السابق : ص ١٠٨

(٤) حـ ٢ ، ص ٢١٢

بل اتهمه بأنه حرف الحديث[1] . أما ابن عطاء — وقد أعجب كثيرا بذهن الشيخ النارى الحاد — فقد مدحه كثيرا ، ولم يستطع أن يمنع نفسه من كتابة نص هذا المدح بالرغم منه[2] .

وفى إحدى مرات قيامه بالحج . استفاد ابن خفيف من صحبته للعالم الشيرازى أبى زرعه[3] . وفى مكة تعرف على أشهر صوفية زمانه ، وهناك فى بغداد « احتسى كؤوسا مترعة من ينابيع الطريق الصوفى »[4] .

وأكثر اللقاءات التى قام بها فى بغداد إثارة ذلك اللقاء الذى كان مع الحلاج . وطبقا لشهادة كافة المراجع . زاره ابن خفيف فى السجن . ووصفه بكل تقدير بأنه موحد وعالم ربانى[5] ولكنه لم يقبل — كسنى — بعض أفكاره التى تشبه الأفكار المسيحية .

وفى العصور التالية نسجت كثير من الروايات الأدبية حول هذه الزيارة . ومن أجل أن يعالج « ماسينيون » فى كل كتبه المشكلات المتعلقة بالحلاج بعمق لم يستطع أن يغفل آراء ابن خفيف وتصرفاته حيال الحلاج . ويدخل فى هذا الموضوع الفتوى التى أصدرها القاضى الشافعى ابن سريج فى صالح الحلاج لابن خفيف . والصداقة التى كانت بينهما واعتقاد ابن خفيف القطعى فى الحلاج — وهو الذى أثار كثيرا من الجدل فى زمانه ولم يكن بمؤمن حقيقى فى نظر كثير من الصوفية والفقهاء ، وكان ينظر إليه كدجال — هو اعتقاد جدير

---

(١) انظر العقيدة .　　　(٢) سيرة : ٦ - ١٠٧ .

(٣) شد : ٢٢٣ .　　　(٤) طبقات السبكى : ٢ - ١٤١ .

(٥) السلمى : طبقات : ص ٣٠٨ .

بالحيرة ، وذلك أن الشيخ الشيرازى كان يمثل نموذجا مختلفا تماما .

وهناك نقطة يوجه انتباهنا إليها كتاب الشرق والغرب ،وهى أن ابن خفيف كان يجاهد بنفس القوة فى علوم الظاهر والباطن ، (أو الحقيقة)[١] ، وأنه وفق فيهما معا ، « ولم يكن مثله فى زمانه شيخ فى العلم والحال »[٢] ، وقد بقى مستمسكا بالشريعة حتى أدق تفصيلاتها ، واهتم بالفقه والشريعة بضع سنوات ، ومن بين آثاره كتاب « المنهاج فى الفقه » .

ومنذ طفولته بدأ ابن خفيف دراسة الحديث[٣] ، وهناك رواية تبين بجلاء أحواله فى الطريقة ، وقد ذكرت فى أغلب المصادر ، وتبين كيف كان يحث مريديه على الدرس ، وكيف كان رفاقه يغضبون من قراءته للعلم والحديث ، وكيف أنه كان يقوم بهذا خفية[٤] ، وكان يقول :أن كلمات المتصوفة ينبغى ألا تنفصل عن الشريعة[٥] ،

وحينما تحدث جعفر الخلدى عن الشيخ ، ركز خاصة على اعتماد أقواله على القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية المشهورة[٦] .

ولهذا نصح ابن خفيف مريديه بالاعتقاد فى خمسة من الصوفية الكبار ، وذلك لأن عقيدتهم صحيحة لا يتطرق إليها شك ، وتوافق

---

(١) السلمى : طبقات : ص ٤٦٢ .
(٢) حلية : ١٠ - ٣٨٥ .
(٣) سيرة : ٢ - ١ .
(٤) سيرة : ٢ - ١٢ ، ذهبى : ١٢٩ ، ابن عساكر ١٩١ ، تلبيس ص ٣٢٩ .
(٥) سيرة : ١٢ - ١٢ .
(٦) شد : ٣٩ .

العقيدة والسنة وهم : المحاسبي ، والجنيد ، ورويم ، وابن عطاء ، وعمرو بن عثمان المكى [١] .

والمحاسبي والجنيد اللذان قدرهما ابن خفيف كثيرا ، ينتسبان مثل أبي على الروزبارى إلى المذهب الشافعى . كما يتحدث السبكى عن اجتماع العلم والحال عند الجنيد .

وهناك رواية تبين صلات بين ابن خفيف والمحاسبي . فبينما كان كتاب المروزى « تعظيم قدر الصلاة » يقرأ فى مجتمع وصف ابن خفيف الأفكار التى يحتويها قائلا : « إنها نفس أفكارنا » ، فقد أخذ مؤلفها أقواله من فم المحاسبي بينما كان يكتب الكتاب [٢] .

وأكثر الصفات التى تتردد فى مدح ابن خفيف : بقاؤه على الإخلاص التام للشريعة ، فحينما كان يناقش الصوفية الاخرين كان يدقق فى ألا يحدث أى تهاون بالشريعة [٣] ، ومن قبيل الرعاية التامة لأدق نقاط الشريعة قيامه بأداء الصلاة ضعفا حينما عجز عن القيام بها واقفافقعدأثناء مرضه [٤] ، وقد ساق جولد تسيهر أن ابن خفيف كان مثل مرشده رويم منتسبا إلى المذهب الظاهرى أو شديد القرب منه [٥] .

---

(١) سيرة : ٢ - ١٥ ، رسالة : ص ١٥ ، شد ٤٤ ، طبقات السبكى ٢ - ٢٧ .

(٢) سيرة : ب ٦ - ف ٢٦ .

(٣) سيرة ٤ - ١٦ مناقشته فى مكة من أبى على الوارجى .

(٤) سيرة ٢ - ١٦ ، رسالة ص ٣٨ ، السبكى ٢ - ١٥١ ، شد ٤٤ ، ٢ ، ابن عساكر ١٩١ .

(٥) Diezahiriten, - 112

وقد خصص الديلمى بابا فى السيرة [١] للأساتذة الذين قرأ عليهم أبو عبد الله الحديث فى شيراز وفى غيرها ، وأول أساتذته أبو بكر العتايدى كان زاهدا كبيرا [٢]

وفى رواية للسمعانى أنه لزم داره ولم يغادرها حتى وفاته (٣١٤هـ ٩٢٦م) لأنه أخطأ فى رواية بعض الأحاديث .

وثانى أساتذته الشيرازيين الكبار أبو عبد الرحمن بن عبد الله ابن جعفر الأزركانى — أو الأزرقانى [٣] — الذى كان حافظا فى زمانه لولاية فارس ، والذى روى الحديث عن يعقوب بن سفيان ، وطبقا للسمعانى أنه توفى فى ذى الحجة ٣١١هـ – ٩٢٤م [٤] . ولم يهمل أحد من كتاب سيرته أن ابن خفيف كان من طلبته .

ومن أساتذته الشيرازيين الجديرين بالذكر أبو أحمد محمد الشعيرى [٥] ، وفى مدينة فسا حضر ابن خفيف درس ابن سعدان .

ومن اللازم ذكر عدد من المحدثين والذين لا يمكن تحديد شخصياتهم بسهولة ، ومنهم الذى هو مشهور باسم « المطين » ، والناقل عن ابن حنبل أبو جعفر محمد الحرانى الكوفى [٦] رفيق الصوفى المشهور أبى تراب النخشبى .

---

(١) الباب الحادى عشر .

(٢) سيرة : ٧ - ١٠ ، ١٤ .

(٣) السمعانى : أنساب أبو عبد الله . ص ٢٨ من طبعة مرجليوث .

(٤) بالنسبة لشد ص ١١٥ ، وشيرازنامه ص ١٠١ توفى ٣٤٠ - ٩٥١ .

(٥) السمعانى ص ٣٢٠ .

(٦) السمعانى ص ٥٤٣ .

ثم هناك من أساتذته النيسابوريين: محمد بن يزداد الجورى[١] ، وأبو أحمد الكاغدى المتوفى سنة ٣٤٣ / ٩٥٤ — ٩٥٥[٢] : ومن البغداديين : أبو بكر أحمد الباغندى[٣] ، والبغوى وهو أحد معمرى زمانه (٢١٢ — ٨٢٨— ٣١٧— ٩٢٩)[٤] ، كما يذكر الطبرى العظيم أيضا من بين أساتذة ابن خفيف .

وطبقا لرواية الذهبي والسبكى[٥] اشترك شيخنا ابن خفيف فى مجلس درس الحسين المحاملى الذى كان يحضر درسه عشرة آلاف شخص طبقا للسمعانى .

وبالرغم من أن ابن خفيف حضر مجالس كبار المحدثين فى زمانه وصفه ابن الجوزى بأنه شخص لا يوثق به[٦] ، كما ذكر المحدثين حماد بن مدرك وعبد الملك بن رواحه[٧] من بين أساتذة الشيخ .

ولأنه كان يطبق الشريعة التامة والسنة فى كافة تصرفاته ، روى عن ابن خفيف أنه قال عن نفسه : « أنه يتكلم بكلام الصوفية »[٨]

---

(١) السمعانى : ص ١٤١ .

(٢) السمعانى ص ٤٧٢ .

(٣) السمعانى : ص ٦١ وكلمة الباغندى غير موجودة . (موجودة عند مرجليوت : المترجم) .

(٤) السمعانى : ص ٨٦ .

(٥) الذهبى : ١١٢ ، والسبكى ٢ - ١٥١ .

(٦) تلبيس : ص ٣٣٥ .

(٧) السمعانى : ص ٣٤٤ ، والذهبى : ١١٢ .

(٨) سيرة : ٢ - ١٩ .

وهذا القول فى الغالب من قبيل الشطحات ، وقد مدحه الأنصارى بأنه «طاهر العقيدة[١]» .

وطوال السنوات التى قضاها ابن خفيف فى شيراز ليس لدينا معلومات حقيقية عن حياته الشخصية برمتها .

وتروى فى المصادر – عدة مرات – أحاديث عن خادمين وفيين له عاشا دونه فى حياته : الزاهد المستمسك أبو أحمد الكبير (المتوفى سنة ٣٧٧ هـ – ٩٨٧ – ٩٨٨ م) ، والأقل منه صفاء ولكنه أكثر وفاء وصدقا أبو أحمد الصغير (توفى ٣٨٥هـ ٩٩٥م) . وفى روايات العطار يحذف الكنية ويذكرهما دائما باسم أحمد مه وأحمد كه ، وقد أحب الشيخ الشيرازى أحمد الصغير خاصة ، لأنه كان لا يمل ولا يكل من خدمته ، ولا يقعد عن الطاعات[٢] .

ولا نجد عند الديلمى معلومات تساعدنا على معرفة حياة الشيخ العائلية . ونعلم أن للشيخ ابنا – وهو الابن الوحيد فى الغالب – وقد مات فى شبابه[٣] ، ويتحدث الهجويرى والعطار وصاحب الطرائق[٤] أن ابن خفيف أنكح أربعمائة امرأة تبركا ، وأن الشيخ تركهن دون ملامسة ، وترك بعضهن فى المنزل لخدمته ، وقد بقيت أكثرهن إعزازا لديه – ابنة الوزير – أربعين سنة فى المنزل ، ولكنه

---

(١) الأنصارى : ص ٥٥٤ .

(٢) شد ٤٦ – ٤٧ ، شيراز نامه ٩٩ ، تذكرة ٢ ﺻ١٢٩ ، طرائق ٢ - ٢٢٣ .

(٣) سيرة ٢ - ٢١٥ – شد : ٤٨ .

(٤) كشف ٣١٧ ، تذكرة ٢ – ١٢٨ - ١٢٩ ، طرائق ٢ – ٢٢٤ – ٢٢٥ .

لم يلامسها قط ، بل أظهر لها خاصة الندبات التى فى بطنه من أثر الزهد والرياضة .

أما بالنسبة للعطار فقد نقل نيكلسون فى تعليقاته على التذكرة حكاية تبدو محتمله جدا : ذات ليلة طلب الشيخ امرأة ، وفى الحال تزوج ابنة خادمه ، وبعد سبعة أشهر انجبت هذه المرأة غلاما ، وبعد أن توفى الطفل فى الحال طلق الشيخ زوجته . ثم يوضح السبب فى ذلك لخادمه : وهو أنه رأى القيامة فيما يرى النائم ، ويرى طفلا يعبر الصراط بأبيه ، فأحس بالرغبة فى الزواج من أجل أن يكون له ابن يعينه هكذا ، ولهذا السبب تحدث عن رغبته فى النكاح على الفور .

وبالرغم من أن هذه الفكرة مخالفه تماما لما ورد فى القرآن الكريم : «لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة[1] » فإن صدورها عن ابن خفيف محتمل . ومع ذلك فالحكاية التى رواها الطالقانى واستند فيها على نسخة أخرى من التذكرة تظهر الرغبة البشرية لابن خفيف : تمد طلق ابن خفيف زوجته ، وفى رؤياه يعلم أن العزوبية مخالفة للسنة النبوية فيعزم على الزواج فى الحال[2]

واليقظة التى أبداها الديلمى تجاه هذه الروايات . إذ وقف منها دون أن يبحثها ، خليقة به . ويمكن القول بأن ابن خفيف تزوج فى سن متأخر ، وكان له ابن واحد ، وأنه عاش سنوات حياته الأخيرة — طبقا لرواية — (خمسة وثلاثين سنة) مع خادمه وحده فى خلوته .

---

(١) الممتحنة - ٣ . (٢) نامه دانشوران : ٢ - ٤٤١ .

ومهما كان القول فى صحة حكايات الزواج هذه ، يبقى لنا الحق فى أن نقول إن الرواية التى رواها ابن الجوزى[1] ، وهى تحريض ابن خفيف مريديه على القيام بمباضعة جماعية بعد جنازة حكاية بعيدة عن الصحة ، وذلك لأنه لم يكن يأمر نفسه فحسب ، بل كان يأمر مريديه أيضا بالرياضات الشاقة ، وعلى الانتفات عن الشهوات[2]

وقد اثر ابن خفيف على البيئة التى ولد فيها تأثيرا كبيرا فقد جمع حوله عددا كبيرا من المريدين «وتجمع حوله أهل الطريقة فى ذلك الزمان »[3] ، ووصف بأنه «شيخ الأسلام »[4] ، وسلطان التصوف فى زمانه[5] ، وكانت الصفات الرفيعة والألقاب السامية التى تضاف إليه تزداد بمرور الزمن . وليس فى إمكاننا اثبات ما ادعاه صاحب شيراز نامه ، أن عضد الدولة الذى حكم شيراز منذ سنة ٣٣٥ (هـ) ٩٤٦ (م) لآل بوية أظهر اعتقادا عظيما فى الشيخ[6] ، ويؤيد هذه الرواية الحكاية التى روها العطار[7] والتى تحتويها السيرة وتتحدث عن كرامات الشيخ : حكاية عن وزير يسمى نصر ابن هرون قدّر سمو ابن خفيف ورجا منه النصيحة .[8]

---

(١) تلبيس : ص ٣٦٩ - ص ٣٧٠

(٢) انظ الهجويرى ص ٣١٧

(٣) تذكرة ٢ - ١٢٤

(٤) أنصارى : ص ٥٥٥

(٥) الهجويرى : ص ١٩٩ .

(٦) طرائق : ٣ - ٢٦٢ . ويتحدث ابن الجوزى بما يخالف هذه الإشارة.

(٧) تذكرة ٢ - ١٢٩ . (٨) سيرة ١٠ / ٦ ء

وإذا جاز إطلاق الحكم على أهمية ابن خفيف ، فليس ذلك من جهة انخراطه فى السلك الصوفى وتعميقة إياه ، وهذا بالقياس إلى الأقوال الصوفية التى تنسب إليه ، والتفسيرات والكتب التى تتناول الطريق الصوفى ، إلى جوار كتبه فى الشريعة) . (وهو متوسط بين ممثلى التصوف الكلاسى ، ومتصوفى الطبقتين الخامسة والسادسة . وهو فى رأى صاحب شد الإزار ، « خاتم المتقدمين وإمام المتأخرين »[1] وقيل عنه عدة مرات : انه آخر الصوفية الحقيقيين فى فارس[2] . وماأبداه الأنصارى وتابعه فيه جامى فى شأنه « لا نستطيع أن نقول شيئاً عنه كان أم لم يكن »[3] . وابن خفيف يمدح نفسه فى مواجهة موسى بن عمران الجيرفتى قائلا : « إن لى فى مدينتى ألف مريد يستطيع كل واحد منهم أن يجمع فى يسر ألف دينار من أجلى فى ليلة واحدة » . وأجاب عليه الشيخ الجيرفتى قائلا : «إن فى مدينتى ألف عدوٍّ لى ، لو ظفر بى واحد ذات ليلة ما أخرنى إلى الليلة التالية ، ولما تركنى حيا . فهل أنت الصوفى الحقيقى أم أنا[4] ؟ » .

وهذه الحكاية تشير غالبا إلى الحب الذى كان يتمتع به ابن خفيف وإلى شهرته .

---

(١) شد : ص ٤٨ .

(٢) سيرة ٢-٩ ، شد : ٤٠ ، ذهبى ١٢ ، ... ، ابن عسكر ١٩٠ .

(٣) الأنصارى : ص ٤٥٥ ، النفحات : ص ٢٣٥ .

(٤) أنصارى : ص ٤٥٨ - ٤٥٩ ، نفحات : ص ٢٦٣ .

وفى الحقيقة اتخذ بعض مريدى الشيخ مكانهم فى تاريخ التصوف ، وبينهم أبو نعيم الأصفهانى ومؤلف اللمع الشهير أبو نصر السراج الطوسى ، وعن طريق الأكار يدخل ضمن مريديه مؤسس الطريقة أبو اسحق الكازرونى [١] ، ومن بين مريدى ابن خفيف ذكر المقاريضى وأبو العلاء الحضرى ، وهناك ابن باكويه الذى يعد فى تاريخ التصوف راوية الشيخ ، وأيضا صاحب السيرة الديلمى الذى كتب كتابا فى الحب الصوفى كنموذج لفكر الشيخ .

ويستحق الذكر أيضا وان تأخر فى زمانه رزوبهان البقلى . الذى يدخل ضمن مريديه فى سلسلة تتخلل ابن شهريار والأكار اللذين رأيا مرشدهما ابن خفيف ، ومع الأسف يثير الحيرة وجود باب عن شطحيات ابن خفيف فى كتاب لهذه الشخصية الهامة [٢] .

ولا يعد المتصوفة فحسب من مريدى ابن خفيف بل هناك بعض الفقهاء تتلمذوا عليه ، وأشهر نموذج* لهم الشارح التقليدى لأفكار الأشعرى أى الباقلانى .

---

(١) انظر مقدمة الكتاب القيم :

Meir, f: Die Vita des A. I. KazRuni. P 288

وهناك شهادة عجيبة تتضمنها المعلومة الواردة فى الكتاب المسمى Islam in India أن مؤسس الكازرونيه هو عبد الله الحنيفى المعروف بحنيف الكازرونى ، أى ان الصلة بينهما مباشرة .

(٢) انظر ماسينيون : روزبهان البقلى ص ٢٤٣ .

وكان الشيخ مؤلفا غزير الإنتاج فى ميدانى التصوف والفقه •

يقول النسفى :

«ألف كتبا كثيرة لم يؤلفها أحد قبله ، وكانت موضع استفادة كل الفقهاء والأئمة »[١] •

وبالرغم من ذلك فإن الرواية التى تقول : انه كتب فى أربعين يوما كتابا عميقا فى الحقيقة مبالغة شاعرية من الهجويرى والعطار[٢] .

وفى الجملة ، فإنه إلى جوار الأجوبة التى كان يلقيها ابن خفيف على الأسئلة التى كانت توجه إليه ، يسند إليه خمسة عشر مؤلفا طويلا وخمسة عشر مؤلفاً قصيرا[٣] .

وهذه المؤلفات لم تصل إلى أيدينا مع الأسف • وعدا الكتب التى ذكرت فى أماكن متفرقة فى مقدمتنا هذه تحتوى القوائم التى وردت فى السيرة وفى شد الازار على أسماء الكتب الآتية :

المؤلفات الطويلة :— كتاب الاستذكار ، كتاب الفصول فى الأصول . كتاب المنقطعين . كتاب لبس المرقعات ، كتاب الإعانة[٤] . كتاب المعراج . كتاب الاعتقاد[٥]

---

(١) الذهبى : ١١٣ السبكى : ٢ : ١٥٠ .

(٢) كشف ٣١٨ ، تذكرة ٢ - ١٢٥ .

(٣) سيرة ١٢ ، شد ٤٢ طرائق ٢ - ٢٢٦ .

(٤) فى شد : كتاب الاغاثة .

(٥) فى شد : كتاب المعتقد الكبير والصغير ، وكتاب العقيدة الصحيحة الذى جرده فى أيا صوفيا متصل به .

وذكرت المؤلفات القصيرة تحت هذه العناوين : كتاب الاقتصاد كتاب اللوامع ، كتاب المفردات كتاب الاستدراج فى الاندراج ، كتب بلوى الأنبياء ، كتاب معرفة الزوال ، كتاب المشيخة[١] ويضيف شد الإزار علاوة على ذلك كتاب شرح الفضائل .

وبالرغم من ادعاء بعض المصادر الفارسية ، فقد بينا سلفا أن ابن خفيف لم يكن شاعرا

ولا نستطيع أن نحدد بالقطع تاريخ اليوم «الذى طارت فيه روحه المباركة من قفص الجسد ، وأقامت فى عليين »[٢] .

أما الديلمى وقسم كبير من الروايات ، التى تعتمد عليه مثل صاحب الحلية ، والسلمى والسمعانى وصاحب شد الإزار ، وصاحب شيرازنامة ، فيذكرون تاريخ الثالث والعشرين من رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائه ، الموافق الثانى والعشرين من مارس سنة اثنى وثمانين وتسعمائة .

أما الأنصارى ، وفريق آخر كالذهبى و السبكى واليافعى وابن العماد ، فيذكرون الثالث من رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة وهناك آخرون مثل ابن الأثير[٣] وابن عساكر والشعرانى وياقوت ذكروا سنة إحدى وسبعين وثلثمائه فقط ...

---

(١) فى شد : كتاب : أسماء المشايخ .

(٢) شيرازنامه : ص ٩٦

(٣) ابن الأثير : الكامل ٩ - ١٢

أما ناصرى ، وصاحب فارس‌نامه ، فيذكران سنة سبعين وثلاثمائة والقشيرى والمصادر المستندة إليه مثل تاريخ كزيده وحبيب السير ورياض العارفين ، فتذكر سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة .

ومادامت قراءة الرقم تسعين بدلا من سبعين تبدو من السهولة بمكان ، فمن المحتمل أن يكون هذا التاريخ خطأ فى النسخ .

ويتحدث جامى عن وفاة الشيخ سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، ويمكن اعتبار هذا التاريخ أيضا خطأ فى النسخ ، ذلك جامى أن نفسه يتحدث عن وفاة الحصرى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة فى نفس السنة ، التى مات فيها ابن خفيف ويذكر ذلك ، وهذا الخطأ فى الكتابة عند جامى قبله الطالقانى ، بل وأخذ نفس المؤلف من مصدر آخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وقد عرف صاحب الطرائق أن سنة عشرة ومائتين التى اعطيت كسنة لميلاد ابن خفيف غير متلائمة مع الوقائع التاريخية الثابتة ، فقبل سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة كسنة لوفاته[1]

ولاشك أن ابن خفيف قد توفى فى سن كبيرة ، ولكن التفصيلات تختلف ، وأقل عمر نسب له خمس وتسعون سنة ، وفى آراء أخرى توفى وعمره أربعة بعد المائة أو خمسة بعد المائة ، فإذا كان تاريخ مولده وجود عمرو بن الصفار فى شيراز وهى سنة ٢٦٨هـ يكون عمره حين الوفاة أربعة بعد المائة سنوات قمرية وهو رقم يبدو أقرب إلى الحقيقة . وإلى جوار هذا الرقم ، تبدو أرقام مائة[2]

(١) طرائق : ٢ — ٢٢٥ .
(٢) شد : ٤٤

وأربع عشر بعد المائة [1] وثمانى عشر ومائة وحتى أربعة وعشرون وسنة وعشرون بعد المائة [2] قابلة للمناقشة .

ولو صدقنا الجملة التى وردت فى شيراز نامه [3] وأخذها من سيرة ركن الدين قاتكى ، ان ابن خفيف ، توفى إلى رحمة الله فى الخمسين بعد المائة من عمره ؛ وأن حياته تطابق خمس ساعات فى التقدير الإلهى ، لكان قبولنا لما يدور حول الرقم مائة سنة شمسية الوارد فى كل المصادر أمرا واجبا .

وبالرغم من شدة ضعف جسده ، ظلت إرادته وروحه قويتين إلى النهاية ، فكان يصوم ويصلى وقد قال لمريديه : « إذا سمعتم الاذان ولم ترونى فى الصف الأول فاطلبونى فى المقابر » وهى وصية ملائمة لنسق حياته [4] ،وتذكر بعض المصادر [5] ، أنه حينما مات كان قد واصل أربعين أربعين متتالية ،

وبالرغم من أن رقم أربعين الوارد عند العطار والهجويرى ، اعتبر فى كل الأديان أكبر رقم للصبر على شىء أو الصوم والاختبار وما إلى ذلك ، فهو هنا يشير إلى صوم ابن خفيف فحسب . وقد مات الشيخ وهو ينطق بكلمات الشهادة ، وبالنسبة للسلمى أسلم الروح

---

(١) حبيب السير : و ٣ ، ب ٢ ، ص ٦٣ .

(٢) تاريخ كزيدة : ص ٧٨٣ .

(٣) شيراز نامه : ص ٩٥ .

(٤) سيرة : باب ١٣ ، ذهبى ١١٤ ، سبكى ٢ - ١٥٣ ، سلمى : ص ٤٦٢ .

(٥) تذكرة : ٢ - ١٢٥ ، طرائق ٢ - ٢١٢ ، هجويرى ٤١٧ .

وهو يردد « أفنيت كلي في كلك[١] » وكان: ابن خفيف يدعو لسنوات أن تكون وفاته في يوم مشمس ، لأنه كان يعلم قبل وفاته كم من البشر سيشتركون في جنازته ، فكان يرجو بهذا الدعاء ألا يصيبهم ضرر من حضورها[٢] ، وطبقا لرواية الديلمي أوصى أبو بكر العلاف بإقامة صلاة الجنازة عليه ،وهذا أمر واضح الاختلاط ذلك، أن أبا بكر توفي سنة ٤٩٠ (هـ) و ١٠٨٧ (م) أي أنه لم يكن قد ولد حين مات الشيخ ومثل هذا الخبر لايوجد في شيرازنامه[٣] .

وقد صلى على قبره المجوس واليهود والمسيحيون كل أدى صلاة دينه. وكان رئيس القصابين يظهر اعتقادا عظيما في الشيخ ، ولأنه كان مريدا له ، قام أكثر الناس قوة من هذه الفئة بوظيفة الشرطة وسط هؤلاء الناس الذين يعدون بالألوف ، وقد عد الناس انتهاء مراسم الصلاة من كل هذه الفئات والأديان في ساعتين نوعا من الكرامة .

وقد وسع مزار ابن خفيف ، وجمل على أيدي الحكام الذين حكموا شيراز في العصور التالية[٤] وشرح ابن بطوطة مدى تقاطر الناس عليه[٥] كما وسع كريم خان زند هذا البناء أثناء حكمه[٦] .

وأفكار ابن خفيف النظرية . ترى في كتيبة العقيدة الصحيحة[٧] وبطريقة أكثر تفصيلا في وصيته الصغيرة[٨] وجدير بالذكر

---

(١) السلمي : ص ٤٦٥
(٢) سيرة باب ١٣
(٣) انظر شد : ص ٨٠
(٤) طرائق ٢ / ٢٢٦
(٥) ابن بطوطة : ص ١ / ١٣٣
(٦) طرائق : ٢ / ٢٢٦
(٧) فاتح 5391 وايا صوفيا 4792
(٨) شهيد على باشا Tub. Weisw. 82/12, 1388

هنا ، الكلمات التي هاجم بها القدرية ، والجبرية ، والمعتزلة ، والروافض ، وقد أظهر عداوته للمعتزلة فى حكاية من حكايات السيرة تبين كيف أنقذ عمرو بن الليث من أستاذه المعتزلى [١] .

وأولى الفقرات التى تحتوى عليها العقيدة ، تتفق أكثريتها مع الحقائق النظرية ، التى بحثها «ونسنك» فى الجزء الثانى من الفقه الاكبر : فالله واحد لا كالأعداد ، وشيء لا كالأشياء ، وهو لاوجود ولاصفة ولاذات، وليس بمحل الحوادث ، ولا الحوادث محل له ، ولاحال فى الأشياء ، ولاالأشياء حالة فيه ، كما أنه لايحل فى الأشخاص (وهذا مضاد لفكرة الحلول) ، كما يعتقد أنه على عرشه استوى وهو مضاد للمعتزلة فى أن الله يخلق بيد الصفة ،فليست لقدرته يد ، ووضح كل مايشابه هذا وورد فى القرآن والحديث [٢] .

وبتعبير كتعبير « إن الله عالم بعلم » وأمثاله يظهر ابن خفيف نفسه كتلميذ للأشعرى ويقدر عقيدته . وبهذا العلم يعلم الله ، ماكان وماهو كائن ، وماسيكون كيف يكون ، كما أن أسماء وصفاته ليست مخلوقة .

وفى باب النبوة ، يرى ابن خفيف أن الأنبياء أفضل من الأولياء ومعراج النبي ولقاءه بالأنبياء ، وحديثه مع الله حق ، وأن النبي هو أول شفيع حين تنتهى الدنيا ، وأول من يحشر ،وأول من يدخل الجنة ، وينبغى قبول الخلفاء الراشدين كافة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى .

---

(١) السيرة .

(٢) انظر الفقه الأكبر ٢ .

وهناك حكاية فى السيرة تظهر ميلا شيعيا [١] ، فحواها أن ابن حنبل تعرض لعتاب فى السماء ، لأنه روى الأحاديث عن عثمان عدو على ، وفى نسخة أخرى من السيرة حذف اسم على دفعة واحدة وكتب اسم عثمان ، فى حين أن النسخة الأولى ، ذكرت اسم عثمان مباشرة ، وتشبه ماورد فى حكاية مشابهة عند الكلاباذى [٢] .

ويوم القيامة يرى المؤمنون الله ، كما أن الميزان والصراط وكل هذه التصورات الغيبية حق .

ولايدخل الإنسان الجنة بعمله ، بل يدخلها بإرادة الله . كما أن الأعمال ليست من كسب الإنسان ، ولكنها من الله ، أمابالنسبة لشريعة فلا يمكن إنكار أنه كان يوافق فقهاء الأشعرية تماما .

فالخبز لايشبع بطبعة ، ولكن الله يمنح الشبع بعد الأكل بسنته فى كل مرة ، وأيضا وبنفس الشكل ، فالنار ليست حائزة على قوة الإحراق بطبعها .

و هناك إشارة الى أساس هذه النظرية فى السيرة فى حكاية أبى الأديان ، فبكرامة سار على النار حافى القدم ، من أجل أن يثبت أن النار لاتفعل فعلها إلا بأمر الله ، ولم يصيب إلا بحرق بسيط [٣] . وفى رأيى أنه وفق فى إثبات هذه الفكرة بقوة تثير حيرة الوجدان .

---

(١) السيرة : ٨/٣ (٢) التعرف باب : ١٥

(٣) السيرة : ٨ — ١١ .

وعصيان الإنسان وكفره ، بالرغم من أنهما بإرادة الله ، إلا أنهما لايرضيان الله ولايرضى عنهما[1] .

وعلى ذلك فالإنسان لايخلد فى النار ، وكبار العصاة يثبت نص الترجمة الفارسية هنا دائما أنهم لايخلدون فى النار . والإمامة لمن يستطيع أن يقوم بشرائطها وتنبغى طاعته حتى ولو كان عبدا حبشيا .

أما مفهوم الإيمان فيعرفه الشيخ الشيرازى قائلا : «الإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب »[2] ، والإيمان شىء ، والإسلام شىء آخر ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا ، والإيمان ظاهرا هو الاعتراف بألوهية الله ووحدانيته[3] ، والعمل به على الاطلاق ، وذلك أن الإيمان فى العقيدة عبارة عن القول والعمل والنية فيجب إضافة الطاعات إلى العبودية .

والعبودية عند ابن خفيف ، فى قول نقل فى مصادر كثيرة هو «طرح الكل على المولى والصبر على البلوى »[4] ، وهو نور يقذف فى القلب ، يمكن أن يزيد ويمكن أن ينقص ، وقد خطىء هذا التصور عند الهجويرى على العموم ، وقال صاحب الفقه الأكبر : إن الإيمان لايزيد ولا ينقص[5] ، بينما قال الإمام الغزالى ، بأن الإيمان يزيد وينقص عند أعمق الناس إيمانا .

---

(١) انظر الفقة الاكبر ٢ - ٧ .

(٢) رسالة : ص ٥ ، سلمى : ٤٦٥ ، هجويرى ٣٧٣ ، تذكرة ٢ — ١٣١ ، حلية ١٠ - ٣٨٦ ، طرائق ٢ - ٢٢٥ .

(٣) حلية : ١٠ - ٣٨٦ .

(٤) رسالة ص ٥ ، طبقات السبكى ٢ - ١٥٤ ، تذكرة ٢ - ١٣١ .

(٥) انظر الفقة الاكبر ٢ - ١٨ .

وينبغى ألا يختلط مفهوم الإيمان بالتقوى ، فالتقوى عند ابن خفيف «مجانبة كل شيء يبعدك عن الله »[١]

ويصف ابن خفيف مفهوم التوحيد بأنه «الإعراض عن الطبيعة »[٢] أو «مفارقة البشرية وموافقة الألوهية » ، وبهذا المعنى فإن إشارة ابن خفيف التى أوردها الأنصارى من أن «نفى الأنية فى الشريعة زندقة وفى الحقيقة شرك[٣] توضح نواحى عديدة فى مفهوم التوحيد .

وهناك تعريف آخر وصلنا عن ابن خفيف وهو «التوحيد تحقق القلوب بإثبات الموحد ، بكمال أسمائه وصفاته ، ووجود التوحيد مطالعة الأحدية على أرضات السرمدية »[٤] ، وهى تذكر بما نقله السراج فى كتاب اللمع بشأن ما قاله الجنيد فى توحيد العموم »[٥] .

والإيمان لاينفصل عن المعرفة ، والفرق بين هذين المفهومين بينه الصوفيون الكلاسيون قائلين : «إن المؤمن يرى بنور الله ، ولكن العارف يرى بالله »[٦] .

وأيضا فهناك اليقين ، وهو غير المعرفة وغير الإيمان ، فهو «تحقيق الأسرار بأحكام المغيبات » أو «إدراك الأسرار بأحكام المغيبات »[٧] .

---

(١) سلمى ٤٦٥ ، طبقات السبكى ٢ / ١٥٤ ، حلية ١٠ / ٣٨٦ ، الغنية ١٢٧

(٢) هجويرى : ١٩٩ (٣) الانصارى : ص ٤٥٧

(٤) حلية ١٠ / ٣٨٦ (٥) اللمع : ص ٢٨ (٦) اللمع : ص ٤١

(٧) حلية : ١٠ / ٣٨٦ ، سلمى ص ٤٦٥ ، رسالة ص ١٠٨ ، تذكرة ٢ / ١٣١ ، سبكى ٢ / ١٥٤

ومشاهدة الله لن تمكن إلا يوم القيامة لأنها ليست ممكنة فى الدنيا[١] وبالنسبة لمصطلح المشاهدة الذى ذكر فى كتب التصوف ، فقد ورد عند ابن خفيف أنه : «اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق من الغيوب »[٢] ، أى عند الإنسان الذى جمل داخله باليقين المطلق . وقد وضح هذا فى حكاية تقليدية جدا ، فقد روى أحد الصوفية أنه رأى عرش الله فى الفلاة . وطبقا لحديث المحدث المتصوف ابن سعدان ، لم يلبث أن عرف أن ما رآه هو من وساوس الشيطان ، فجاهد فى رياضات وطاعات شديدة[٣] ، وهذا مثال جيد على الحالة الروحية فى بيئة شيراز المتصوفة .

وقد ذكر الديلمى وابن الجنيد الشيرازى كتاب «الجمع والتفرقة» ضمن كتب ابن خفيف . وهذه المسألة — طبقا للهجويرى — هى المسألة التى شغل بها أهل نساومرو من اتباع الطريقة السيارية أنفسهم ، وعند هذا المؤلف أن الخفيفيين شغلوا أنفسهم أكثر بمسألة الحضور والغيبة . وفى المناقشات التى جرت حول هذا الموضوع أثبت ابن خفيف أن الحضور أسمى من الغيبة .

ومن الطبيعى أن تتوافق هذه الأفكار مع أفكار أساتذته البغداديين العظام : المحاسبى والجنيد والجريرى . وقد بين أن شيخه على بن سهل صاحب نظرية كاملة فى مسألة الحضور[٤] .

---

(١) أنظر العقيدة

(٢) طبقات السبكى : ٢ / ١٤٤

(٣) السيرة : ٧ / ٤١

(٤) تذكرة : ٢ / ١١٠

ونرى أن هذه الشخصية الصوفية العظيمة لم توف حقها من كتب الطبقات ، إذ خصصت لها مقالات قصيرة جدا ، ومن المحتمل أن هذا الصوفى الأصفهانى العظم – وكما يفهم من روايات ابن خفيف عنه أثر فى انكشاف حالته الروحية تأثيرا كبيرا ، وقد بحث ابن خفيف كل هذه المسائل على حدة فى كتابه المفقود «مسائل على بن سهل» .

والتأثيرات التى تركتها مدرسة بغداد – وخاصة بيئة الجنيد – على ابن خفيف واضحة فى ترجيحه الحضور على الغيبة ، والصحو على الاضطرار ، كما أن الإفاقة عند ابن خفيف ، مقبولة فى الطريق الصوفى عن السكر . وكان بمشاعره إلى جوار الذين يقفون ضد السكر والهيجان فى الطريقة الصوفية ، وهذه هى الصورة التى تعطيها السيرة والمصادر الأخرى .

ولأجل أن نغير هذه الصورة التى رسمها كتاب السيرة مصححين إياها ، تصل إلى أيدينا معلومات قليلة جدا ، وخاصة حين نطيل البحث عن أقوال الشيخ نفسه ، فعلى سبيل المثال نصادف قولا واحدا بشأن السكر فقد سئل عن السكر «فأجاب» هو «غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب»[1]

وإذا استندنا على المعلومات التى أوردها الديلمى وكتاب السير الآخرون ، يبدو لنا ابن خفيف زاهداً كبيراً فحسب ، يجاهد إلى

---

(١) حلية ١٠ / ٣٨٦ ، سبكى ٢ / ١٥٤ ، طرائق ٢ / ١٨٠

مالا نهاية فى قتل كل شهوة عنده ، ونجد شخصية موفقه . هذا الطريق إلى حد كبير . وتبدو لنا اسهامات نفس الشخصية فى نظرية الحب الإلهى ، وتدخله فيها غير مصدق . ومع الأسف فإن كتابى الشيخ فى هذا الخصوص ، وهما كتابا المحبة والود مفقودان ، وقد نقل الديلمى بعض الفقرات منهما فى كتابه الذى ألفه فى هذا الموضوع : كتاب : عطف الأليف المعطوف .

أما بالنسبة لتاريخ الحب الصوفى ، فإن رؤية المدارس الصوفية — على سبيل المثال تناقش مفهوم الود الذى لم يعرف له ترتيب بين المقامات ، هذه الرؤية فى غاية الأهمية لنا بالنسبة لمعرفة كل تصورات ابن خفيف . ففى ذلك العصر ، سواء فى بغداد أو فى إيران ، يجاهد الصوفية فى توضيح ثلاثة مفاهيم هى العشق ، المحبة ، الشوق .

ونعلم من الديلمى أن ابن خفيف فى بداية الأمر ، وطبقا لما تلقاه من كل فقهاء عصره ، رد بشدة تعبير العشق من أن يطلق على المحبة ، التى تقوم بين العبد والرب [1] ، ثم أجاز هذا التعبير بعد أن رأى الجنيد قد استعمله فى أحد أعماله وقال : إن تأثيرات محبة الخالق أغارت فألبسها لبسه نورية وبهجة سماوية [2] فهى بالنسبة للعاشق ذوق خاص لتذكر معشوقة .

وروى عنه أحد مريديه هذه المناجاة « طوبى لمن لم يزده أنسه بك إلا وقارا » [3] ، وفى رأيى أن التفسير الذى تقدمة السيرة لايعكس معنى هذه المناجاة تماما . فقد كان هدفه —

---

(١) انظر الهجويرى ٤٠١ ، احياء ٤ / ٢١٨

(٢) الف : ب ٣٩ (٣) السيرة : ٢ / ٨

على الأَغلب – أن الإنسان ينبغى عليه ألا يظهر أى إهمال تجاه الله فى مقام الأُنس ، ومما هو معلوم أَن بعض المتصوفة ، يتجاوزون الحدود فى مقام الأُنس ، ويتصرف الإنسان بحرية تامه ، وبجسارة شديدة ، ومن جميع الوجوه لم يكن ابن خفيف يقبل كل هذا التساهل ، ومثال ذلك الدرس القاسى الذى كان فى حياة الحلاج ومماته ، والذى خيض فيه كثيرا ، فى تلك السنوات .

وقد سئل ابن خفيف عن بلاء المحبين ، فأَجاب لأَنهم آثروه على أَرواحهم فابتلاهم بحبه لهم . فأَشار بأَنه أَعظم الأَحوال ، وعرف المحبة بأَنها وجد يسر تشعر الأَرواح نسيم روحه [1] ، وفى مقابل المناجيات الحارة والأَشعار المفعمة بالشوق التى قالها صوفية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) كانت تعريفات الشيخ الشيرازى كلمات باردة ، فقد وصفها بأَنها « الراحة واللقاء التى يحس بها القلب ، والحب الذى يشعر به بالقرب » .

وإذن فالوصل ، وهو نهاية الطريق ، وهدف البشر ، هو فى نظره « من اتصل لمحبوبه عن كل شيء وغاب عن كل شيء سواه [2] » والذى لاينتبه انتباها مباشرا لهذه النتف المحافظة المتفرقة يبدى الشيخ الشيرازى بتقدير أَعلى كزاهد فحسب وليس صوفيا وكان ابن خفيف فى نفس الوقت تلميذا لابن سريج . لأَن هذا العالم ، وضح كما فعل أَكثر الفقهاء الذين نقلوا هذا التصور ، أن

---

(١) الف : ب ٤٩

(٢) الف : ٤٩

الصلة بين الله والعبد ، التي تسمى الحب أو المحبة فرض منكرها يبقى مخالفا ، وذلك استنادا على آية وردت فى القرآن الكريم [١] .

وتصرفات ابن خفيف ومريديه حول هذا الأمر مثال تقليدى جدا ، فى حكاية تدور حول عمرو المكى فى السيرة [٢] . ولهذه الشخصية كتاب مفقود فى المحبة [٣] ، وهو يظهر ذلك أثناء حديثه فى هذا الموضوع – وتصله إجاباته على تساؤلات حول هذا الموضوع بشكل عجيب فيجد قطعة رق مكتوب فيها ما يريد من معلومات ، وهناك فرق بين كلمات الديلمى عن هذا الموضوع وبين نقل ابن الجوزى لها وتجريحه إياها .

أما الجانب العملى للمحبة فيرى – فى شكل التقينا به فى عصور تالية فى حكاية الزجاجى [٤] . وفحواها أن بعض اللصوص ؛ يرتكبون ما يرتكبون من جرم لا لشىء إلا للنظر إلى وجه الملك ، ويرى ابن خفيف أن الرغبة فى النظر إلى وجه المحبوب فى غاية الأهمية . ومسألة النظر هذه ، كانت أساسا لأعمال أدبية كثيرة فى القرن العاشر والحادى عشر (الرابع والخامس) كماهومعلوم [٥] ويرى ابن خفيف

---

(١) التوبة / ٢٤ ، المذهبى : ١١٤ وانظر :
Gldziher, Is Lam ::144, JRAS 19 2, 577

(٢) السيرة : ٦١ / ٣

(٣) الهجويرى : ٣٩٨ ، حلية : ١٠ / ٢٩٦

(٤) السيرة : ٤ / ٢٤

(٥) انتشرت فيها بعدمنظومات باسم «شاة وكدا» اى الملك والشحاذ فى الأدب الفارسى . المترجم.

أن حظ النفس فى ثلاثة : الأكل والنوم والجماع ؛ وحظ الروح فى ثلاثة : الطيب والصوت الحسن والنظر [1] أى النظر إلى وجه المحبوب .

وقد وصلتنا نظريات ابن خفيف وإشاراته الصوفية مبتسرة للأسف وأكثرها متفرق فى كتب التصوف ، أما مترجم السيرة ابن الجنيد ، فقد ترك الغوامض التى يفهمها ، وترجم مارآه سهلا وأوصى القراء بمراجعة مالم يستطع ترجمته على الأصل العربى .

أما بالنسبة للجانب العملى فى حياة ابن خفيف الصوفية ، فليس من الصعب أن نفهم من السيرة ومن المصادر الأخرى ، أن الهدف من الجانب العملى ، كان التصفية فى المقام الأول ، ولم يكن الشيخ الشيرازى نفسه من كبار المفكرين فى زمانه ، وحتى الأنصارى حين قارنه بالحصرى الشديد الحساسية ، وصفه بأنه كان أكثر فى الوسائل « باآلت تر » ، ويريد غالبا أن يقول إنه كان أكثر ميلا إلى الظاهر [2] .

وفى بعض الأفكار فقط يمكن نقل أفكار ابن خفيف . بحيث لاندخل فى التفصيلات . فنحن لانعلم — على سبيل المثال المعارضات التى جرت بين بندار بن الحسين وبين الشيوخ [3] حول مسألة الرضا ، والشيوخ هنا من ممثلى التصوف فى العراق غالبا ،

---

(١) السيرة : ١٢ / ٣

(٢) الأنصارى : طبقات ص ٧٤ ؛

(٣) نفحات : ص ٢٣١ / ٢٣٢ ؛ شد : ص ٥٢٢ حاشية ٤

والبندار العراقى الذى هو أقرب إلى مذهب الشبلى مع انتساب للحنابلة ، والمتوفى سنة ٣٥٣ / ٩٦٤ ، اكتسب القول الذى نقله عنه العطار سواء فى تذكرته [١] أو فى « إلهى نامه » شهرة كبيرة فهو يدخل الأنية فى الرضا بقوله : « ياإلهى هل أنت راض أم غير راض ؟ » ولكن هذه النقطة لم تعجب ابن خفيف فالرضا عنده « سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى به واختاره » [٢] وهذا التعبير شديد الشبه بأهم تعبير قاله المحاسبى فى الرضا [٣] .

وقد نقل القشيرى فكرة أخرى عن مرشده ، فقد سئل :—

إذا جاء خاطران من الله فأيهما أقوى ، الأول أم الثانى ؟ وهل يمحو الثانى الأول أم العكس ؟ أم يقويه ؟ وفى هذه النقطة قال ابن خفيف : هما سواء لأن كليهما من الحق ، فلا مزية لأحدهما على الآخر ، والأول لا يبقى فى حال وجود الثانى ، لأن الآثار لايجوز عليها البقاء [٤] .

وقد اكتسب ابن خفيف شهرة بمسألة عقائدية أخرى ، وهى الرد على ابن سالم ومذهبه ، وقد كتب رسالة قصيرة رد فيها على أخطاء هذا المفكر [٥] . وهناك تعبير يظن أن مذهب ابن سالم ، يبدأ به . وهو أن كل مافى الدنيا من وجود وعدم ، يراه الله نفسه

---

(١) تذكرة : ٢ / ٢٩٠

(٢) رسالة : ص ١١٦ ، نامه ٢ / ٥٤١

(٣) انظر كشف المحجوب ص ٢٢٣

(٤) رسالة : ص ٥٧

وقد حقره ابن خفيف على أساس أنه دهري [1] ، أما جامى فقد وصف رد ابن خفيف على ابن سالم بأنه رد شديد [2] ، وللشيخ أثر جدلى آخر كتب ردا على ابن رزمان ، أوابن زنيان ، الذى لا نعلم شيئا عن فكره .

وهناك كتاب مفقود له هو « كتاب اختلاف الناس فى الروح » ومن المحتمل أنه يحتوى على معلومات قيمة . لما ناله فى زمانه من مكانة فى الأحداث الفكرية .

ولنر إذن كيف عرف ابن خفيف تصوره الروحى ومجاهداته ، أى تصوفه على وجه العموم ؟ . وقد حاول فى كتابه فضل التصوف أن يبين أهم جوانبه المستحبة [3] . وبالنسبة للمعلومات التى وصلتنا نجده يفرق بين التصوف والتقوى . وعنوان أحد أعماله القصيرة فى كتاب الفرق بين التقوى والتصوف [4] ومن ناحية أخرى يفرق بين الفقر والتصوف .

والتصوف عقيدة لا هو علم ولا عمل ، بل هو صفة يتحلى بها الصوفى ، ثم عرف ابن خفيف نفس المفهوم بتعبير أكثر غموضا وهو « وجود الله فى حين الغفلة » [5] وقد وصف أبو نعيم وبقية المصادر

---

(١) طرائق : ٢ / ١٢٢

(٢) نفحات : ص ٢٣٥

(٣) السيرة : ١٢ / ٢١ شد : ٢ : ٤٢

(٤) السيرة : ١٢ / ١ ولم يذكر فى شد .

(٥) انصارى : ص ٤٤٥ ، نفحات : ص ٢٣٥

هذا التعريف بأنه أنسب تعريف للتصوف من ناحية للموافقة مع السنة[١] .

ثم عرفه ابن خفيف قائلا : التصوف تصفية القلوب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومناولة الصفات الروحانية واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع الشريعة[٢] .

أما الديلمى فقد نقل هذا الإيضاح بطريقة ثلاثية لبيان ماهية التصوف على وجه العموم . « التصوف على لسان الشريعة تصفية باطن القلب من الكدر، ومعاملة الناس بالخلق الحسن ، ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عمل ، وترك ماعلم ، أما على لسان الحقيقة فهو الخروج من الصفات البشرية والغنى بخالق السماء والأرض ، وعلى لسان الحق : التصوف هو عدم الصفات البشرية ، والتزين بالصفات الإلهية »[٣] ، وفى قول ذكر فى التذكرة : « التصوف الصبر تحت مجارى الأقدار ، والتقرب من يد الملك الجبار ، وقطع الصحارى والقفار[٤] » ، ولكن هذه الكلمات لا تقصد أكثر من الدرجات الأولى للتصوف .

---

(١) حلية : ١٠ / ٣٨٦

(٢) أنصارى ص ٤٥٧ ، سلمى ص ٤٦٤ ؛ سبكى ٢ / ١٤٤

(٣) السيرة : ١٢ / ١

(٤) تذكرة ٢٥ / ١٣١ ، طرائق ٢ / ٢٢٤ وزاد الانفصال عن الذات والبعد عن الآباء والأمهات .

أما الصوفى ، فهو من استصفاه الحق لنفسه ، [١] . وهو الذى خلع عليه الحق بعض أوصافه فهو قائم بين الخلق بالحق [٢]

ومن أجل الوصول إلى الله ، تلزم عبادة متصلة وقاسية [٣] وتشكل حياة ابن خفيف ورفاقه الفقراء مثالا لإقامة الرياضيات إلى أقصى درجة من التحمل ، والرياضة كما يقول : « كسر النفوس بالخدمة ومنعها عن الفترة [٤] » ، وهناك حكاية مشهورة ذكرت فى السيرة بهذا الخصوص ، تبين خصائص هذه البيئة بجلاء ، فقد ألقى الصوفى البغدادى أبو الحسين النورى ـ الذى لعب دورا هاما فى دعوة الحسين ابن منصور الحلاج ، والذى اشتهر بالمحبة والتضحية تجاه رفاق الصوفية ، ألقى بنفسه فى أجمة مليئة بالسباع ، من أجل أن يكسر نفسه الخائفة المرتعدة ، وهذه الرواية تعرضت لتوبيخ شديد من ابن الجوزى بالرغم من أنها لا تجاوز لب الحقيقة ، ولكن ابن الجوزى كان حرفياً ، ولهذا السبب كان عدوا لدودا للصوفية .

وهناك حكايات تشبهها نقلت عن ابن خفيف ، فعلى سبيل المثال : عض لسانه حتى تدفق منه الدم ، لكى لا يتناول اللقمة الثانية من لوز أحس باللذة عند تناول لقمته الأولى [٥]

---

(١) نفحات : ص ١١ .

(٢) السيرة : ١٢ / ٢ وللارتباط بين مفهومى كلمة الصوفى والصفاء انظر تذكرة ٢ / ٢٣٠ ، وص ١٣١ من نفس الكتاب فى ايضاحات تشابه كلمة التصوف مع الكلمات الأخرى .

(٣) عقيدة .

(٤) سلمى ٤٦٤ ـ حلية ١٠ / ٣٨٦ ، تذكرة ٢ / ١٣١

(٥) السيرة : ٢ / ٧

وهناك مثال آخر رواه مرشده أحمد بن يحيى ، فمن أجل أن يقوم ليلة عيد الأضحى فى ليلة شديدة الحر ، التوى لسانه حتى صار قطعة من الجلد ، ومع ذلك قام الليلة دون أن يشرب الماء[١] ، وكما وقف فترة طويلة فى الثلج وهو طفل[٢] كان يسير – وهو رجل – حافى القدم فى رمال الحجاز[٣] ، وقد أوصى مريديه بالصمت ، وقلة الأكل ، وقلة النوم ، وطبقا للكلمات الصوفية المشهورة : قلة الكلام ، قلة الطعام ، قلة المنام

وفى خطاب لشيخ ابن خفيف ، على ابن سهل أرسله إلى الجنيد ، أظهر الفوائد التى تعود على المريد من عدم النوم كما رجح السهر على النوم ، وهو – أى ابن خفيف – بقى فى هذا الأمر متتبعا لكل الصوفية الكبار. وقد ورد فى مصادر مختلفة منها السيرة ، فى نهاية حكاية عن شاه الكرانى أنه بقى أربعين سنة متتالية بلا نوم ، وبعد أن دهمه النوم صدفة رأى الله فى النوم ، ويضيف الهجويرى أنه خوطب من الذات الإلهية « لو لم تتجنب النوم أربعين سنة لما وصلت إلى هذه المرتبة » ، وفى حادثة ترويها السيرة ... كيف أن الجنيد بيّن أيسر السبل لمواصلة السهر ، ففى مجلس السرى السقطى كان من بين من أجابوا على هذا السؤال : ما الذى يمنع الإنسان من النوم ، وأجاب الجنيد « حينما يكون القلب عالما بأن الله مطلع على كل نفس يتنفسه فإنه لاينام »[٤] .

---

(١) السيرة ٢ / ١٠
(٢) السيرة : ٢ / ٣
(٣) السيرة ٢ / ٢٤
(٤) السيرة ٨ / ١٤

وقد جذب ابن خفيف انتباه كل المؤلفين المسلمين فى عبادته ، خاصة فيما يتعلق بالصوم . وقد ذكر الهجويرى والعطار أن الشيخ عند وفاته كان قد أتم صوم أربعين متتالية [1] ، أما السيرة فتورد الحديث عن امتناعه عن الطعام عدة مرات ، إلى درجة لا تصدق ، كما تحدث عن المقادير الصغيرة من الطعام التى كان يفطر عليها [2] وبالنسبة لكلماته هو يقول : « لم تجب على أداة زكاة الفطر أربعين سنة » [3] وقد وصف العطار هذه القوة الإنسانية وصفا شعريا [4] وبعض خيالات هذا المؤلف أنه اعتبر « خفيفا » لقبا ولم يعتبره اسما ، وذلك لأن كلمة « ابن » لاتكتب فى اللغة الفارسية ، فبين أن هذا اللقب لقوة روحه وخفة بدنه ؛ وأفكار ابن خفيف هذا الخصوص تشبه أفكار أبى سليمان الدارانى ، الذى قال بأن الجوع هو الكنز الذى يهبه الله لمن يحبه ويحفظه .

ومن الناحية النظرية ، بحث ابن خفيف مسألة الجوع والصوم فى واحد من أهم كتبه ، هو كتاب الجوع وترك الشهوات [5] ومما لاشك فيه أنه من الممكن باجتناب الطعام ، إخماد القوى الغذائية ، وتقليل احتياجات الجسم إلى حد كبير ، وفى ظل المراقبة

---

(١) كشف : ٣١٨ ، تذكرة ٢ - ١٢٥ .

(٢) السيرة : ٢ - ٥٢١ ، ٤ ؛ ٧ ، وكل المصادر الثانوية .

(٣) السيرة ٢ — ٤ ، رسالة ص ١٦٤ ؛ تذكره ٢ — ١٢٦ ، ذهبى ١١٤ وهلم جرا .

(٤) تذكره ٢ — ١٢٦ .

(٥) السيرة ١٢ ، شد : ص ٤٢ .

الدائمة للمسائل الروحية والدينية ، يستطيع المرء أن يبتعد عن كل اللذات الدنيوية ، ويقترب من حب آخر ، ويمكن أن يكون الشيخ الشيرازى قد عمر هذا العمر الطويل خاصة من رياضاته القاسية التى لا هوادة فيها ، وفى كل الأديان نرى الرهبان وكبار الزهاد يعيشون أعمارا طويلة ، وفى هذا الصدد نستطيع أن نلتقى فى السيرة بملحوظة طريفة جدا ، فقد افتصد الشيخ الشاب ، فخرج منه دم كأنه ماء لحم ، ومر طبيب بالصدفة ، فعالجه ، وقال بأنه ينبغى ألا يفصد شاب يقوم بهذه الرياضة ، وقد غاب ابن خفيف عن وعيه تماما ، ولم يسترد قواه إلا بعد أن أقام عدة أيام فى منزل الطبيب ، أخذ خلالها يمده بالأغذية المقوية[1] ويرى ابن خفيف أن الغاية القصوى من الزهد والرياضة ، هى التحرر تماما من الطعام والشراب[2] وقد وصف ابن شلوية بأنه ملك من الملائكة ، لأنه لم يأكل طعاما قط ، كما قال إن هذا من الغيب[3] .

وهناك رواية تقول إن هذا الشخص رؤى يأكل طعاما مرة :[4] ، وفى السيرة عدد كبير من الروايات عن الذين يقللون من الطعام إلى جوار الحكايات الأخرى ، التى تحتوى على موضوعات تجذب الانتباه[5] ولم يكن ابن خفيف — مع ذلك — يهدف إلى

---

(١) السيرة ٢ / ٥ ذهبى ١١٢ ؛ سبكى ٢ / ١٥١ ، تلبيس ص ٢٠٩ ، ابن عساكر ١٩١

(٢) السيرة ٤ / ٣٨

(٣) السيرة : ٤ / ١٩

(٤) السيرة : ٧ / ٣١

(٥) سبيل المثال : السيرة ٣ / ٢ ، ٧ / ٧ / ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٨ ، ١٢ ، ٥

أن يعيش حياته كلها دون طعام ، وهذا مايفسره الأحداث التى جرت له فى المدينة المنورة خاصة [١] ، وكما فقد من الجوع فى الحجاز كل شعره وثمانية من أسنانه [٢] ، بلغ فى المدينة أقصى درجات الجوع ، وقرر أن يأكل رأس سمكة وجدها فى الطريق وبالرغم من أن الفران رفض أن ينضج له هذه القمامة ، فقد ألقى بها ابن خفيف فى التنور ، ووقف يأكل الجزء الذى أصابته النار منها .

وهناك مع الفارق حكاية رأس الكلب – التى رويت فى كثير من المصادر – وهى داخلة فى هذا الموضوع ، فقد تأفف ابن خفيف من أكل لحم فاسد فى منزل جاره ، وبينما كان ذاهبا إلى الحج مع أصحابه بعد هذه الحادثة ، ضلوا الطريق ، ومن شدة ما أصابهم من جوع اشتروا كلبا من البدو ، فذبحوه طبقا للمذهب المالكى وطبخوه ، وخرجت قرعة الشيخ على رأس الكلب [٣] ، ومن أجمل صور هذه الحكاية ماورد فى نفحات الأنس ، إذ أنطق الله تعالى رأس الكلب وقالت له : « إن مايحدث لك الآن جزاء تأففك من ذلك اللحم » .

وبهذه الأمثلة الكثيرة يبدو ابن خفيف أمامنا زاهدا حقيقيا ، وقوله بشأن الزهد يوضح موقفه بالنسبة له : « الزهد سلو القلب

---

(١) السيرة : ٥ / ٣٢١

(٢) السيرة : ٣ / ١ ، وانظر تلبيس ص ٣٠٠ ، الذهبى ١١٣ ؛ سبكى ٢ / ٥٣ ؛

(٣) السيرة : ٣ / ١ ، رسالة : ١٧٣ ، تذكرة : ٢ / ١٢٦ ، شد ٢٢٣ ، نفحات ص ٣١٩

عن الأَسباب ونفض الأَيدى عن الأَملاك ، وحقيقة الزهد التبرم بالدنيا ووجود الراحة فى الخروج منها [١] .

ومن الواجب هنا أن نذكر أَقوال الشيخ الشيرازى ، التى تدور حول موضوعين آخرين من موضوعات التصوف ، هما الفقر والتوكل ، ومن المعلوم أن أَول كتاب كتبه ابن خفيف فى شبابه ونال عليه مدح أُستاذه هو كتاب « شرف الفقر » ، وذلك لأَن الفقر هو أَول مقام فى طريق التوحيد [٢] ، وبدلا من هذا العنوان الذى ذكره الديلمى فى موضوعين من سيرته [٣] ، ذكر فى شد الإزار باسم كتاب شرف الفقراء المتحققين على الأَغنياء المنفقين [٤] وربما كان العنوان الأَخير إذا صح ، مأْخوذا مباشرة من النقاط التى ثارت فى المناقشة ، التى قامت بين ابن عطاء والشيخ ، وكما ذكرنا آنفا ، كان ابن خفيف يتخذ موقف الدفاع عن أَفكار الذين يفضلون الفقراء على الأَغنياء ، من ضمن الصوفية ، ولابن خفيف كلمة أُخرى ، يضع فيها الغنى الشاكر فى مرتبة الفقير الصابر [٥] .

---

(١) حلية : ١٠ — ٣٨٦ ، رسالة : ٧٢ ، سبكى ٢ — ١٥٤ إحياء ٤ — ٢١٦ تذكرة : ٢— ١٣١ طرائق ٢ — ٢٢٥

(٢) هذا التفسير منقول عن اللمع عن نصر بن الهمام ص ٤٨

(٣) السيرة : ٢ — ٥ ، ١٢ — ١٠

(٤) شد ٤٢

(٥) السبكى ٢ — ١٥٥

وعلى هذا فالفقر ليس صفة ظاهرية فهو « عدم الأملاك والخروج عن أحكام الصفات[1] أى أن الغنى إلى مالا نهاية ، هو ترك كل شيء، والثقة بما فى يد الله ، وفى مثل هذا الفقر يكون الفقير مالكا لكل الدنيا حينما يخرج عن كل شيء .

وفى كلمة أخرى لابن خفيف أن الفقر مشتق من الفقار[٣] لأن الفقار هو الذى يقيم الهيكل العظمى ، وبهذه الصفة يصير ضعيفا كل من يقال له فقير ، أى أن مثل هذا الإنسان يحتاج إلى معين أو مساعد، والفقير بالروح : يستطيع أن يعيش بعون الله ومساعدته فحسب ، والصفات الفريدة للفقير الحقيقى أن يصبر حينما لايكون مالكا لشيء ، وأن يوثر جيرانه بما يأتيه ، وأن يسكن عند البلاء والامتحان[٣] .

وقد اتخذ مفهوم القناعة مكانته بين هؤلاء الفقراء، والقناعة عند الصوفية هى أساس الرضا ، وعند ابن خفيف « القناعة الاكتفاء بالبلغة ، وحقيقة القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود »[٤] ، وقد بقى ابن خفيف منذ شبابه مخلصا لأقسى معانى الفقر ، ومعروف من الرواية التى نقلها الغزالى فى كتاب الفقر دون أن يذكر اسم الشيخ ، نفس الرواية الموجودة فى كافة المصادر

---

(١) تذكرة : ٢ — ١٣١ ، طرائق ٢ — ٢٢٥ ، وانظر أيضا الرسالة : ١٦٣ ، والنفحات : ١١ .

(٢) السيرة ١٢ — ١

(٣) السيرة : ١٢ — ١

(٤) حلية : ١٠ — ٣٨٦ ؛ تذكرة ٢ — ١٣١ ، طرائق : ٢ — ٢٢٥

أن ابن خفيف طاف فترة بالمزابل يجمع الخرق وغسلها وخاط منها مرقعته[١] ؛ والدعاءُ الذى كان يقوله طول حياته ؛ وتحقق عند وفاته ؛ ألا يكون مالكا لشيءٍ عند وفاته ، وألا يكون مدينا لأحد ، وألا يكون على عظمه لحم .

أما بالنسبة للتوكل ، فهو عند ابن خفيف « الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه »[٢] . وقد عرف مرشده رويم التوكل بكلمة مشابهة بأنه الاعتماد على وعد الله . وقد نظر كثير من الصوفية إلى رويم نظرة عدم احترام ، لأنه فى شيخوخته جمع المال ورعى أسرته ؛ كما جاهدوا فى منع ابن خفيف من الدخول فى حوزته[٣] . ولنا أن نعترف أن رويما ابتعد عن سلوك إبراهيم الخواص ، الذى كان يعد مثالا للتوكل فى عصر التصوف القديم ؛ وقد تجول هذا الصوفى فى الصحارى لسنوات ، بل ورفض صحبة الخضر على ماتروى الحكايات . وبالرغم من ذلك علينا أن نشير إلى حكاية واردة فى السيرة ، ونقلها جامى ، فحواها أن صاحبًا للجنيد هو ابن زيزى ، لم يعجب بتصورات الخواص بشأن التوكل . وتحداه أن يتجول فى الصحراءِ فى غير مرقعة الصوفية وفعل إبراهيم لفرط ثقته فى نفسه ؛ وبدأ منذ ذلك الحين يفهم المفهوم الحقيقى للتوكل وابتلى بالعناءِ والألم[٤] .

---

(١) إحياء علوم الدين : ٤ — ٢١٠

(٢) حلية : ١٠ — ٣٨٦ ، ، سبكى ٢ — ١٥٤ ، شذرات ٣ —٧٦

(٣) السيرة : ٦—١ ، وهناك حكاية مشابهة تماما حول زيادة الزجاج لرويم . طرائق ٢ — ١٩٨

(٤) السيرة . ٦ — ١٧ ، نفحات الأنس : ١٣٢ ، ١٣٣

ويرى ابن خفيف[١] أن الكسب لايضر التوكل . وقال «إذا صح التوكل لم يضر الادخار» ، وعلى كل امرىء لم يصل إلى التوكل الكامل أن يبدأ فى كسب معاشه ، ومن هنا كان هو نفسه يكسب معاشه من حرفة ، والنموذج الأول لمسألة الكسب ، يرى فى حياة أستاذه المحدث الزاهد العتايدى ، فهو ممثل للزمرة الورعة . وكان يرعى أوامر الحلال ومناهى الحرام[٢] . فقد أقام فى منزله دون أن يكون فى هذا المنزل شىء من أسباب الحياة ، ولم يوجد فى منزله شمعة واحدة . وكان يرى الانشغال بالدنيا غفلة ، وبعد أن سوى شعرة من محاسنه استغفر ، ذلك أنه قام بهذا التصرف عن غفلة ، وما يشابه هذه الأحوال معلوم أيضا عن هشام بن عبدان ، فقد حرم على نفسه شاة كانت له أكلت من حقل جاره مرة واحدة ، ومنحها لجاره هذا ،وحينما دعى إلى وليمة لم يعط نصيبا من حلوى قدمت له إلى أحد مريديه ، ذلك أن صاحب المنزل أكرمه بالدعوة إلى الطعام فقط لا إلى المنح ، وبالرغم من ذلك فإن المريدين أخذوا يتقاذفون الحلوى سخرية من هذا المنطق .

والعتايدى ومريدوه يغلبون الخوف ، هذا الخوف الذى يعبر عنه ابن خفيف بأنه : «اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود» ، كما أنهم يعيشون فى ظل الحزن ، وهو عند ابن خفيف «حصر النفس عن النهوض فى الطرب»[٣] .

---

(١) انظر العقيدة .

(٢) السيرة : ٧— ١٠ — ١٤

(٣) [illegible] ٠ ٨٣ ، تذكرة ٢ — ١٣١

وحول الخوف والرجاء : أعطى ابن خفيف درسا لهشام الفوطى في مكة[1] ، فحينما سأله الأخير : هل الرجاء والخوف ضدان أم غيران ؟ أجاب : بأنهما فى المعنى ضدان لأنهما لايجتمعان فى شخص واحد فى زمان واحد ، أما فى التوحيد فيمكن أن يجتمعا معا ، فقد أراد أن يقول ، إن ذلك الشخص المستغرق فى التوحيد والذى تجاوز عن مختلف المقامات والأحوال ، بالرغم من أنه إذا كان فى حال الخوف لايمكن له أن يكون فى حال الرجاء ، إلا أنه من الممكن اجتماعهما عنده فى آن واحد . وبالرغم من أن الخوف والرجاء ضدان تماما ، إلا أنهما مرتبطان معا ، وآثار الشيخ لاتدور حول الخوف فقط ، إذ نلتقى عنده بأقوال عن الرجاء أيضا . فالرجاء الذى بينّا سلفا أنه ضد الخوف تماما هو : «ارتياح القلب لرؤية كرم المرجو المحبوب »[2] وفى قول أكثر وضوحا : « هو الاستبشار بوجود فضله وصحة وعده »[1] ، وفى تعبير أكثر قوة : « هو السرور بوجود وصلة »[4]

وكما أن الخوف طرف لازم للرجاء ، فإن الفقر والتوكل وكل الرياضات والمجاهدات التى يقوم بها الصوفية ، ليست وحدها الأسس التى تشكل التجربة الصوفية الداخلية التى تؤدى إلى الحضور ، إذ ينبغى فى نفس الوقت إظهار فدائية وتضحية تجاه الجماعة ، وحب بلا نهاية للبشرية . ويلعب هذا الجانب دورا لا يمكن إغفاله ، وبالنسبة

---

(١) السيرة ؛ — ٢٥ .
(٢) رسالة : ص ٨٢ .
(٣) حلية ١٠ — ٣٨٦
(٤) تذكرة : ٢— ١٣١ ، طرائق ٢ — ٢٢٥

لقول أبي الحسين النوري الصادق إلى أبعد الحدود «الفقر هو إيثار الجار »[١] ، فالرحمة بالجار وحبه أسمى من كل أنواع الرياضة والزهد ، فإن «توجيه نظرة مليئة بالحب لأخ في الطريقة أفضل من الانزواء تماما في مسجد المدينة » على حد قول أحد الصوفية .

ويقول ابن خفيف : « إن الأكل مع الفقراء قربة إلى الله تعالى »[٢] ، وهو يوصف من مريديه كمثال للرحمة والتسامح والحب[٣] . ويقال إنه لم يغضب في حياته سوى ثلاث مرات ، إحداها لأن جنديا دخل المسجد خلف كلب ليقتله كما أمرت حكومة شيراز .

ومن الطبيعي جدا أنه كان يقدم المساعدة للإخوة المتعبين في سياحاته[٤] وله كرامة خاصة به ؛ وهي أنه كان يصلح بين المتخاصمين والمتعادين[٥] .

ويدخل في هذا الباب الحكاية التي نقلها كل المؤلفين ، والتي رواها الديلمي[٦] ، حكاية مرض أبي طالب الخزرجي[٧] ، فقد أصابه إسهال حينما جاء إلى شيراز فرعاه ابن خفيف ، وقد غلبه التعب ذات ليلة فنام ، وأيقظه المريض بقوله : « لعنك الله » ، وقد

---

(١) حلية : ١٠ — ١١٢

(٢) شد : ٧٧ ، S 75 a

(٣) السيرة : ٢ — ١٠ ، ١٧

(٤) السيرة ٣ — ٤

(٥) السيرة ٢ — ١٨

(٦) السيرة : ٨ — ١

(٧) عند الأنصاري : مرشده ص ٤٦٥

تقبل ابن خفيف الكلمة وكأنها «رحمك الله» ، ذلك أن كلمة المرشد للمريد رحمة .

وطبقا لرواية أخرى لهذه الحكاية عند الديلمى أنه قال له متسائلا «إذا لم تستطع أن تقوم بخدمة البشر فكيف تقوم بخدمة الله» ؟ وربما كان لكل رواية من هذه الروايات حقيقة داخلية [١] ، فهل نعتمد على هذه الحكاية المشهورة التى رواها أحد مريديه وقال : إنه رآه فى النوم ، وأنه أى ابن خفيف شفاه من رؤيا من مرض القولنج [٢] ، ونعلم أن عددا من زهاد شيراز كانوا مشغولين بمثل هذه الأعمال : أى الرعاية الخاصة للمرضى [٣] .

وهناك حكايات مختلفة تبين أن التقوى الحقيقية والسير فى طريق الله عند ابن خفيف شرطهما البشر والتواضع ، وفى أثناء درس حصره البول ، ثم نزل منه غصبا ، وهذه عنده من خصال الأطفال ، فأخذ يبكى لأنه تحدث فى خصال الأولياء ، ولم يتخل عن خصلة من خصال الأطفال [٤] ، وقد وصف أبو طالب الخزرجى نفسه بأنه مذنب من المذنبين [٥] ، وأشار المحدث الأزركانى إلى نفسه بنفس هذه الإشارة [٦] .

---

(١) سلمى : ص ٤٦٤ ؛ انصارى : ض ٤٦٥ ؛ تذكرة : ٢—٢٣٠ ؛ سبكى : ٢—١٥٣ ، نفحات : ٢٤٨— ٢٤٩ ، ٧٥ ب ، طرائق ٢ — ٢٢٠ ، شد ٧٦ ، اعلام ١١ ب .

(٢) السيرة : ٩ . ١٠

(٣) السيرة : ٨ — ٧

(٤) السيرة : ٢— ١٣

(٥) السيرة ٨ — ٢

(٦) السيرة : ٢— ٥

وكان ابن خفيف كعادة الصوفية ، مستعدا لإعطاء ملابسه التى لايملك غيرها لأحد رفاقه دون تردد . وفى شيخوخته كان كل جمعة يتصدق بكل أمواله وكل ثيابه على الفقراء قبل الصلاة [١] ، وطبقا للكازرونى « لقد أخذ وأعطى » [٢] .

وقد نقل الديلمى فى السيرة أمثلة شيقة ولطيفة عن مختلف الصوفية فى هذا الصدد ، وكتاب السلمى « آداب الصحبة » مفيد فى هذا الخصوص لأنه رأى عاداتهم فى هذا الموضوع عن كثب .

وأجمل الحكايات التى أوردها الديلمى فى هذا الخصوص وأكثرها تأثيرا ، هى التى يتناول فيها بعض أحوال أبى على الروزبارى العظيم ، وتجلى أمامنا هذه الروايات صبر هذه الشخصية ومسالمتها وتسامحها الذى لاينتهى ولا ينفد . لقد كان يعفو عن أى تجاوز وتعد من الغرباء ومن مريديه بابتسامة [٣]

وبينما كان الصوفية يقومون بهذه المساعدات دون انتظار منة أو شكر فإن بعضهم كان يحصل وفى الحال على جزاءات مادية كبيرة . وهنا على سبيل المثال حكاية الجنيد الذى منح كل ما يملك من دراهم لجارية كانت تبكى فى الطريق ، وذلك قبل أن يفى بحاجات زوجته النفساء وطفله الوليد ، وحين عاد وجد مطبخه مليئا بما يوكل ومنزله مليئا بما يلبس [٤] . وهناك رواية أخرى تبين أن الصوفية كانوا لا يأنفون

---

(١) السيرة : ٢-٢ ، السبكى ٢ -١٥١ ، ابن عساكر ١٩٢

(٢) Meir, *haz.* 46.

(٣) السيرة ٤ - ١٢ ، ١٣

(٤) السيرة : ٦ - ٣٦

من القيام بأحقر الأعمال . وهذه الرواية عن أحوال أبي محرز (أو أبي مزاحم)[١] ، فبينما كان أحد الشيوخ مشغولا مع مريديه بتنظيف خلائه ، جاء هذا المرشد العظيم لزيارته ، وفي الحال اشترك معهم في هذا العمل .

وبينما كان هؤلاء الزهاد مشغولين في صوم قاس ومستمر ، كانوا يفطرون بوازع من صداقة من ليس بصائم وصحبته ، أو من أجل صديق جائع[٢] ، وقد استثمل ابن خفيف هذا الأمر ، فحينما أفطر مرة ، أو مرتين نزولا على رغبة أحد مريديه ، أو شيوخه ، جاهد في أن يتقيأ ما أكله في الحال ، بالرغم من أن أحد شيوخه نهاه عن هذا العمل ، وفي أوقات أخرى ، لأن فيه نية المواصلة ، أجبر أحد أصدقائه الذين لم يكن في نيتهم الصوم على ترك الأكل ، وذلك لأنه ترك الأكل[٣] .

وكما ينبغي على الصوفي أن يفطر حبا في الآخرين ، ومن أجل أن يوفي مقاصدهم ، ينبغي عليه أيضا أن يشكرهم على ما قدموا من هدية ، وأن يتقبلها . ومثال على هذا الأمر ، المنعزل السريع الغضب الزجاجي ، الذي حير كل معارفه بقبوله لبعض ملابس أحضرها له ابن خفيف[٤] ، وهذا الصوفي بالرغم من إقامته بمكة اثني عشر عاما ، لم يكن يتحدث مع أحد . وبوساطة ابن خفيف بدأ في صحبة الشيوخ

---

(١) السيرة : ٧ — ٢٣ ، نفحات : ص ٢٤٠ — ٢٤١ ، طرائق : ٢ — ٢١٦

(٢) السيرة : ٧— ٣٥ ، ٣—٣ وانظر السلمي : كتاب الصحبة .

(٣) السيرة : ٢—٤

(٤) السيرة : ٧—٨

الآخرين[١] ، ومن المصادفات الغريبة أن كتاب «اللمع» ينقل قولا في الصحبة عن هذا الصوفي المنزوى تماما[٢] .

وبين الآن والآخر ، تبصر للحظة ابن خفيف من النواحي الإنسانية وطبقا لما رواه الديلمي ، كان الشيخ يضحك ويمزح مع أصحابه كأنه طفل[٣] ، وحتى في مناقشاته كان في بعض الأحيان يسوق أجوبة ذات جانب فكه تثير الحيرة[٤] ، وتثبت هذا حكاية رواها الديلمي : فحينما التقى في شوارع شيراز بمتصوف من أصدقائه شفى بدعائه أحد الأمراء سأله « منذ متى وأنت تزاول البيطرة ؟ » واشتهر الرجل منذ ذلك الوقت بلقب البيطار في المدينة[٥] . ومع ذلك فهذه الأحوال نادرة ؛ فالشيء الذى قدره ابن خفيف في حياته أكثر من أى شي هو القيام بدقة بشروط « تربية الباطن » بالنسبة للمريد . «فليس أضر على المريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات » .

وقد اتخذت كلمته هذه في هذا الخصوص ، مكانها فيما بعد في كتب الصوفية[٦] ؛ وقد أعطى من نفسه لمريديه أعظم قدوة في هذا الموضوع ، فكان يبدى في طفولته وشبابه حماسا لا يمل في القيام بالصلاة ،

---

(١) السيرة : ٤ — ٢٣

(٢) اللمع : ص ٧٧

(٣) السيرة : ٢ — ١٨

(٤) السيرة ٤ — ٢٣

(٥) شد ١٠٥

(٦) رسالة ٣٧ ، سلمى : ص ٤٦٥ ؛ انصارى ٤٦٩ ، نفحات : ٢٤٩ ، سبكى ٢ — ١٥٤ ، s 57 a ، طرائق ٢ — ٢٢٠ ؛ وانظر Zahiriten 68

وفى فترة صلى ألف ركعة فى اليوم [(١)] ، وقام بالصلاة ضعفا لأنه قعد لأن صلاة القاعد لها نصف أجر صلاة القائم [(٢)] ومن أجل أن يقتدى بالسنة المحمدية تماما لم يهمل فى المجاهدة فى أداء الصلاة على أطراف أصابعه رغم اعترافه بصعوبتها ، ورغم أنه لم يوفق [(٣)] ، وفى رواية للعطار أن عدم انشغاله بهذه الصلاة لرؤيا رأى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، أخبره فيها أن هذه الصلاة خاصة به [(٤)] ، وفى كتاب كاتب چلبى [(٥)] ، ذكر أن لابن خفيف كتابا فى الدعاء والمناجاة ، ولكن مثل هذا الأثر لم يذكر فى القوائم التى وصلت إلينا .

وليس ابن خفيف فقط ، بل كان كل الصوفية الذين عاصروه ، يشغلون ليلهم ونهارهم بالقيام بصلاة الفرض والنوافل ، وقد اعتبر امتناع هشام بن عبدان الصوفى الشيرازى عن القيام بالصلاة سنة — لأنه كان موجودا فى الوجد والاستغراق ، ومحترقا فى عشق عميق — امتحانا عند كل الصوفية [(٦)] . ونفس هذا الصوفى كان قبل ذلك يرى أثناء الصلاة فى حال من الوجد ولا يوصف . وهنا تخرج لنا المشكلة التى ثارت فى التصوف القديم : هل يجد الصوفى آخر درجات السمو الروحى — أى الوصال — أثناء الصلاة ؟ أم أن الإنسان الموجود

---

(١) سيرة : ٢ / ٩ والركعات التى صلاها والآيات التى قرأها تزداد بمرور الأيام ، ويقول صاحب الطرائق أن الشيخ قرأ فى يوم واحد سورة الإخلاص اثنىعشر ألف مرة ٢٠ / ٢٢٣

(٢) ١٦/٢ ،

(٣) ٢ / ٦ ، شد ٤٤ سبكى ٢ / ١٥١ ، وابن عساكر ١٩١ ، ذهبى ١٢١

(٤) تذكرة ٢ / ١٢٧

(٥) رقم ١٠٣٧٣ .

(٦) السيرة ٧ / ١٦ ، ٢٠

فى ساحة العشق الإلهى يدخل فى الصلاة فى أوقات معينة ، كمانع يفصله عن هذا الوصال ؟ والإمكانان عولجا من قبل الصوفية الكبار ، والأجوبة التى قيلت فى هذا الخصوص عرضناها فى مكان آخر .

ولأنه من المظنون أن دعاء الصوفية مستجاب ، فإن هناك حادثة خاصة تبين أن الناس سألوا ابن خفيف وأصدقاءه الدعاء[(١)] ، ولكن الصوفية كانوا يسألون لأنفسهم الفقر ، أو الحب فى مواجهة الفقر[(٢)] . وذلك بالنسبة لنماذج دعائهم التى وصلتنا . ولم تنقل لنا السيرة مناجيات وأدعية جميلة لابن خفيف ، وهذا يشير إلى أن متصوفة شيراز فى ذلك الزمان كانوا يعطون الأهمية الكبرى للزهد والرياضة .

ومع ذلك ففى هذه البيئة ، جرى الذكر بكثرة . وقد تحدث ابن خفيف عن الذكر بأنه آخر الفكر[(٣)] ، ونعلم أن أحد أصدقائه بينما كان ذاهبا إلى مرشده أبى سعيد الدقاق قرأ سورة الإخلاص ألف مرة[(٤)] ، وذلك أن الشيخ قال : إن سورة الإخلاص بتمامها ، والكلمات التى تشير إلى وحدانية الله فيها كنموذج لكل الذكر ، وشرط الذكر عنده أن « من إذا ذكره ذكره بتمام وحدانيته » .

والكلمات التى قالها ابن خفيف ، ونقلها عنه كل من أبى نعيم والشعرانى بشكل مختصر[(٥)] يبدى فيها الفرق بين

---

(١) السيرة : ١٠ / ٦

(٢) السيرة : ٤ / ١٣ ، ١٧

(٣) السيرة : ١٢ / ١

(٤) السيرة : ١٠ / ٨

(٥) حلية : ١٠ / ٣٨٦ ، طبقات ١ / ١٠٣ .

الذكر الظاهر ، أى التلفظ بكلمات الحمد والثناء بانتظام ، والذكر لباطن وهو عبارة عن المجاهدة باللسان الروحى والقرب من المعرفة ، وباختصار الاشتغال الدائم بالحقائق الإلهية ، وفى حين أن وجود المذكور واحد ، فإن منافع الفكر مختلفة تبعا للمقام الذى يوجد فيه الذاكرون : فذكر الخائفين يكون على مقدار قوارع الوعيد أما ذكر الواجدين فعلى ما استبان لهم من مرعده ، وذكر المتوكلين غير ذكر العارفين .

وتشير إلى هذا حكاية زيارة ثلاثة من الصوفية لأبى بكر الشعرانى ، فقد هاجم الصوفى الأخير لضحاك بشدة ، لأنه يذكر بكلمة الحمد لله ، فى حين أنه من الواجب أن يذكر بكلمة الاستغفار فقط[1] .

وهذه الكلمة الأخيرة ، أشار الشيخ إنها كانت تجرى فى الاجتماع المثير الذى وقع فى مكة بجوار جامع أبى قبيس ، فحين نزل الشاب ابن خفيف مع الصوفية فى مكة ، لم يميز من همهمتهم إلا حرف السين ، واستدل من ذلك أنهم يرددون كلمة الاستغفار[2] .

وفى بيئة ابن خفيف ، كانت تقام مجالس السماع ، وقد تعلم ابن خفيف أصول السماع من مرشده أحمد بن يحيى ، وهذا الصوفى بشهادة مريد موثوق به ، كان واجدا قويا لدرجة أنه كان يظهر أشياء

(١) السيرة : ٧ — ٩

(٢) السيرة : ٧ — ٣٢

خارقة للعادة فى وجده ، فكان يمسك بالفحم الملتهب ، والنار المتأججة دون أن يلحق به أذى[١] . ونعلم من رواية كيف أخذ يدور أثناء الوجد . ومع ذلك ، فابن خفيف كان يرى مثل كبار الصوفية فى زمان ، إن السماع بالنسبة للمبتدئين غير ذى فائدة ، بل إنه مضر ، أما للمتقدمين فهو مباح . ويعتبر الصوت الحسن حظا من حظوظ الروح ، وبالرغم من ذلك فقد كان يفضل ترك السماع جملة ، وذلك لكثرة آفاته[٢] .

وعلى كل حال فلعله ضمن كتاب السماع[٣] أفكاره هذه ، وقد كان ابن خفيف يعلم مخاطر السماع ، وقد سقط مريده الأشنانى ميتا لسماعه عدة أبيات ، فاستدعى ابن خفيف قوال هذه الأبيات ، وأمره بألا يكرر غناءه هذا الذى يسبب المصائب ، وغاب عن وعيه أربعة أيام « ودفنوا الأشنانى ولا علم للشيخ »[٤] .

أما الوجد — عند ابن خفيف — فهو « أن تضىء واردات الحق فى الأسرار ، فتجذب إليها الأرواح ، فتجد القلوب من ذلك نسيما[٥] » ، أى أن هذه الحركة تنبثق من مركز القلب (السر : موطن المشاهدة) ، عن طريق الروح (وهى مكان المحبة) ، فتذهب إلى القلب (وهو مكان المعرفة) وقد فسر القشيرى ذلك على نسق أوضح .

وقوة الوجد تثير الحيرة أحيانا ، وأثناء قراءة القرآن أجريت جراحة ، قطعت بها ساق صوفى ، استغرق فى الوجد[٦] . وكما أوضحنا

---

(١) السيرة : ١/٧ ، ٢ (٢) عقيدة .
(٣) لم يذكره صاحب شد الأزار (٤) السيرة : ٧ / ٣٤
(٥) السيرة : ١٢ /١ (٦) السيرة : ٦ / ٢٨

سلفا ، أن شخصا يسمى أبو الأديان مر على النار دون أن يهتز . وبعد ذلك رؤى حرق واحد فى قدمه ، وحينما سأله خادمه عن هذا الحرق ، أخبره أنه أصيب به لأنه عاد إلى نفسه لحظة وأضاف « إذا كان حضورى هذا من أول الأمر لاحترقت بأكملى[١] » .

ولأن ميدان الكرامة الحقيقى يبدأ بالفراسة ، فإن ابن خفيف مثل كل الشيوخ ، كان مميزا بهذه الصفة[٢] . ومن بين الحكايات التى تروى عنه فى هذا الأمر خاصة ، ماروى عن خادمه الذى طمع فى ملابسه ، فألقى بملابسه فى النهر وأتاه عاريا ، وقال الشيخ للخادم الذى جلس مرتعدا « كنت سأعطيك الملابس بنفسى ، ولم تكن بك حاجة ، لأن تخفى حاجياتك »[٣] ، وبالرغم من ذلك فلم يتحدث ابن خفيف عن كراماته كثيرا ، ولم يفخر بمثل هذه الأشياء ، وأطرف ما روى من كراماته الصغيرة ، هو ما روى أن أحد مريديه ، اشترى أشياء كثيرة من السوق ولم تنقص نقوده قط[٤] ، وهناك كرامة صغيرة أخرى من كرامات السياحة ، وهى أنه استطاع أن يتجاوز القافلة بالرغم من أنها سارت قبله[٥] ، وتتكرر بعض الحكايات فى السيرة بشأن كرامات بعض الشيوخ ، ومنها طى بشر الحافى للمسافات من أجل عيادة مريض[٦] ، وحكاية أخرى تشبهها للجنيد[٧] ولقاء الشيخ الدراج للمجذوم فى كل منزل من منازل الطريق[٨] ، وهذه

(١) السيرة : ٨ / ٢
(٢) السيرة : ٢ / ١٨
(٣) السيرة : ١٠ / ٤
(٤) السيرة : ١٠ / ٧
(٥) السيرة : ١٠ / ٢
(٦) السيرة : ٦ / ٢٥
(٧) السيرة : ٦ / ٢٧
(٨) السيرة : ٦ / ١٧

الحكاية الأخيرة التى تظهر قوة الضعفاء : قد انتشرت كما تنتشر حكايات ألف ليلة وليلة .

وذكرت السيرة – عدة مرات أيضا – أن أولياء الله يرون أمام أعينهم ما يغيب عن أعين الآخرين [١] . وقال ابن خفيف لتلك التى سألته عن حادثة اختفاء غلام فى الهواء ، أنه لم يختف حقيقة ، ولكنه دخل فى حال لا يراه فيها الآخرون بعيونهم ، وبهذا القول وضحت هذه الحادثة للغاية ، وإذا صحت روايات السيرة فإن أمثال هذه الأحداث ، كانت تثيره إلى حد كبير وتسترعى انتباهه . وطبقا لرواية نقلها الديلمى فى عطف الأليف ، أن نسوة الكرد جئن ذات يوم إلى ابن خفيف ، وأخبرنه أن صبيا راعيا أخذ يرتفع دائرا فى الهواء حتى غاب عن أبصار القبيلة ، وقد أثير الشيخ إلى أقصى درجة وأجاب موبخا على مريد سأله عن إمكان حدوث هذه الحالة ، فقال بحدة : « هنا بينكم من ينتظر أشياء كهذه » [٢] ، وبالرغم من ذلك ، فإننا لا نعلم هل وصل إلى هذه الحالة أم لم يصل برغم كل زهده ورياضته ، ولو كان قد وصل إلى هذه الدرجة ، لما كان فى ذكر الديلمى والمصادر الأخرى لها شك .

والولى الذى يعيش فى جدال مع نفسه ، من الممكن ألا يستريح فى هذه الحرب ، ومن ناحية أخرى من الممكن أن يتشجع ويأخذ قوة دائمة جديدة فى الطريق حين يرى الرسول وكبار المؤمنين .

---

(١) على سبيل المثال . السيرة ٩ /٩ — ١٠

(٢) السيرة : ١٠ / ١٠ ؛ ألف ١٥١

والسخرية من وساوس إبليس تعد وظيفة من أهم وظائف الصوفية وينتقد ابن خفيف على معاصريه غفلتهم وإهمالهم ، وله قول فى هذا الصدد ، اتخذ مكانه فى كتب كثيرة وكان ذلك لأهميته يقول :
«عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان واليوم يسخر الشيطان منهم »[١]
وهو يقصد بقول « عهدى » التصوف القديم ، وفى ذلك الزمان فى بداية القرن العاشر ، ناقش الدراج الشيطان ، فأجاب عليه — حين قال له إن أهم مداخله للصوفية صحبة الأحداث — قائلا : لقد تركنا هذا ياملعون ، وبالرغم من ذلك فإن الشيطان أجاب على سب الصوفى له بكل ظفر « وهذا أيضاً لا يجمل بك فالمؤمن لا يكون لعانا »[٢] ، وقد قام أبو الضحاك أحد أصدقاء الشيخ بمجادلة قاسية جدا مع الشيطان[٣] .

وحين نأتى إلى ابن خفيف نفسه ، من الطبيعى أن نجده موفقاً فى قتاله ضد الشيطان ، ومصداق ذلك حكاية المرأة التى رأت الشيطان فى النوم ، فسألته بأى شىء تدفع عنها وساوسه ، فأجابها بأن تسأل ابن خفيف ، فذهبت إليه وأخذت نصيحته فى هذا الأمر[٤] وبالرغم من أن هذه الحكاية تبدو مصطنعة إلى حد ما ، فإنها تظهر إلى أى مدى كانت عقيدة الناس فى الشيخ الشيرازى الكبير .

وليست رؤية المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم بالشىء النادر ، فقد شرف ابن خفيف بهذا الأمر عدة مرات ، وإن لم تصل إلى

---

(١) السيرة : ٢ / ١٢ رسالة ٣٨ ، تذكرة ٢ — ١٣٠ ، سبكى ٢ / ١٥٤ ، S76a
(٢) السيرة : ٤ / ٢٠ (٣) السيرة : ٧ / ٣٨ .

عدد المرات التى رآه فيها النوم أبو بكر الكتانى أى إلى ستمائة مرة[١] .
وقد تجاوز الشيخ الشيرازى – فى النوم – السماوات برفقة جبريل ، وبعد أن رأى الأنبياء والأولياء ،وصل إلى العرش الإلهى ، ولكنه لم يزد فقال : « ورأيت مارأيت »[٢] ولأبى عبد الله خاصة رؤيا مشهورة جدا عرفه خلالها الرسول ، بأن كل من يسلك طريقاً فيه نجاته ، ثم يرجع عنه يعذبه الله عذابا شديدا ، وذلك مصداقاً للآية الكريمة «فَمَنْ يَكْفُر بَعدُمنكم فَإِنِّى أُعذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَالَمِينَ[٣] »

وهناك رؤيا أخرى تبين بعض المداخل لمشاهير الذين ساروا فى الطريق الصوفى ، فقد رأى فى بعض ما رأى أبا يزيد البسطامى فى نور سماوى[٤] ، وممشاد الدينورى فى وجده ومناجاته[٥] . ولا ينبغى أن ننسى رؤيا أبى إسحق الكازرونى ، التى اختار فيها الشيخ مرشدا له[٦]
وفى بعض رؤاه تحدث بعد الأحداث العجيبة ، ففى رؤيا رآها ابن خفيف عن عيسى عليه السلام ، تعتمد على الآية الكريمة « وأُنَبِّئُكُم بما تَأْكُلُون وما تَدَّخِرُون فى بيوتكم »[٧] في منزل أحد أصدقائه المسيحيين[٨] من مأكل ؛ وفى اليوم التالى طلب من صديقه هذا حين جاءَ لزيارته ما علم فى الليلة السابقة بوجوده فى منزله[٩] ، وحيره بشأن ذلك ، وهذه الحكاية فى رأينا ،لا تليق بمتصوف كبير .

---

(١) السيرة : ٤ / ١٤
(٢) السيرة : ٩ / ١
(٣) المائدة : ١١٥
(٤) السيرة : ٩ / ٣
(٥) السيرة : ٩ / ٥
(٦) تذكرة : ٢– ٢٩٢
(٧) آل عمران : ٤٩

وبعض الرؤى الأُخرى تبدو أكثر معقولية .فبعد رؤيا رآها أحد أصدقائه شجع الشيخ على إكمال تصنيف كتابه « جامع الإرشاد »[١] وفى ظل رؤيا أُخرى ، قرر أحد المريدين إكمال نسخ كتاب مرشده بعد أن كان قد مل منه[٢] ، وبالرغم من ذلك ، فإن مثل هذه الأشياء ، لا تلعب فى الطريق الصوفى ، إلا دورا ثانويا ، وبالنسبة لآخر أهداف الصوفية وهو الفناء فى الله ، فهو لا يبدو على جانب كبير من الأهمية ، فالرؤيا والكرامة وأمثالهما من مظاهر الدنيا الفانية ، والصوفى الحقيقى لا يبحث عن أمثال هذ الحوادث ، ويجاهد فى الابتعاد عنها ، وللشيخ مريد رآه فى رؤيا تطابق رغباته ، فقد أخبره الشيخ خلالها بأن الله قد غفر لكل من صلى عليه إلا أهل البدع وأهل الكتاب[٣] .

ونكتفى هنا بكلمات المؤرخين السبكى والكفوى ، الموثوق بهما ، والتى تدور حول ابن خفيف والاعتقاد فيه : « كان شيخا ترجى البركة من دعائه ، وتحصل على نعم سماوية جزيلة فى ظل دعائه »[٤] .

---

(١) السيرة ٩ / ٦

(٢) السيرة : ٩- ٨

(٣) السيرة : ١٣

(٤) أعلام : ١١٥ ب – والسبكى ٢ – ١٥٩

سيرة الشيخ الكبير
أبى عبدالله بن خفيف الشيرازى

مقدمة ابن الجنيد الشيرازى

[ص ١] الحمد والشكر لله جل جلاله ، الذى وهب النسيم النور على صفحات كماله ،والذى لا تصل كدورة العبارات إلى صفو جلاله ، ولم يكن لجياد الإشارات مركض فى ميدان كماله ، احترق الجناح الذى طار من عش الدماغ فى أوج هواء العقل من أجل إدراكه ،هو الراعى للحائرين فى بادية الحيرة عن المستقيمين ، وهو المكرم للمبعدين الملهمين أفضل من كل المكرمين .

والسلام على خاتم الأنبياء وخاتم الأسخياء محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذى عطر العالم بهبوط مقدمه المبارك ، وأقرت آذان الخلق (له) بحلقة العبودية ، وعلى عترته وصحابته الذين كانوا أنجما فى ملك المساعى ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

أما بعد ، اعلم أن الأتابك سعيد ، المرحوم الشهيد ، كان رجلا محمود السيرة ،يحب العلماء .ومن قبيل ذلك أنه كان دائما يتعرف على أحوال أولياء الله ، والسلف الصالح المتقدمين والسابقين ، ويطالع سيرهم وسلوكهم ،ويزين بها أيامه . وذلك لأنه علم ألا يتأتى النفع دون زاد (ص٢) ولا يمكن الصيد دون جواد ، ولا يمكن العثور على الجادة

دون معرفة سير الأَولياء ،فالتمس الرجل الذى سمع طرفا من سيرهم وسلوكهم ، وطلب من الإمام العالم، المرحوم الخالد الذكر الشهيد ركن الدين يحيي ابن مولانا شيخ الشيوخ ، سلطان المشايخ المحققين ، برهان الأَولياء المدققين ، معين الحق والشريعة والطريقة والدين ابن الجنيد ، أَيد الله ظلاله ، أَن يترجم سيرة الشيخ الكبير قدس الله روحه العزيزة إلى اللغة الفارسية ، حتى يجد منها كل من لم يحصل قدرا من العربية حظا تاما ، ثم إنه من أَجل الاعتقاد الذى كان له فيه . والاستعداد الذى رآه فى نفسه ، أَجرى الخاطرة من كل جهة ، وأَمر الفكر كيف يضعه ، فامتشق قلم التحرير فى بيان التقرير ، واشتغل بترجمته ، وزينه بأَفضل عبارة . وأَعد دواء يعالج به نفسه كل من أَصابهم مرض قلبي أَو علة روحية ، ولاشك أَنه يجد فيه شفاءه .وكل من أَراد أَن يزاول العلم والتذكير ، يجعل منه رأس ماله ،حتى يصل كل شخص إلى مراده ومقصوده ، ويجد الطريقة إلى مشربه. « قدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مشْربهمْ »[1]

شعر : لكل إنسان عمله . وكل إنسان وزاده .

ويعلم الجوهرى قيمة ديناره[2] .

---

(١) سورة البقرة آية ٦٠ .

(٢) قال صاحب تاريخ كزيدة عن هذه الأبيات « يقولون لم ينظم شعرا فى حياته إلا هذا البيت » ص ٧٨٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

(ص٣) الحمد والشكر لله جل جلاله ، الوحدانية نعت لجلاله ، والانفراد صفة لكماله ، والحمد والثناء للخالق الذى تنزهت ذاته عن الحلول فى المكان ، وتقدست صفاته عن الوقت والزمان ، العالم الذى يحيط علمه بأفلاك السموات وطبقات الأرض و «لايعْزُبُ عنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فى السَّمَوَاتِ وَلاَ فى الْأَرْضِ[1] » ، القادر الذى سخرت الكائنات لقضائه وقدره ، وانقادت الموجودات لحكمه وأمره ، وظهرت آثار قدرته على مخلوقاته ، ولاحت على الشمس والقمر دلائل تساطه ؛ و «الشَّمسَ والْقَمر وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمرِهِ[2] » ، والخير والشر بقضائه وقدره ، المريد الذى نيطت طاعة العباد ومعصيتهم بإرادته ، وارتبطت أعمال الخلائق بمشيئته ، « إنَّ الله يَفْعَلُ مايشَاء »[3] السميع ، الذى انتفت عنه الآفة والجارحة ، البصير ، الذى انتفت عنه البينية والجهة ، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىء وَهو السَّمِيعُ الْبَصِير »[4] ولتكن مئات الألوف ، من الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات ، على مقتدى الملة ، ودليل الأمة ، خاتم الأنبياء ، وسيد الأصفياء محمد المصطفى وعلى عترته وصحابته صلوات الله عليهم أجمعين .

(ص٤) اعلم أيها الباحث عن طريق الحق ، أن لكل طائفة سيرة معلومة وشرعة مقسومة ، وأفضل السير قاطبة ، وأكثر الشرائع

---

(١) سبأ ٣ . (٢) النحل ١٢ .

(٣) الحج ١٨ (٤) الشورى ١١

قبولا ، سيرة أولياء الله وشرعتهم ، وذلك لأن الولاية تلو النبوة ، وتوأم السنة ، وكما أن علوم الأنبياء صلوات الله عليهم لدنية ، وليس للعمل والكسب مجال فيها ، ولا للتعلم والتأدب مدخل لها ، فعلوم الأولياء على نفس النسق ، فهى تحصل دون تعليم معلم بشرى ، وتسفر عن وجهها دون اجتهاد مجتهد ، وذلك مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء »[1] ، ومراده بما ذهب إليه ، والمراد هنا من إحلال العلماء محل الأولياء ، أن علم الوارث يجب أن يكون من جنس علم الموروث أى مادام علم الأنبياء يحصل دون سعيهم ونصبهم وكدحهم ويصل ميراثهم إلى الوارث دون سعى أو مشيئة ، فإن حقيقة العلماء ورثة الأنبياء خليقة بالأولياء وواضحة ومبينة فى نعتهم .

وإذا أمعنت النظر ، لرأيت أن مقام أولياء الله تعالى لايقل عن مقام الملائكة ، ولاتقل قيمتهم عن قيمة المقدسين ، وذلك لأن أولياء الله يسبحون فى بحار التسبيح والتهليل ويبحثون فى رياض التمجيد والشهادة ، وقد أنقذوا بالكدورات البشرية (ص ٥) عن أنفسهم ، وجعلوا الآية الكريمة «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَايَفْتُرُونَ » حلية أيامهم ، وهذا هو نفس حاصل أمر الملائكة .

---

(١) ورد هذا الحديث فى الأحياء : الحلماء العلماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ٤ — ٣٤٤ وورد بنصه : العلماء ورثة الأنبياء تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحر رواه ابن النجار عن أنس . الجامع الصغير للسيوطى ٢ — ٥٩ . المترجم .

(٢) الانبياء — ٢٠

والآن فاعلم أن المشايخ قد اختلفوا فى المقامات ، وتفاوتوا فى الأحوال ، وقد غلب الحال بعضهم ؛ وفى استغراق الحال وغلبة السكر ، كانت تجرى على ألسنتهم بين الحين والحين بعض الغرائب . ويظهر منهم بعض ما يخالف الشريعة ، وبعضهم كانوا يظهرون الاستقامة على جادة الشرع ، ويأخذون مددهم من مادة الدين ، حتى جمعوا بين علم الدين والشريعة واليقين ؛ والعمل أيضاً بظاهر الدين ،ولم يحيدوا قط عن جادة الشرع ، ولم يجوزوا التعدى على الملة الحنيفية ، وكان الشيخ الكبير أبو عبد الله محمد ابن خفيف . قدس الله روحه من هذه الطائفة ، وكان قد حصل العلم والعمل بأعلى درجاتهما ، وحاز قصب السبق على أقرانه فى محاسن الذات وفضائل الصفات ، ولم أر فى طبقات الشيوخ من دعى «بشيخ المشايخ والشيخ الكبير »غيره ، وقد أورد عبد الرحمن السلمى فى طبقاته : « كان أوحد المشايخ فى وقته حالا »[1] وقد تجاوزت تصانيفه فى علوم الظاهر والباطن الثلاثين عددا ، أما ما سمع عنه فقد جاوز الحد والحصر ، وقد لحق بشيوخ عديدين وغنم صحبتهم ، وزاول الرياضة إلى غير حد ، واستغرق أوقاته فى الخيرات والطاعات ، بحيث كان يروى الأحاديث والناس يستمعون له وهو (ص ٦) راقد فى مرض الموت واكتفى بهذا القدر من أوصاف هذا الفذ . فنعته بحر لا ساحل له وستذكر أوصافه بالتفصيل فى ثنايا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) المترجم : «وكان عالما بعلوم الظاهر والحقائق ، أوحد المشايخ فى وقته حالا ،وعلما وخلقا » .

طبقات السلمى تحقيق شريبة ص ٤٦٢ القاهرة سنة ١٩٥٣

وبالرغم من أن أبا الحسن الديلمى مصنف السيرة ، قد صنف كتابا مبوبا وطيبا ، إلا أنه لم يذكر فهرسا فى مقدمة الكتاب ، وقد رأى — هذا الضعيف — من الصواب ، أن يذكر فهرسا فى مقدمة الكتاب ، وأن يعدد أبوابه وفصوله حتى يقف القراء من البداية على مضمونه ، ويطلعوا على ما فيه من حصيلة .

وقد صنف هذا الكتاب فى ثلاثة عشر بابا ، وفى كل باب عدة فصول فى موضوعه :

الباب الأول
فى ذكر مولد الشيخ قدس الله سره العزيز ونشأته

[ص ٨]

فصـــل (١)

قال أبو الحسن على بن محمد الديلمى مصنف هذه السيرة : سمعت من الشيخ رحمة الله عليه قال : «كانت كنيتى فى زمن الطفولة أبا الحسين ، وبها عرفت » وكان أهل الشيخ من الديلم . ونشأته فى فارس ، ومولده فى شيراز .

أما صفته فهى أنه بذل المجهود فى مقام « تخلقوا بأخلاق الله »[1] وحصل فى رياضة النفس وتهذيبها على المرتبة العليا ،ولم يغفل دقيقة قط فى تتبع الأنبياء والاقتداء بسيرهم ، وكل من اتصفوا فى زمانه بالعلم والدين ، واتسموا بالشرع واليقين ، اعترفوا بكمال فضله وتقواه ، واتفقوا عليه ، وأقروا بعمق ورعه وتقواه وفتواه .

ولا يتصف امرو قط بهذه الصفات الحميدة . والخصال المرضية إلا بإلهام ربانى ، وإفهام سبحانى ، لتكن مئات ألف من الرحمة ،ونثار المغفرة من حضرة ذى الجلال على تلك الذات الشريفة ، وعلى مرقدها المطهر .

---

(١) المترجم : الحديث الشريف « تخلقوا بأخلاق الله» ذكر فى الأحياء ٢ / ١٨ مسبوقا بلفظ قيل وهذا يعنى انه ليس من احالأديث وإن ذكر فى الكتب المتأخرة كحديث. كما ورد أيضا «تخلقوا بأخلاق » .

فصـــل (٢)

[ص ٩] لنعد إلى شرح نسب الشيخ : اعلم أن والده كان من ضمن قواد عمرو بن الليث ، وكان عمرو بن الليث هذا من الديالمة. يقول أبو الحسن الديلمى : سمعت من الشيخ أنه قال : كان أبى من كلاشم [1] ، وهى إحدى مدن الديلم . وقال الشيخ أيضاً : نحن من بنى ضبة وكل الديلم من بنى ضبة . ويروى أبو الفتح عبد الرحيم بن أحمد وهو رجل كان له فى نقل حكايات الشيخ وأحواله قدم راسخ : سمعت من الشيخ أنه قال : كانت أمى من مدينة نيسابور من بنات الكرامية [2] ، والسبب فى أن والدى خفيف تزوج منها أنه حينما نزل خراسان مع عمرو بن الليث ، تاب عن الجندية وعاد إلى الله تعالى ، ونزل فى دار واحد من الكرامية ، وكان شيخا لهم ، وحينما رأى فيه دلائل السداد والصلاح والرشاد زاد فى إكرامه ، ولم يغفل قط فى شرط من شروط الشفقة ، وزوجه ابنته ، وبعد ذلك عاد أبى خفيف إلى الجندية ، واتجه إلى شيراز ، وكانت أمى قد حملت بى فولدت فى شيراز .

---

(١) لم ترد فى معجم البلدان ، ولا فى نزهة القلوب ، ولا فى بلدان الخلافة الشرقية للسترانج (المترجم)

(٢) الكرامية أصحاب أبى عبد الله بن كرام ، وهم إحدى فرق السنة التى غالت فى التشبيه والتجسيم . وكانوا من ألد أعداء الحركات الشيعية فى عهد السامانيين ثم فى عهد الغزنويين انظر الملل والنحل بهامش الفصل ١ ص ١٤٤ وما بعدها (الطبعة الأولى بمصر) ، وانظر : تاريخ علوم عقلى در تمدن اسلامى . ص ٢٦٥ . لذبيح الله صفا . المترجم .

وفى المرة الثانية التى عاد فيها عمرو إلى خراسان كان الشيخ فى الشهر الثامن من عمره ، روى عبدالرحيم : سمعت هذه الحكاية على هذا الوجه من والدة الشيخ .

[ص ١٠]

فصـــل (٣)

روى أبو الحسن الديلمى : سمعت من الشيخ رواية عن أبيه أن عمربن الليث[1] حينما نزل مدينة نيسابور ، أمر بأن ينادى كل من يكتب إليه مظلمة ، أو يقدم شكاة ، تقطع يده ، وتعلق مظلمته فى السوق حتى يعتبر الناس ولايتظلمون. وحينما رأى الخلق هذا الحال وسمعوا هذا النداء ، اغتموا وعراهم من الهم الكثير وكل من كان يحيق به ظلم ، لم يكن يجد المجال لإظهاره ، أو الشكوى منه ، أو التحدث به مع آخر . فأجبروا على الصمت ، وكتمان ظلم الظلمة وجور الجائرين فى أنفسهم .

وحينما مرت فترة على هذا الحال ، ركب عمرو بن الليث ذات يوم فى عسكره ، وكان قواده ، يسرعون أمامه ، يفرقون القوم ويبعدونهم كعادة الملوك والسلاطين . وفجأة نادى شخص صفى باطنه عن كدورات الأحوال ، والانشغال بالأهل والأموال وقال : ياعمرو بن الليث توقف لحظة ، فأنا أريد (ص١١) أن

---

(١) عمرو بن الليث الصفار : أخو يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الأسرة الصفارية التى نازعت الخلافة العباسية السلطة على المناطق الشرقية ردحا من الزمن . وبلغ الأمر إلى الحرب بين يعقوب والخليفة العباسى المعتمد على أبواب بغداد . وظل الصفاريون شوكة فى ظهر الخلافة حتى سلط عليهم السامانيين فقضوا عليهم . المترجم .

أتحدث معك ، فلوى عمرو بن الليث العنان ووقف لينظر مايقول ، فقال ذلك الشخص : ورب النَّاس ، إن لم ترفع الظلم من بين الخلق ، وتقم بحاجات الناس . لتوجهت إلى حضرة الله تعالى ، وحولت القلب عن مشاغل الدنيا ووساوسها ، ولتضرعت واستغثت حتى يسلب الله النور الباقى فى عينيك . فأَجاب عمرو : سمعا وطاعة وأَمرك من جملة الواجبات ، ثم أَمر بأَن ينادى فى المدينة : لقد رفعت الظلم بين الخلق ، وكففت أَيدى الظلمة عن المظلومين . فقال المقربون من عمرو له : لقد رأَينا منك اليوم أَمرا عجبا ، فقد سلمت أُذنك إلى ذلك الشخص ، وأَصغيت إلى كلامه . فقال عمرو : اصمتوا فقد خفت إن لم أنفذ إشارته أَن تميد بى الأَرض وأَهلك .

(ص ١٢)

الباب الثاني

في ابتداء أحوال الشيخ و إرادته ومجاهداته في العبادة

وأول من قابل من المشايخ . وفيه عدة فصول

فصـــل (١)

(ص١٢) كان أول من حضر عليهم الشيخ ، وتأدب على يدهم وتهذب أبا العباس أحمد بن يحيي . قال الشيخ : حينما أردت في زمن الطفولة أن أشرع في أحوال الآخرة ، وأن أجد نصيبا عن عالم الملكوت . كنت أتردد على أحمد بن يحيي ، فقال لي ذات يوم : اتبعني ، فتبعته حتى وصلنا إلى دكان قصاب فقصد. أحمد الدكان . واشترى قطعة من اللحم وقال لي : احمل هذا اللحم بيديك ، واذهب به إلى منزلي (ص ١٣) ثم عد إلي . فأخذت اللحم ، وذهبت إلى أحد المساجد ، ووضعت اللحم أمامي وأخذت أفكر : هل أحمل هذا اللحم بنفسي . أو أكترى حمالا . وبينما كنت أفكر في هذا الأمر تذكرت قول أحمد :احمل بيديك ، فرجحت إشارته على إرادتي ، وحملته بنفسي ، وأوصلته بنفسي إلى منزله ، ثم عدت إليه ، وحدثته بما جرى ، فابتسم الشيخ وبشرني قائلا : هذا دليل على ماسيكون لك من مقام عظيم عند الله تعالى .

وهذه واقعة حكاها الشيخ مع أستاذه أحمد رحمهما الله[1]

قال الشيخ : كان من عادتى ألا أتناول طعاما بعد المغرب ، حتى أنتهى من أورادى . وذات ليلة أتت أمى ببعض الرطب ، وكنت فى الصلاة ، وخطر لى أن آكلا أولا ثم أشتغل بالصلاة ، وفى اليوم التالى ، نقلت هذا الأمر إلى شيخى أحمد بن يحيى أثناء المحادثة فضحك وهنأنى قائلا : طوبى (ص ١٤) لمن كانت هذه سيرته وطريقته ، وكانت هذه أول واقعة أسأل فيها الشيخ أحمد .

وقال الشيخ قدس الله روحه : خطر لى ذات يوم ، أن أشتغل فترة بدراسة الحديث ، وأن أحصل على طرف من علم الأخبار والسنن . وفى ذلك العصر كان هناك اثنان مشهوران بعلم الحديث ونقل الأخبار ، أحدهماعبد الله بن أحمد الشاردانى[2] ، والآخر : عبد الله بن جعفر الأزركانى .

ورأيت أن مشاورة الشيخ أحمد بن يحيى فى هذا الأمر واجبة ، كما رأيت أن أستعين بهمته . فأرسل الشيخ أحمد إليهما ،فاستدعاهما وأوصاهما بى خيرا ، حتى لايبخلا على بمعروف ، ويبذلا الجهد المطلوب ، ثم أخذت أذهب إلى مجلسهما كل يوم ، استملى الحديث من فيهيهما ، وأقتبس من الفوائد الأخرى .

وذات يوم قال لى عبد الله الأزرقانى : ياأبا عبد الله . يلزمك اليوم أن تشاركنا فى صلوات النوافل ، ونرجىء درس الحديث إلى

---

(١) هكذا فى النص باللغة العربية .

(٢) لم أجد ترجمة له فى السمعانى . المترجم .

يوم (ص ١٥) آخر . فقلت : الأمر ما أراد الشيخ . وإلى أن حانت صلاة العصر ربما صليت ألف ركعة .

فصـــل (٢)

قال الشيخ قدس الله روحه : كنت قد نظمت أوقاتى فى زمان نعنفولة من الصباح إلى المساء . ومن المساء إلى الصباح ، بحيث لم أكن لأضيع لحظة واحدة .

فنى بداية النهار حينما يشرق الصباح ، كنت أقوم بصلاة الفرض ، واشتغل بقراءة القرآن . وذلك حتى ترتفع الشمس فى السماء ، ثم أصلى الضحى ، وأعمل بصناعة الأحقاق ، ولم أكن أعرف من الحرف مايزيد عنها ، وأقوم بهذا الأمر حتى صلاة الظهر ، فأقوم بفرضها وسننها ، وأقوم ببعض النوافل حتى صلاة العصر ، فأقوم بها فرضا وسنة ، وحينما أنتهى من صلاة العصر أذهب إلى سماع الحديث حتى المغرب ، وحينما أفرغ من فرض (ص ١٦) المغرب ، أتلو أورادى حتى صلاة العشاء ، وحينما أنتهى منها لاأترك أورادى ، ثم أذهب إلى منزلى وأفطر ، وأقوم بعد ذلك بكتابة الأحاديث الأربعين للرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم أنام ساعة من الليل ، وأستيقظ بعد ذلك ، فأصلى حتى الصباح .

وحقيقة أن المواظبة على العبادات ، وتوزيع الأوقات على الطاعات تشبه بالملائكة إذ أنهم دائما يواظبون على التسبيح والتهليل ،

وهم ملازمون لتمجيد الحق تعالى وتعظيمه . ويذكر الحق صفتهم فى القرآن الكريم قائلا : يسبِّحُونَ اللَّيلَ والنَّهَار لاَ يفْتُرُونَ »[1]

ومن جملة آداب الشيخ فى خدمة أُستادة إبراهيم بن روزبة رحمهما الله[2] : روى الشيخ : كنت ذات يوم منصرفا إلى الصلاة ، وكان قد سقط كثير من الثلج ، فرأيت فى الطريق أحد المشايخ الذين كنت أقرأُ عليهم الحديث ، فجاذبنى أَطراف الحديث ، وكنت حافى القدمين ، ولم يلحظ هو حفائى . وطال الكلام (ص ١٧) حتى أُذن للعصر ، وحينما انتهى الحديث هممت بالعودة ، وحينما رفعت قدمى ، بقى جلده فى الثلج وحينما رأى الشيخ ذلك اغتم ، وتألم ضميره من أجلى ، فقلت من أجل أن أُريح ضميره : كن مرتاح الضمير فلا بأْس .

ثم عدت إلى المسجد وأَديت صلاة العصر ، فبدأ ألم شديد . واشتد ظهوره حتى لم تعد لى طاقة على احتماله ، فعدت إلى المنزل وقصصت الأَمر على والدتى ، ومن كثرة ماتوجعت فى تلك الليلة ، أتى الجيران واستفسروا من والدتى على الأَمر ، فقصت لهم ماحدث فقالوا : إن علاج هذا الداء هو شحم الثور ، وأَعطوا أُمى بعض شحم الثور وقالوا لها : « ذوبيه على النار » ، وادهنى بها قدمه ، ولم يكن فى منزلنا الحطب الكافى لإذابة ذلك القدر من الشحم ، وكان فى المنزل طبق قديم ، كسرته وأَشعلنا فيه النار ، وغلينا شحم الثور ،

---

(١) الأنبياء : ٢٠ .

(٢) هكذا بالعربية فى النص .

ودهنا به (ص١٨) قدمى ، وظللت على هذا الألم أربعين يوما ، بحيث لم أكن أستطيع الوقوف على قدمى خلالها .

وبعدها أتانى مؤمل الجصاص رحمه الله ، وكان عنده زوج من الجوارب القصيرة ، فوضعها فى قدمى وقال : ياابن خفيف : لاتعرض العظماء بعد ذلك .

وكان ذلك إشارة من مؤمل إننى كنت قد تعهدت بأن أسير دائما حافى القدمين. ومعنى كلامه أنه لاينبغى لمن هو فى مقام البداية أن يعارض شخصا ربما وصل إلى نهاية الحال . وهذه قطرة من الشيخ مع أستاذه ومشايخه قدس الله سره .

فصـــل (٣)

قال الشيخ قدس الله روحه : أخذت أتردد فترة فى المزابل ، حتى جمعت بعض الخـــرق وغسلتها وخطت منها قميصا[1] ، واشتريت رداء بثلاثة دراهم ، وكنت ألبسه بين الناس فوق ذلك القميص . وذات يوم جاءنى درويش ، كان لى معه حق الصحبة ذات سفر ، وكان يرتدى (ص١٩) رداء خلقا باليا ، فآثرته بذلك الرداء العلوى وخلعته عليه ، وبقيت طيلة الشتاء فى المنزل من شدة

---

(١) الذهبى : ١٢٢ ، السبكى ٢ — ١٥١ ، شذرات الذهب ٣ - ٧٧ .
وورد على وجه آخر فى الأحياء : قال يحى ابن معين : رأيت ابا معاوية الأسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها — فقلت : إنك تكسى خيرا من هذا فقال : ما ضرهم ما أصابهم من الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فأخذ يحي بن معاذ يحدث بها ويبكى . جـ ٤ — ٢١٠ (المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢هـ) . المترجم

العرى ، وانقطع تردد المترددين على ولم تبق إرادة المريدين على حالها ، ونسيني الخلق تماما .

وبعد فترة هيأْت قميصا ، وارتديته وخرجت . وكان قد انتشر بين الناس سؤال : لماذا أعرض عنى الخلق ؟ وكان البعض يقول إن السبب هو كمال درجته ؛ أما البعض الآخر فكان يقول : هذا عقاب له ، ولانعلم ما سبب هذا العقاب ثم سألونى : ألم تدر قط لأى سبب كانت تلك العقوبة ؟ قلت : أعلم أن سببه أننى وهبت خرقتى لمن ليس أهلاً لها.

فصـــل (٤)

قال الشيخ رحمه الله : مرت أربعون سنة لم تجب على فيها زكاة فطر ، مع أنى كنت مقتدى الخلق ومقبولا لدى الخاص والعام(١).

(ص ٢٠) وقال الشيخ رحمه الله : كنت ذات مرة فى خدمة جماعة من المشايخ الكبار ، وحينما حان وقت الإفطار ألحوا على كثيرا قائلين: شاركنا أيضا وأفطر فموافقة الإخوان من محاسن الأخلاق ، ولم أفطر . ثم غلبنى البكاء بالرغم منى . وبكيت حتى تنغص وقتهم وكفوا أيديهم عن الطعام ، وكان جعفر الحذاء فى هذا الجمع ، فقال : ردوا عليه حاله . فإنى أخشى أن يسلط الله علينا عقابه ، واتجه إلى قائلا : يابنى داوم على هذا الحال حتى تجد المقصود ، وتصل إلى مرتبة العالم الباقى .

---

(١) انظر : الرسالة ص ١٦٤ (بولاق سنة ١٢٨٤)، تذكرة الأولياء ٢ — ١٢٦ ، ابن عساكر — ١٩٤ ، الذهبى — ١١٤ ، السبكى ٢ ١٥١ .

فصـــل (٥)

(ص٢١) قال الشيخ رحمة الله عليه : أول ماصنفت كان كتاب «شرف الفقر» وأخذه منى أحد الصحاب ويسمى أبو بكر بن يزيد . وقد أوصيته قائلا : لاتظهره لإنسان قط.

وذات يوم اتفق لى أن حضرت حديث جماعة من المشايخ ، وكان أبو بكر يقرأ عليهم هذا الكتاب ، فاستحسنوه كثيرا وسألوه : من هو مصنف هذا الكتاب ؟ فأشار أبو بكر إلى . فتعجب الجميع وتحيروا . ثم حان وقت الصلاة فأشاروا إلى قائلين : أمّنا . فقلت : إن الشيوخ أليق بالإمامة والقيادة . فقالوا جميعا : إن شخصا له هذا الكلام ، تقديمه وجعله مقتدى للمرء من جملة الواجبات .

قال الشيخ رحمه الله : صرت فى زمن البداية رئيسا لجملة من المشايخ ، وقائدا لجملة من الصحاب . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(ص٢٢) قال الشيخ قدس الله روحه : اتفق لى ذات مرة أن جالست جماعة من المشايخ وقت الإفطار ، فألحوا على كثيرا قائلين شاركنا : أيضا وافطر معنا ، فأفطرت إكراما لهم ، ثم ندمت بعد ذلك ، وانتحيت زاوية ، وتقيأت كل ماأكلت ، وفجأة رأيت رجلا يرتدى زى الصوفية ، وقد تأنق فى ملبسه ، وحينما أمعنت النظر ، وجدته أستاذى أباعبد الله الأزركانى رحمه الله ، الذى كنت أقرأ عليه الحديث ، فأسرعت إليه ، وحييته ، فقال لى : ماذا تصنع فى هذا الموضع ؟ فنقلت له ما جرى ، فأجاب : لاتتصرف مثل

هذا التصرف بعدذلك ، وكان اليوم شديد البرودة . فقال ذلك الكلام ومضى ، فخطر لى : إلى أين يذهب الشيخ فى هذه البرودة القارسة فالتفت إلىَّ وقال : إلى أين يذهب المجرمون والمذنبون[١] ؟ قال الشيخ : لقد أحدث فى هذا الكلام أثرا لم أنسه بعد ذلك .

(ص ٢٣) قال الشيخ رحمه الله : فى بداية رياضتى ، مر على أربعون يوما لم أكن أُطعم فيها إلا كف من الباقلاء كل ليلة ، ثم افتصدت ذات يوم ، وكان الدم الذى خرج منى كأنه ماءُ لحم ، فغبت عن نفسى ، وأغمى على .

وفجأة مر طبيب كان يعتقد فى هذه الطائفة ، ورآنى على هذا الحال ، فاغتم ، وغضب على الفصاد غضبا شديدا ، وقال أإلى هذا الحد لاتعلم أنه لايوجد دم فى أمثال هذا الرجل ، ثم حملنى وأخذنى إلى داره ، وأخذ يعالجنى عدة أيام ، ويعطينى الأغذية المقوية ، حتى عاد إلى الرمق ، واستردت قليلا من القوة[٢] .

فصـــل (٦)

قال الشيخ رحمه الله : كل طاعة أو عبادة أداها الرسول صلى الله عليه وسلم . (ص ٢٤) اجتهدت أن أقوم بها ، حتى بلغنى أنه

---

(١) شد الازار : ص ١١٦ : يا بنى إلى أين يمشى المذنبون فى هذا الوقت . . فعلمت أنه يريد الوضوء والتهجد . المترجم : والاسم مضبوط : أبو عبد الرحمن عبد الله بن جعفر الأزرقانى . وورد فى كتاب السمعانى الأزركانى .

انظر حواشى القزوينى على الكتاب ١١٦ – ١١٧ طهران ١٣٢٨ هش

(٢) ابن الجوزى : مكبس ص ٢٠٩ (مصر سنة ١٩٢٨) ، ابن عساكر ١٩١ : الذهبى ١١٢ ، السبكى (٢ / ١٥١) وهذا فى النص خطأ ١٥٥ فتحير الفصاد وقال : ما رأيت جسدا بلا

صلوات الله عليه ، قام ذات ليلة على أطراف أصابع قدمه ، وهذه الصلاة صعبة وشاقة للغاية ، فجاهدت أيضا حتى قمت بها[(١)]

قال الشيخ رحمه الله : كان معظم المشايخ فى أيامى يشتغلون بالكسب ، وكان قوتهم من كسب أيديهم ، فتعلمت أنا أيضا صناعة الفلكات ، وكنت أقيم أودى بها .وذات يوم رأيت أستاذى يقطع عظام بعير ميت ، كان عنده من هذه العظام بضع صناديق ممتلئة ،فقلت له : هل ستصنع فلكة من هذه العظام النجسة . قال بلى فنهضت وتبت عن هذه الصنعة ، وطهرت بدنى وثيابى . وقضيت صلواتى ، وذهبت وتعلمت نحت المغازل ، وزاولت هذه الحرفة فترة حتى جرحت منها ذات يوم ، فتركتها أيضا ،ثم ذهبت إلى قصار ، وأخذت أدق الثياب طيلة نهار ،فسقطت من شدة الجوع ، وانكسرت ركبتى ، فتركتها أيضا .

ثم تشاورت فى هذا الأمر مع المشايخ وسألتهم : أى عمل أقوم به أحصل منه على مايسد رمقى ، فقالوا : القصارة (ص ٢٥) حرفة صعبة ويصلح لها شخص ذو قوة ، يأكل طعاما كاملا ملائما ، والمصلحة أن تتعلم صناعة الأحقاق ، فذهبت إلى أبى محمد العتايدى ، وتعلمت منه هذه الحرفة ، وكنت أكسب كل يوم درهمين فى المتوسط ، فأشترى أوراقا بجزء منها ، وأجعل الباقى لنفقتى أنا ووالدتى .

---

(١) شد / ٤٤ ، تذكرة ٢ / ١٢٨ (وهنا ١٢٧) ويضيف (وحينما صلى ركعة على أطراف أصابعه ، لم يستطع أن يصلى الثانية ، فرأى الرسول فى النوم قد دخل من المحراب وقال «هذه صلاة خاصة بى فلا تقم بها») .
الذهبى ١١٢ ، ابن عساكر / ١٩١ ، السبكى ٢ / ١٥١ .

يقول أبو أحمد الصغير : قضيت فى خدمة الشيخ خمسا وثلاثين سنة ، ولم أرقط أنه أكل فى يوم بليلة نصف منّ[1] من الطعام ، ولا اختلاف فى أن يكون صائما أولا يكون ، فلم يأكل فى كل أوقاته أكثر من نصف منّ من الطعام ، ويقول عبد الرحيم : قضيت فى خدمة الشيخ عشرين سنة ولم أره قط أكل أكثر من نصف رطل من الطعام . (ص ٢٦)

فصـــل (٧)

قال إسماعيل المزين : ذهبت فى صحبة الشيخ إلى وليمة ، وكما يفعل الخدم وقفت على قدمى . وأخذت أخدم الصحاب . وكان الشيخ قد جلس على رأس المائدة ، وكان يضع فى فمه القليل من كل طبق ، ويتعلل به . ويتحدث مع الصحاب ، وبعد الطعام وضعوا طبقا من اللوز . فأخذ الشيخ واحدة ووضعها فى فمه ، قال إسماعيل المزين : ورأيت الدم فجأة وقد سال من فم الشيخ ، فأخرج الشيخ منشفة من جيبه ، ومسح فمه ، ثم قام وغسل فمه وغسل المنشفة .

وحينما خرجنا وتفرق الصحاب ، سألت الشيخ : ما حدث لك ؟ قال رحمة الله عليه : وضعت اللوزة فى فمى ، فوجدت لها لذة عظيمة ، ووسوست لى نفسى : خذ واحدة أخرى فهى لذيذة جدا (ص ٢٧) ، فأبطأت المضغ خلافا لنفسى ، ومضغت لسانى ، حتى انعدمت اللذة ، ورددت نفسى عنها ، حتى لاتطلب المراد فيما بعد ، وتتيقن من أننى

(١) المن : وزن فارسى يساوى رطلين ونصف : المترجم .

لن أسير على هواها . وأنني سوف أسلك طريق المجاهدة والرياضة وكسر الشهوات .

فصـــل (٨)

يقول عبد الرحيم : كان الشيخ يناجي الله تعالى ذات يوم ، وكان يقول هذه العبارة « طوبى لمن لم يزده أنسه بك إلا وقارا[١] » : أي ما أسعد ذلك الشيخ الذي لايزيده الأنس بالحق إلا وقارا وعظمة ، وتفسير هذه العبارة أن المرء حينما يكون في مقام الأنس تسفر له الهبات عن وجهها لحظة بلحظة ، وتزداد عظمته وهيبته نفسا بنفس .

[ص ٢٨]

فصـــل (٩)

قال الشيخ رحمه الله : ربما كنت أقرأ في زمان طفولتي سورة الأخلاص ألف مرة في الركعة الواحدة . وفي وقت ما ربما كنت أصلي حتى صلاة الظهر ألف ركعة[٢] .

وقال الشيخ قدس الله روحه : قال لي أحد الصحاب : كنا جلوسا حول أحمد بن يحيى ، ومررت أنت يا أبا عبد الله . فقال أحمد بن يحيى : في رأيي أن التصوف ختم بابن خفيف[٣] وقال جعفر الحذاء رحمه الله : انتهى التصوف من فارس بمحمد بن خفيف .

---

(١) هكذا في النص باللغة العربية .

(٢) شد/٤٤ : ربما كنت أقرأ في ابتداء عمري (هنا أمري) في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة " قل هو الله أحد " وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة . رسالة ٣٨ ، تذكرة ٢ - ١٢٥ ، الذهبي ١١٤ أ ، السبكي ٢ - ١٥١ فارسنامه ٢ — ١٤٢

(٣) شد — ٤٠ : المترجم : والنص (يذهب المتصوف من فارس مع هذا الغلام) ، ابن عساكر ١٩٠ : ما رأى التصوف إلا ويختم بابن خفيف . الذهبي — ١١٢ .

فصـــل (١٠)

وقال الشيخ رحمه الله : واصل أحمد بن يحيى الأيام العشر من ذى الحجة ، وقال لى ليلة العيد : أقبل إلى ، فذهبت إليه ، فلوى لسانه كقطعة من الجلد ، وقال : اجذبه (ص ٢٩) فعرضت الماء عليه مرتين فلم يقبل ، وحينما عرضته عليه المرة الثالثة أخذه وقربه من فيه ، ثم وضعه جانبا ، ولم يشربه . واشتغل بأوراده . وحينما انتهى منها ، نام حتى الصباح ثم نهض ، وأقام صلاة الصبح .

ويقول أحمد الصغير : حينما رأى الشيخ أبو عبد الله رحمه الله هذا الأمر من شيخه واصل عشر ذى الحجة فى غاية الحر ، ونادانى ليلة العيد . ولوى لسانه وقال : اجذبه فهكذا فعل الشيخ أحمد بن يحيى ، وكل من اقتدى بشيخه وصل إلى المقصود . وكل من وزن أحواله وأعماله بميزان شيخه بلغ المراد .

وقال أحمد الصغير أيضا : حدث أن كنت أحمل عشر زبيبات إلى الشيخ (ص ٣٠) ، وكان الشيخ يفطر عليها ، فأخذتنى به شفقة ذات ليلة ، فأضفت إليها خمسا ، فغضب على الشيخ رحمه الله وقال : أى شىء دفعك إلى هذا ؟ وألقى جانبا بتلك الحبات الخمس التى كنت قد زدتها ، وأكل الحبات العشر كعادته

---

(١) رسالة ٨٩ ، السبكى ٢ / ١٥١ ، ابن عساكر ١٩٢ ، ابن الجوزى : تلبيس ٢٠٩ ويضيف وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن ، وما يورد هذه الأخبار عنهم إيراد مستحسن لها إلا جاهل بأصول الشرع ص٢١٢ ، وفى تذكرة الأولياء « وسمى بالخفيف لأن طعامه كل ليلة وقت الأفطار كان سبع زبيبات لا تزيد ، فكان خفيف الحمل ؛ خفيف الروح ، خفيف الحساب فى الآخرة . وذات ليلة وضع خادمه ثمان زبيبات ، ولم يدر الشيخ فأكلها فلم يجد حلاوة الطاعة مثلها كل ليلة فاستدعى الخادم وسأله عن ذلك الأمر فقال : لقد أعطيتك الليلة ، ثمان زبيبات قال الشيخ : ولم ؟ قال : رأيتك ضعيفا فرق قلبى فقلت : حتى أقويك قال الشيخ إذن لم تكن صديقى بل كنت خصما لى إذ لو كنت صديقى لأعطيتنى ستا لا ثمان وطرده من خدمته واستخدم آخر . تذكرة ٢ / ١٢٥ وانظر نامه دانشوران / ٢ ٥٢٨ .

قال أبو الحسن الديلمى : إن مارأيته من الشيخ من الأحوال الشريفة والمقامات العظيمة ، لايعد ولايحصى ، ومن صفاته التى مارأيته قد غضب قط أو أغلظ فى القول لأحد إلا ثلاث مرات :

المرة الأولى : حينما أمر سلطان الوقت بقتل كل الكلاب فى المدينة ، فأخذ الناس يطاردون الكلاب ، ويقتلونها ، فأسرع كلب ودخل على الشيخ فى المسجد ، ودخل شخص وراءه إلى المسجد فى طلبه . فغضب الشيخ وقال له : ارجعوا عن هذه الفعلة ، وإلا سجدت سجدة بإخلاص ، لايبقى منكم بعدها أحد ، فداخل الخوف ذلك الرجل ، وانكب على قدم الشيخ ، وكان جنديا فتاب وصار صوفيا ، وارتدى المرقع ، وذهب إلى مكة ، ولم يعلم أحد إلام صار حاله .

والمرة الثانية : حينما قالوا ذات مرة أمام الشيخ رحمة الله عليه أن أبا ميمون (ص ٣١) الفقيه قد أطال لسانه ، فى الصوفية فغضب الشيخ قدس الله روحه ، وقال بضع كلمات .

والمرة الثالثة : حين سئل الشيخ : مامعنى قول أبى يزيد البسطامى أننى أخرج من جلدى كما تخرج الحية من جلدها [(١)] ؟ فقال : لهذا الكلام غور فأمهلنى حتى أفكر فيه ، قال السائل : إنى أسأل هذا السؤال ، لأن بعضهم استفسر من أبى الحسن بن بندار فأجاب : أن أبا يزيد كافر بهذا الكلام ، فغضب الشيخ وتفوه ببضع كلمات من غضبه .

---

(١) تذكرة ١ / ١٥٧ فما بعدها (هنا ١٦٠) وردت فى الجزء الشهير بمعراج أبى يزيد المترجم .

يقول أبو الحسن الديلمى : من مكارم أخلاق الشيخ أن كل من كان يذهب إليه محزونا كان يخرج من عنده سعيدا فرحا ، وإذا وقعت خصومة بين رجلين ثم يحضران بمجلس الشيخ : تنتهى العداوة بينهما ، ويخرج الحقد من قلبيهما . ويسيران كما لو كانا قرينين وإلفين . ولا ينفر أحدهما من الاخر .

ومن مكارم أخلاقه أنه كان يجازى بالإحسان والجميل كل من قدم إليه إساءة ويتجاوز عن أذى كل من يلحق به أذى ، ويجاهد فى نصرته . (٣٢) فكان مثل ذلك الشخص يخرج من مجلسه بمراده .

وأعلم أن الشيخ فى محاسن الأخلاق كان يقوم بالسلوك النبوى . وفى كمال الصفات كان يجاهد جهاد ملك . وكان يجاهد فى أن يعطى لكل هذا مكانا فى نفسه .

وروى جماعة ممن غنموا مجلسه وصحبته : حينما كان الشيخ يجلس معنا ، كان يمزح كالأطفال وكان طيب المعشر بشوشا ؛ وحينما كان يعن وارد له من الحق . كانت المهابة والوقار والعظمة تنضح منه . بحيث كان يؤثر فى الحاضرين ، فلا تستطيعون القيام بحركة أو إشارة . ومكارم أخلاقه ، أكثر من أن يوردها قلم . أو تحيط بها عبارة :

أساميا لم نزده عرفة   وإنما لذة ذكرناها

ولكن هذه الطرف نموذج من أوصافه الحميدة رحمة الله عليه حتى تكون تنبيها للمبتدئين فى طريق التصوف و تذكيرا للمنتهين .

فصــل (١١)

قال أبو أحمد الصغير : خطر للشيخ رحمة الله عليه ألا يذهب إلى وليمة قط ، وأن يفطر كل ثلاثة أيام ، وأعد له أحد المريدين وليمة ، وألح كثيرا حتى وافق الشيخ ، وحضر إكراما له ، وحينما (ص ٣٣) وضعوا المائدة ، نهض أبو أحمد الصغير ليخدم الصحاب ، فأشار له الشيخ بالجلوس ، وكررها ثلاث مرات حتى يجلس ويشاركهم ، ولكنه لم يقبل فقال الشيخ : يا أبا أحمد ، إن الحصول ع رضا الأخوان وإرضاءهم ، ومشاركة الدراويش طعامهم ، وإسعاد قلوبهم ، أفضل من صوم السنة .

ويقول عبد الرحيم كان من عادة الشيخ أن يدعونى يوم الجمعة ، ويأمر لى بشى مما رزقه الله ، ثم يأمرنى قائلا : أنفقه على الدراويش ، ويتوضأ ويذهب للصلاة ، وكان من عادته أيضا أن يهب ملابسه فى أول العام للشيوخ ، ولا يحتفظ لنفسه بأكثر من رداءٍ واحد (١) .

وقال عبدالرحيم كان من عادة الشيخ ، حين يوضع الطعام أمامه ألا يمد يده إليه حتى يكثر من السؤال عن الأخوان والجيران : هل أكلوا شيئا أولا ؟ فإذا قيل له : قد أكلوا أكل وإلا آثرهم بطعامه .

---

(١) ابن عساكر / ١٩٢ ، السبكى — ٢ / ١٥١ . « وكان إذا أراد أن يخرج إلى صلاة الجمعة يفرق كل ما عنده من ذهب وفضة وغير ذلك ، ويخرج فى كل سنة جميع ما عنده ، ويخرج من الثياب حتى لا يبقى عنده ما يخرج به إلى الناس » (المترجم) .

وقال الشيخ رحمة الله عليه : فى ابتداء أمرى ، ومنذ أن ولدت حتى نهاية عمرى ، وفقت فى جميع أحوالى ، واختطفت الكرة من الميدان فى كل أمر ، وحينما كنت طفلا ، كان أبى ثملا ذات يوم ، وكنت أصلى ، ولما رأى ذلك منى تعجب (ص ٣٤) وأوصى أمى قائلا : حينما يأتى ندمائى إلى ، فاحملى هذا الطفل من أمامنا ، وذات يوم أتى ندماؤه وسألوه عن أحوالى ، فقال : ليس ولدى باللائق لهذا المجلس ، وقد جاوز هذه المرتبة ، وإلا كنت أحضره إليكم

وكان الشيخ يقول : لقد حزت بحمد الله ومنه — قصب السبق على أقرانى فى جميع المقامات إلا بشأن طول العمر . فقد مضى عنى أقرانى وعمرت بعدهم .

ويقول عبدالرحيم : ذهبت ذات يوم إلى مجلس الشيخ ، ولم يكن لدى سراويل ، فأطرق الشيخ ساعة ، ثم التفت إلى وقال : هل غرضك من عدم ارتداء السراويل ، هو أن يعلم الناس أنك درويش ، وأن تظهر لله تعالى أنه يفقرك ، أم أن غرضك شىء آخر ؟ إذهب واطلب سروالا قديما ، والبسه .

وهذه الحكاية دليل على أن الشيخ كان يميل أيضا إلى التجمل الظاهرى وأنه كان يحترز التكلف .

فصـــل (١٢)

قال الشيخ : مادام حب الشهوة واللذة قد بقى فى نفس المرء ، فالكسب أولى له من الترك

[ص٣٥]وقال عبد الرحيم : ذات يوم كنت فى صحبة الشيخ وقت الظهيرة فدخل درويش فسأَله الشيخ : من أَين أَنت قادم فى هذا الحر ؟ فأَجاب الدرويش : من الوضوء ، وقد غلبت على الوسوسة فى مكان الطهارة ، فأَجاب الشيخ رحمه الله : الصوفى هو الذى يسخر من الشيطان ولا يسخر الشيطان منه[1]

و قول الشيخ : كل إشارة أَو رمز لهذه الطائفة من الصوفية ، أَخرجته أَنا من الشريعة . أَى أَن كلام هذه الطائفة لا يخالف الشريعة على الإطلاق .

وقال عبد الرحيم : رآنى الشيخ الكبير ذات يوم أَكتب شيئا فقال : ماذا تكتب ؟ قلت : كتاب كذا ، قال : ينبغى عليك أَن تشتغل بطلب العلم ، وأَن تقرأَ شيئا ، وأَلا تغتر بكلام الصوفية ، فإِنى كنت أَضع المحبرة فى جيبى ، وأخفى الورق فى حجرة سراويلى وكنت أَذهب إِلى درس الحديث ،وأَتقى الصوفية الظاهرين ، لأَنهم كانوا يشتموننى حينما يعلمون أَنى ذاهب إِلى درس الحديث ، وبعدذلك احتاجوا جميعا إِلى ، وكانوا يقصدوننى فى كل ما أَشكل عليهم من حديث[2] .

---

(١) رسالة : ٣٨ ، السبكى : ٢ — ١٥٤ : عهدى بالصوفية يسخرون بالشيطان فالآن الشيطان يسخر بهم ، تذكرة : ٢ — ١٣٠ قال أبو أحمد الصغير للشيخ : ان الشيطان يضايقنى . . . . الخ » المترجم : وردت فى التلبيس أن السائل كان أبا حامد الشيرازى : (تلبيس ص ١٧٤) .

(٢) ابن الجوزى : ص ٣٢٩ ، الذهبى ١١٤ ، ابن عساكر — ١٩١ : أنظر أبو عبد الله بن خفيف إلى ابن مكتوم وجماعة من أصحابه يكتبون شيئا فقال : ما هذا ؟ قالوا : نكتب كذا وكذا فقال : اشتغلوا بتعلم شىء ، ولا يغرنكم كلام الصوفية ، فإنى كنت أخبى محبرتى (هنا عبرتى فى جيب مرقعتى و الكاغد ، حجرة سراويلى ، وكنت أذهب إلى أهل العلم فإذا علموابى [illegible]

[ص ٣٦] كان الشيخ يقول دائما : قيمة كل امرىء بما يعلمه [١] وكل زاهد لا يروى شجرة زهده بماء العلم ،سرعان ما ينمحى زهده ، وكل عارف لايزن معرفته بالشريعة ويقابلها بها ، سرعان ماتتلاشى معرفته .

فصـــل (١٣)

يقول عبد الرحيم : سمعت من الشيخ الكبير رحمه الله أنه قال لدرويش : لا تكن على ذلك الحال ، كلما جعت بعت مرقعتك .

وقال عبد الرحيم أيضا : كنت حاضرا فى مجلس الشيخ ، وقال الشيخ رحمه الله : لو أبدى لماذا وصل ذلك الشخص الذى وصل إلى الله ، ولأى سبب تخلف ذلك الذى تخلف؟ وأخذ يكرر هذه الكلمات ، ويبكى حتى أبكانا جميعا .

وقال الشيخ رحمه الله : كنت ذات يوم فى المسجد الجامع أتحدث عن مقامات الأولياء ، وكان قد مر على أسبوع لم أذق طعاما ، وفجأة حصرنى البول حتى لم تعد بى على الجلوس طاقة ، فغادرت المسجد ، وحينما وصلت إلى سوق الحوذية ، نزل البول منى غصبا ، فغلبنى البكاء ، فبكيت كثيرا ، وأنبت نفسى ووبختها قائلا : تتحدث عن مقامات الأولياء ولم تتخلص بعد من خصال الأطفال .

---

(١) وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء
من الأبيات المنسوبة إلى الإمام على كرم الله وجهه . « المترجم » .

(ص ٣٧)

فصـــل (١٤)

يقول عبدالرحيم : كان الشيخ يروى هذه الحكاية ويبكى ، ويبكى معه أبو الحسن بن أبى توبة الذى كان من عظماء عصره ، وحينما هدأ الشيخ قال : إذا لم تكن هذه الآية قد نزلت فى حق الصوفية ، فلا أدرى فى حق أى طائفة نزلت وهى « وَيَقُولُ الأَشْهادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذبُواعلَى ربِّهِمْ[1] » فطوبى لمن ينتصف من نفسه فى كل الأحوال ، ولا يقوى النفس الأمارة فى كل الأوقات .

فصـــل (١٥)

يقول أبو النصر الطوسى : توفى للشيخ رحمه الله ابن كان اسمه عبد السلام . وحضر جنازته كل الأئمة والشيوخ ، ومن كثرة مهابة الشيخ ووقاره لم يجرأوا على تعزيته[2]

ويقول الشيخ الكبير : اقتدوا بخمسة من بين الشيوخ : الحارث المحسبى ، وأبى القاسم الجنيد ، وأبى محمد رويم ، وأبى العباس بن عطاء ، وعمرو بن عثمان ، وذلك لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق[3] . أما الشيوخ الآخرون فكانوا أرباب حال ، وأصحاب مقامات ومكاشفات . وقد صدر عنهم فى حال الاستغراق بعض كلمات [ص ٣٨] لا تستقيم بميزان الشرع ، وحينما كانوا يعودون إلى

---

(١) هود – ١٨ . (هنا خطأ آية ٢١) .

(٢) شد : ٤٨ ، ٤٩ : حصل العلم والمعرفة وتوفى أبان (هنا أيم) شبابه فى حياة الشيخ

(٣) رسالة : ١٥ ولأنهم جمعوا بين العلم والحقائق ؛ السبكى ٢ – ٣٧ ، شد ٤٤ المترجم : والباقون كانوا أرباب أحوال وأصحاب غلبات .

وعيهم ، كانوا يتوبون عن هذه الكلمات ، ويعودون ويرون الاستغفار واجبا .

يقول أبو النصر الطوسى : كنت جالسا يوم الجمعة فى المسجد الجامع مع الشيخ فمر رجل عجوز حسن الصورة يتكفف الناس . فقال الشيخ : لو أن هذا الرجل فى شبابه قام بأوامر الله واجتنب نواهيه ، لما ابتلى فى شيخوخته بالسؤال[1] .

ويقول الشيخ رحمة الله عليه : كل من لا يبذل المجهود هذا الأمر من بدايته ، ويلق عن نفسه هوى النفس . ولا يختار الفقر ولا يرضى بالقناعة ، جعله الله فى خاتمته محتاجا للخلق . وحول حاجاته إلى الناس .

فصـــل (١٦)

أتى ذات يوم ، أحد الدراويش إلى الشيخ الكبير رحمة الله عليه وقص عليه أن ثمة تغيرا طرأ على حاله ، وأنه لم يعد كسيرته الأولى ودائما ما يبكى وينوح .

فقال الشيخ : قد كانت له ألفة ومحبة ، وفى شبابه كانت له طاقة [ص ٣٩] على البلاء والمحنة ، وحينما بلغ سن الشيخوخة لم تبق له قوة تحمله الأولى ، فلا جرم أن صار بلا قرار ، ولذا يبكى .

قيل للشيخ : إن فلانا يشغل نفسه بالشطحيات . ويغلب عليه البسط حينا ، والقبض والتفكر حينا آخر .

---

(١) ليست موجودة فى اللمع . (المترجم) .

فقال الشيخ : لتكن كل أقواله فى النار ، إذ يستهزئ بالدين والشريعة ولا شك أن يجد جزاءه فى الدنيا والآخرة .

قال أبو العباس : حينما وصل الشيخ رحمه الله إلى مرحلة الشيخوخة ، أخذ يقول ذات يوم : أنا الآن ضعيف ، ولا أستطيع أن أقوم بالصلاة واقفا ، وقد بلغنى حديث فحواه أن كل من يصلى قاعدا ، فله نصف أجر القائم . فضاعف ركعاته ، ليعوض القعود[١] .

فصـــل (١٧)

يقول الشيخ الكبير رحمة الله عليه : كنت جالسا ذات يوم فى مسجد البصرة ، فقدم على جمع من الإخوان ، وكان معى دينار ذهبى ، فبعثت به إلى السوق ، حتى يحضرون طعاما من أجلهم ، وحينما حضروا الطعام ، رأيت فجأة شخصا أعور قد وقف وأخذ يتساءل : أيكم ابن خفيف ؟ فأشار القوم إلى أن (ص ٤٠) هذا ابن خفيف ، فاتجه إلى وقال : هل تأذن لى فى أن أسألك سؤالا ؟ قلت لا قال : ولم ؟ قلت : ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، اعتاد حين يخير بين أمرين ، أن يختار أيسرهما ، والأيسر ألا تكون سائلا وأكون مسئولا ، فأجاب ذلك الرجل : لن أرضى بهذا القدر ، فقال الشيخ قدس الله سره : سل ما تريد .

---

(١) رسالة : ٣٨ ، شذ ٤٤ ، ابن عساكر : ١٩١ ، السبكى ٢ — ١٥١ : سمعت أبا العباس الكرخى يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : ضعفت عن القيام بالنوافل وجعلت بدل كل ركعة من وردى ركعتين للحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم وانظر .

Goldziher: Zahiriten 112.

وهذه الحكاية تدل على حسن خلق الشيخ من عدة وجوه . قال[(١)] : أولا على متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القول والفعل . وثانيا : سخاء طبع الشيخ والثالث : رعاية الحقوق ، والرابع : العفو عن المسيئين .

وكان الشيخ رحمة الله عليه ، يبلغ بالكلام فى كشف أحوال المشايخ ، وبيان مقاماتهم إلى غايته . وفى تعليم المريدين ، وتربيتهم كان ينمق الكلام ويعطيه حقه ، بحيث لم يكن ليبقى إشكال ، وكان دائما ما يقول : لقد وصل عمرى إلى نهايته ، فاحفظوا كلماتى ، واغتنموا صحبتى ، وقد اختلت كل قواه فى آخر عمره إلا عقله . فقد بلغ غاية الكمال .

يقول عبد الرحيم : كان الشيخ فى النزع ، وكانت جماعة (ص٤١) تسمع منه الأحاديث وهو على هذا الحال ، وكان يغيب ساعة عن وعيه ، ويعود إليه ساعة ، ويردد : « لا إله إلا الله » .

فصـــل (١٨)

حدث أن أقبل قوم إلى مجلس الشيخ . وكانت بينهم خصومة ، فأنهى الشيخ الخصومة وصفى قلوبهم ، وأعطاهم بضعة دراهم ، وقال : اشتروا بها شاة وهيئوا طعاما . قال : الدراويش : لا نرغب فى أن يكون حضورنا مؤونة على الشيخ ، فقال الشيخ قدس الله روحه : ليس هذا تكليفا على أو مؤونة ، ذلك أنى ما جئت إلى المنزل قط وكان معى شىء ، أو فى المنزل شىء إلا أنفقته . وأخليت باطنى .

---

(١) المقصود هنا أبو الحسن الديلمى .

وقال الشيخ ذات يوم : منذ خمسين عاما ، وإنا على علم بمكنون قلب كل من يمر على بوابة اصطخر هذه . وبما تخفى سريرته ، رحم الله منا هذه السريرة الصافية ، وغفر الله لذلك الباطن الطاهر . واللهم احشرنا فى زمرة الأبرار ، وألحقنا درجات الأخيار .

[ص ٤٢] .

فصـــل (١٩)

سأل قاسم الاصطخرى الشيخ الكبير ذات يوم : إن فلانا من المشايخ حينما يسأل ، أو يستفسر عن مسألة فى التصوف . لا يتوقف عن الجواب بعد الاستماع ، ويجيب على الفور . وحينما نسأل جنابكم فى مسألة . لا تجيب دون توقف أو تفكير ، فقال الشيخ رحمة الله عليه : لقد حط عليه التصوف رخيصا ، فهو يبيعه رخيصا[1] .

وذات يوم سأله أحدهم سؤالا . وقال : أجب على سؤالى هذا بكلام الصوفية . فأجاب الشيخ : منذ خمسين سنة لم أتحدث بكلام الصوفية ، إنما أقول لك كلا ما فيه نفعك وفائدتك . فما نفع أمثالك من كلام الصوفية .

سأل أبو أحمد الصغير الشيخ الكبير : إذا لم يجد درويش طعاما لمدة ثلاثة أيام ، أيجوز له بعد هذه الأيام الثلاثة ، أن يسأل الناس ما يسد به رمقه ؟ وهل إن فعل يستحق العقاب أم لا ؟ فقال الشيخ رحمه الله : إن سأل يقال له شحاذ لا درويش .

---

(١) السبكى ٢ — ١٥٣ قيل لأبى عبد الله بن خفيف إن فلانا تكلم فى التصوف بكلام عال فقال : إنه قام عليه التصوف رخيصا فهو يبيعه رخيصا . (المترجم : لم أجد هذا النص عند السبكى) .

فقال أبو أحمد : فأَصابتنى الدهشة من هذا الكلام [ص ٤٣]
وقلت فى نفسى : سبحان الله شخص ربما وصل إلى درجة الاضطرار ،
ويسأَل ما يسد به رمقه ، لا يسقط من مرتبة الفقر ، ولا يسقط من
مرتبة العقاب ، فعلم الشيخ الكبير ما يدور فى خلدى ، فقال يا أَبا
أَحمد : امض واشكر واقنع بما تملك ، فلو دخل عليكم فقير صادق من
الباب لفضحكم جميعا [1] .

---

(١) رسالة : ١٦٤ ، السبكى ٢ — ١٥١ : يقال نه مكد ثم قال : كلوا واسكتوا . . .
تذكرة ٢ — ١٣١ . . . . يقال له كذاب ، كلوا شيئا . . . شيرازنامه ٩٩

الباب الثالث
فى بيان رحلات الشيخ رحمة الله عليه
وفيه عدة فصول

[ص ٤٤]

كان الشيخ قدس الله روحه قد قام بعدة رحلات ، وعانى كثيرا من لمشقات ، وقد قال : راهقت البلوغ فى رحلتى ، وكنت راكبا سفينة .

فصـــل (١)

قال الشيخ قدس الله روحه : كان من جيرتى نساج عظيم الاعتقاد ى ، وذات يوم دعانى إلى الطعام ، وقدم لى قطعة من اللحم القديد (ص ٤٥) مطبوخة بكشك . فمددت يدى إلى اللحم فى البداية ، وكان قد أصابه تغير عظيم ، فتركته وأخذت أمسح على خرقتى ، ولم يكن ذلك لنساج يدرى بتغير اللحم ، فأشار إلى قائلا : كل اللحم ، فمددت يدى إلى اللحم مرة أخرى إكراما له ، ووضعت منه لقمة فى فمى ، ولم ستطع ابتلاعها ، فأدرك ذلك الشخص ، وخجل ، ومن شدة خجله نهض وخرج ، وخرجت أنا أيضا .

وعزمت على السفر إلى مكة ، وأرسلت رسولا إلى أمى أقول لها : نى عزمت على السفر إلى الكعبة ، فإذا كنت تريدين وداعى فـ الى ن بوابة . . . [1] ، وأحضرى مرقعتى معك . فأتت امى وأحضرت مرقعتى وودعتنى ومضت .

(١) المترجم : هنا بياض ولعلها بوابة «باغ نو» كما وردت فى حاشية النص .

وحينما بلغت أبواب بغداد ، لم أدخل المدينة من عجالتي ، وحينما وصلت الكوفة ، كان هناك جماعة من خراسان قد عزموا على السفر إلى مكة ، وحينما رأوني قالوا : اصطحبنا . فلم أنتظر القافلة إكراما لهم وصرت معهم إلى البادية ، فضللنا الطريق . وأخذنا لبضعة أيام نسير على غير هدى ، وتناقص الماءُ والزاد ، ثم نفذ ولم يبق منه شيءٌ ، ووقفنا بالصدفة على حي من أحياءِ العرب ، فاشترى رفاقي كلبا ببضعة دنانير وذبحوه وشووه وأعطوني نصيبي منه .

وحينذاك تذكرت ذلك الفقير النساج ، (ص ٤٦) ولحمه القديد المتغير ، وعلمت أن هذه هي عقوبة ذلك[1] طوبى لمن يكون عارفاً بأحواله ولا يكون غافلا عن أعماله .

فصـــل (٢)

قال الشيخ رحمة الله عليه : حينما كنت ذاهبا إلى الحج في المرة الثالثة ، تهت أيضا بضعة أيام في البادية ، وأصابني من العطش والنصب

(١) تذكرة ٢ — ١٢٦ ، ١٢٧ ، رسالة : ١٧٣ : كنت في حال حداثتي استقبلني بعض الفقراء فرأى في آثار الفقر والجوع فأدخلني دارد . . . فدلونا على الطريق ومضيت فحججت فم رجعت معتذرا إلى الفقير . شد ٢٢٣ _ : أبو زرعة : وجرى بينه وبين الشيخ الكبير معنى وهو ما روى أن الشيخ الكبير عزم على سفر فأتاه ليودعه ، فأحضر أبو زرعة لحما مطبوخا قد تغير فعافه الشيخ الكبير ولم يأكل ، فلما خرج إلى البر غلطوا في طريقهم فجاءوا أربعة أيام لا يجدون طعاما ، فقال لأصحابه : اطلبوا ما نتصيده فرأوا كلبا فاحتالوا في صيده ، فذبحوه على مذهب الإمام مالك ، واقتسموه فيما بينهم وجعلوا رأسه نصيب الشيخ فأكل كلهم وبقي الشيخ متفكرا في أكله حتى مضى الليل ، فلما كان السحر تكلم رأس الكلب بإذن الله فقال : هذا جزاء من لم يأكل اللحم المتغير من سفرة أبي زرعة فقام الشيخ وأيقظ أصحابه وقال : تعالوا بنا نمضي إلى أبي زرعة فنستحل منه فرجع إلى شيراز واعتذر إليه ثم خرج . نفحات ٣١٩ — ٣٢٠ المترجم : عن أبي زرعة الأردبيلي عن طبعة طهران سنة ١٣٢٦ هـ . ش بتحقيق مهدى توحيد بور) .

، نجوع ما أسقط ثمانية من أسنانى ، وبعد ذلك وصلت إلى « فيد »
ومكثت هناك بضعة أيام حتى شفانى الله تعالى بفضله وكرمه . ورد لى
قوى . ثم خرجت [1] . وفى الرحلة الرابعة حين قصدت البادية بنية
الحج أخذت أمى معى .

قال الشيخ أبو أحمد : ما أعلمه يقينا أن الشيخ أدى فريضة الحج
أربع مرات .

ويقول عبد الرحيم : أغلب ظنى أنه حج ست مرات . وبرواية
أخرى عن أبى أحمد أنه قال : سألت الشيخ كم مرة حججت ، فأجاب :
حجى لا عدد له . وقد أجاب الشيخ بذلك على سبيل المزاح ، فلم
يكن يريد أن يحدد العدد .

[ص ٤٧] .

فصــــل (٣)

قال الشيخ رحمه الله : وصلت ذات مرة إلى مدينة من مدن الشام ،
وكنت أقضى الليلة فى المسجد ، ولم يكن معى فى هذا المسجد أحد
إلا شخص مريض بعلة البطن ، وكان لصباغ دكان بجوار المسجد .

وفى تلك الليلة حدث أن دخل لص دكانه ، وسرق بعض الملابس
وفى اليوم التالى أخذوا يبحثون ، وجاءوا إلى المسجد ، وسألوا ذلك
المريض : من الذى كان نائما فى هذا المسجد الليلة الماضية ؟ فقال
المريض : أنا وذلك الغريب ، فأقبلوا وقبضوا على ، وحملونى إلى دار

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس ٣٠٠ : خرجت من شيراز فتهت فى البادية وحدى وأصابنى
من الجوع ما أسقط من أسنانى ثمانية ، وانتثر شعرى كله ، قال المصنف : قلت هذا قد حكى عن
نفسه ما ظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لا حق به . الذهبى — ١١٣ ب . السبكى ٢ — ١٥٣ .

الشرطة ، ورفعوا قدمى ، وضربونى عددا من العصى ، فاعتقدت التسليم ، وآثرت السكوت. ثم حملونى إلى دكان الصباغ . وكانت آثار أقدام اللص ظاهرة على التراب ، فقالوا لى : ضع قدمك عليها . فوضعت قدمى ، فكأنها كانت قالباً لقدمى . (ص ٤٨) فازداد شكهم فى أننى اللص ، فعزموا على قطع يدى ، وأحضروا الزيت ووضعوه أمامى على النار . وحضر الحاكم وخلق كثيرون . فراجعت سرى . فوجدته ساكنا ، ومر بخاطرى أن أقول : إذا لم يكن بد من القطع ، فاقطعوا يدى اليسرى ، حتى لا أعجز عن كتابة التفسير والحديث .

ثم اتجه إلى ذلك الحاكم ووجه إلَىَّ التهديد والتخويف . فنظرت وعرفته ،وكان فى وقت ما غلاما لأبى ، فأخذ يتحدث إلى بالعربية . وأنا أتحدث إليه بالفارسية . فنظر إلَىَّ متشككاً فتذكرنى وقال أيها الغريب ألست أبا الحسين بن خفيف ؟ فقلت : بلى أنا أبو الحسين ابن خفيف وابتسمت . وكان أبى قد كنانى فى طفولتى بأبى الحسين وحينما عرفنى الحاكم نهض وانكب على قدمى ، وبكى . وأكثر من الاعتذار[1] ، وألح كثيرا فى أن أقبل منه شيئاً ولم أفعل . ثم نهضت من ذلك الموضع . وكان جسدى كله مجروحا داميا

---

(١) السبكى : ٢ — ١٥٣ ثم زرت القدس . . . . فعرفنى فأخذ يلطم رأسه ووجهه واشتغل الناس به وإذا بضعية (صحتها ضجة) عظيمة وأن اللص قدمسك ثم أخذ الأمير يبالغ فى الاعتذار ، وجهدنى أن أقبل شيئا فأبيت وهربت . الذهبى : ١٢٣ ب : ثم مضيت إلى بيت المقدس . . . . وأن اللصوص قد مسكوا فذهبت والناس ورائى ، وأنا ملطخ بالدماء جايع لى ايام لم آكل فرأتنى امرأة عجوز فقيرة فقالت : أدخل إلينا فدخلت ولم يرنى الناس ، وغسلت وجهى ويدى فإذا الأمير قد أقبل يطلبنى فدخل ومعه جماعة وجر من منطقته سكينا وحلف بالله : وقال إن أمسكنى إنسان لأقتلن نفسى وضرب بيده رأسه ووجهه مائة صفعة ، حتى منعته أنا ثم اعتذر ، وجهد لى أن أقبل شيئا فأبيت فما دخلت بلدا فيه فقراء إلا قصدتهم.
Amedroz 560.

فأشارت إليّ امرأة عجوز قائلة : تعال إلى منزلى ساعة حتى أغسل ملابسك ، وتستطيع الصلاة. فذهبت إلى منزلها ، فأمرت بغسل ملابسى ، وأعدت لى الحمام . ثم خرجت من ذلك المكان ، وذهبت إلى أحد مشايخ الشام ، ورويت له قصتى ، (ص ٤٩) فقال : هذا جزاؤك لأنك تسير وحدك ، ولا تختلط بالفقراء والدراويش وتجالسهم ، وتبحث عن فراقهم .

وبعد ذلك لم أسر وحدى ، واخترت مجالسة الفقراء والاختلاط بهم . وغنمت صحبتهم ، وسبحان الله الذى يزيد بلاء كل من كان أكثر إخلاصا على بابه ، ويزيد عقابا كل من هو أكثر تقى ، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشد الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل[1] » .

فصـــل (٤)

قال الشيخ الكبير رحمة الله عليه : كنت ذات مرة على سفر ، وصحبنى قرداتى ، فمرض فى الطريق ، ولم يستطع حمل حاجياته ، فقلت لنفسى : لقد وجب علىّ حق الصحبة له ، ولزمت رعايته ، فحملت حاجياته ووضعتها على كتفى ، حتى بلغنا منزلا ، فسلمته إياها وانصرفت .

---

(١) الحديث الشريف : ورد بنصه فى الجامع الصغير ، رواه الطبرانى عن أخت حذيفة جامع ٢ — ٥٩ . المترجم .

فصـــل (٥)

كان الشيخ قدس الله روحه . يروى ذات يوم واقعة القرامطة[1] التى حدثت فى القادسية . قال : كنت بين المشاة فى أول القافلة (ص ٥٠) فقد كان من عادة المشاة أن يسيروا أمام القافلة . وكنت مع رفيق اسره القرامطة . وأودعوه أهل القادسية ، حتى هزم عسكر ابن أبى السلاح ، وعرفنى أهل القادسية . فأكرمونى كثيرا وأحسنوا إلىَّ . فتحينت فرصة ، وخرجت فى وقت كانوا مشغولين فيه .

فصـــل (٦)

قال الشيخ رحمه الله : حدث أننى كنت قد ارتديت صوفا مصريا ، واعتممت بعمامة جميلة ، وقصدت جماعة من الدراويش ، وحينما وصلت إلى مجلسهم ، كانوا يتناولون الطعام ، فمددت يدى حتى أشاركهم ، فقال أحدهم : أتلبس ملابس الأغنياء وتأكل طعام الفقراءِ ؟ فقلت : لا أعلم أن للفقراءِ طعاما وإلا ما أكلته . وكففت يدى .

فبلغ هذا الكلام شيخهم ، فاستحسنه ، ووبخ ذلك الدرويش ، وأرسله أمامى ليعتذر ، فقلت له : أيها الأخ : ليس لخبز الدراويش صاحب ، ولا سبيل للاعتراض على من يأكله ، فكل من استمسك به ، استغنى عن ملك هذه الدنيا ، وكل من اعتصم به ، غنى واستغنى عن الحاجة والاحتياج .

---

(١) انظر : الكامل لابن الأثير : بداية حوادث القرامطة فى الشام ٧ /ص ١٨٦ . المترجم .

الباب الرابع

فى شرح أحوال عدد من المشايخ

نقيهم الشيخ رحمه الله فى مكة ، وهم تسعة ، ويخص كل شيخ منهم بفصل، ويختم هذا الباب بحكاية عن أحوال على بن عيسى الوزير .

فصل (١)

كان الشيخ الأول : أبا الحسن المزين .

كان الشيخ رحمة الله عليه : روى أبو الحسن المزين : مرض أبو يعقوب الأقطع ، وأردت أن أذهب لعيادته ، وحينما ذهبت ، كان جماعة من الإخوان فى حضرته ، فأجلسونى على فراشه ، وقالوا لى : حينما يفتح عينيه لقنه كلمة الشهادة ، وحينما فتح عينيه لقنته إياها . فاتجه إلىَّ الأقطع وقال : هل تلقننى ؟ قلت :بلى فابتسم وقال : بعزة ذلك الإله الذى لا يموت ، لم يبق بينى وبينه إلا حجاب العزة . قالها وأسلم الروح [(1)] .

---

(١) الأنصارى : (من طبعة كابل سنة ١٣٤١ ص ٢٧٦) : كان الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف يقول : إن الرجل كان يحترق فى الألوهية ، وأتى خلف حجاب العزة ، وكانوا يعرضون عليه الشهادة . الديلمى : ١٥١ أ : حكى شيخنا أبو عبد الله قال : لما دخلت مكة ، وحضرت مع أبى الحسن المزين وحضر (١٥١ ب)جماعة من الفقراء فقال . . . . . . قال الشيخ : كان أبو الحسن إذا حكى هذه الحكاية يأخذ بلحيته ويقول : حجاما مثلى يلقن أولياء الله الشهادة . كذا فى الرسالة : ١٨٢ ولكن عن النهرجورى بدلا من الاقطع ، تذكرة ٢ - ١١١ (هنا ١١٠) ، ومكان الأقطع على بن سهل الاصفهانى .

والعباد المخلصون حاضرون فى كل الأَوقات ، وذاكرون فى كل المقامات . اللهم احشرنا فى زمرتهم ، واجعلنا من جملتهم .

(ص ٥٢) وكان أبو الحسن المزين ، يبكى كلما روى هذه الحكاية ، ويصلك وجهه ، ويقول : كيف يجوز لحجام أَن يلقنه ؟ قال الشيخ رحمة الله عليه : كانت محبة الله تعالى ،قد أَحرقته وأَفنته ، لدرجة أَن لم يبق من بين الحجب أَمامه ، إلا حجاب العزة . وكل من وصل إلى هذا المقام ، ووجد هذا القرب ، لم يحتج إلى تلقين كلمة الشهادة ، واستغنى عن التحريض على العبادة .

فصــــل (٢)

قال الشيخ قدس الله روحه : قال لى أَبو الحسن المزين ذات يوم : اذهب وأَبلغ فلاناً الدرويش منى السلام ، فعندى حكاية مقبولة عنه ، أَقصها عليك حين تعود . فذهبت وأَبلغت السلام ، فرأَيت رجلا قد جمع أَوقاته ، وطهر من فساد الدنيا باطنه ، فعدت وقصصت هذا الأَمر على أَبى الحسن ، قال أَبو الحسن : لحقت بصحبته حينا ، ووجدت أَحواله مستحسنة جدا ، وكان قد أَرسل لى فى ذلك الوقت قدرا من الذهب من مصر ، أَنفقته على الفقراء (ص ٥٣) ، وبقى منه عشرة دنانير ، فأَخذتها وحملتها إليه .

وحينما رآنى نهض وأَجلسنى مكانه ، فأَخذت أَتحدث إليه ساعة ، واستحسنت أَوقاته . ولما أَردت العودة ، وضعت هذا الذهب أَمامه ، وقلت : اقبل هذا تبركا ، حتى يستطيع هؤلاء الدراويش الذين حولك الإنفاق ، ويتنعمون ، فأَخذ الذهب وقبله ثم رده إلى وقال : الله الله

لاتكدر حالى على . ولا تفسد أوقاتى . فقد بذلت مائة ألف دينار ، حتى وجدت هذا الوقت . فخجلت ونهضت من مجلسه وأنا شديد الخجل وعدت .

وكل من كان له مع الله وقت . فلا قدر عنده للدراهم والدنانير ، وكل من يجد جذبا من قبل الله تعالى ، لاوزن لحطام الدنيا عنده .

فصــــل (٣)

قال الشيخ رحمه الله : جرت مجادلة ذات يوم . بين أبى الحسن المزين وأحد الدراويش . فأحضر ذلك الدرويش آلات الحجامة غاضبا ، ووضعها أمام أبى الحسن . وقال : قم وامض إلى عملك . واترك الفقر للفقراء . فهم مريدو أبى الحسن بإيذاء الدرويش وتأديبه . فنهاهم أبو الحسن وقال : ينبغى على كل من يجالس الدراويش ألا يتأذى من كلامهم .

(ص ٥٤) روى الشيخ الكبير حكاية عن أبى الحسن أنه قال : التقيت ذات سفر بالحسين ابن منصور الحلاج فقلت له : إلى أين ذاهب ؟ وأين مقصدك ؟ قال : إلى الهند حتى أتعلم السحر . ثم أدعو الناس بعد ذلك إلى الله [1] .

فصــــل (٤)

روى الشيخ أبو الحسن : ذهبت إلى بئر فى بادية تبوك لآخذ بعض الماء . فزلت قدمى . فقلت فى نفسى : واأسفاه ! لقد عكرت ماء البئر

---

(١) Passion 180.

على الناس ، فرأيت فى ركن من البئر حفرة ، فألقيت بنفسى من بين الماء فى هذه الحفرة ، فأبصرت حية عظيمة قد تقدمت منى فراجعت سرى ، ووجدته ساكنا .

ثم حملتنى تلك الحية وألقت بى خارج البئر ، بحيث لم يلحقنى أذى ، ثم انفصلت عنى .

وفى كل آن ينقاد فيه الإنسان إلى الحق تعالى ، تنقاد له كل الحيوانات ، وكل من يمتثل لأمر الله ، تمتثل الوحوش والسباع لأوامره ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا دنيا : أخدمى من خدمنى [1] . (ص ٥٥)

فصـــل (٥)

روى الشيخ الكبير رحمة الله عليه عن أبى الحسن أنه قال : ذهبت يوماً مع إبراهيم الخواص إلى مسجد الرصافة ، فدخل درويشان المسجد ، وقال إبراهيم : من أين أتى هذان الطائران ؟ قلت : لا أدرى ، قال : اذهب واسألهما ، وأشرلهما أن يتوقفا لحظة ، ثم عد إلى . فذهبت وسألتهما ، ثم عدت إليه . وكان قد وضع إلى جوار إبراهيم عدة دنان ، فدخل إبراهيم فى واحد منها ، وخلع ثوبه وأعطانى إياه وقال : اذهب إلى السوق ، وبعه ، واشتر طعاما من أجلهما ، واحمله إليهما ، ففعلت ما أمر به

---

(١) رواه الديلمى : انظر : كنوز الحقائق لمحمد عبد الرءوف المناوى بهامش الجامع الصغير ٢ — ١٧٨ . المترجم .

وبعد ذلك دخل أحد الناس المسجد وقال للسقائين : لماذا لاتملأون هذه الدنان بالماء ؟ قالوا : لايعطينا أحد شيئاً . فقال : أملأوها وأنا أعطيكم أجركم . فذهب سقاء إلى أحد الدنان . فأبصر رجلا قابعا فيه ، فرفع صوته قائلا : أحد الناس قد جلس فى هذا الدن . فأتى ذلك الرجل لينظر ، فرفع إبراهيم صوته قائلا : لاتنظر فأنا عريان . فعلم من صوته أنه إبراهيم ، فخلع ثوبه وعمامته ووضعهما على حافة الدن فأخذهما إبراهيم ، وارتداهما ، وخرج من الدن (ص ٥٦) .

قال أبوالحسن ، قال لى إبراهيم خذ هذه العمامة إلى السوق وبعها ، واسترد خرقتى ، فذهبت وفعلت ، وحين عدت إليه ورددت له خرقته ارتداها ، وأعطانى الثوب أيضاً ، وقال : اذهب فبعه فإخواننا قد جلسوا جوعى فى « الشونيزيه » فذهبت وبعته وعدت بثمنه إلى إبراهيم فقال : خذه واحمله إلى إخواننا فى (الشونيزية) ، فنهضت وذهبت .

وحينما وصلت إلى « الشونيزيه » ، رأيت رويما قدس الله روحه ، فاقترب منى وبدون أن أقول له شيئاً قال : هات مامعك ، فسلمت إليه تلك النقود . فأرسل إلى السوق فى الحال ، وأحضروا قدراً من الخبز وحملين مشويين وبعض الرياحين ، ومدوا المائدة ، وقنع كل امرئ بلقمة أو لقمتين ، وآثروا الدراويش بالباقى .

فكل من يتكفل بمصالح الخلق ، يتكفل الحق فى كل الأحوال بمصالحه ، وكل من ييسر مقصود أخ له ، ييسر الحق تعالى مصالحه فى الدارين .

فصـــل (٦)

قال الشيخ رحمه الله : سمعت من الحكيمى[١] : كنت مع تلك الجماعة ، وبعد فترة ذهبت إلى بغداد ، ولم أر أحداً من هؤلاء القوم بعد ذلك ، إلا أحد الدراويش (ص ٥٧) . كان قد انزوى فى ركن ، وحينذاك سألت القوم : لقد وجدت هنا جماعة لهم أحوال ومسالك شريفة ، فأين ذهبوا ؟ فأجابوا : هذا الدرويش من هؤلاء القوم ، إن وجد شيئاً يؤثر به ، وإن لم يجد يزاول الرياضة .

فصـــل (٧)

قال الشيخ رحمه الله : سمعت من أبى الحسن المزين قال : كنا جلوسا ذات يوم مع «إبراهيم الخواص» فى مسجد الرصافة ، وهطل المطر ، فتفرق الناس أجمعين ، وحينما نظرت وجدت أن المطر كان لا يهطل على إبراهيم ، فنظرت إلى السماء ، فرأيتها ملبدة بالسحب ، إلا فى مقابلة رأس إبراهيم ، فلم يكن ثمة سحاب بقدر هذه الرأس ، فتعجبت من هذه الحالة ، فأمسك إبراهيم بجيبى وقال : انهض أيها الضعيف ، هذا الحال إلى جوار كرامات الشيوخ وأحوالهم قطرة من بحر .

فصـــل (٨)

روى الشيخ أبو الحسن : كنت ذات مرة فى النهر الأيسر ، وكان هناك رجل يقال له اعتقاد فى حق سالكى طريق الله تعالى .

---

(١) لعله أبو الحسن الحكيمى وسيرد ذكره فيما بعد انظر ترجمته فى النفحات تحت اسم أبى الحسين ٢٥٣ . المترجم .

وذات يوم كنت أسير بجوار الشاطيء ، فرأيت خرقة ملقاة ، فعلمت أنها لدرويش ، فحملت تلك الخرقة ، وسمعت صوتا من بين الشاطيء ، (ص ٥٨) .

وحينما نظرت كان أبو الحسين النورى قد ألقى بنفسه فى الماء ، وأخذ يغوص بين الماءِ والطين . وحينما رآنى قال : يا أبا الحسن أترى كيف يعاملنى الله تعالى ، كل يوم يسلط على العديد من صنوف البلاء ، ويلحق بى ألوان المكاره ، ثم يقول فى النهاية : كل ما قدرته لجملة الخلائق ، وكتبته على البشر ، سوف يكون لك زيادة عنه ، ولا رجحان لك على الآخرين ولا تخصيص . وأخذ يردد هذه الكلمات ويبكى . فخلصت جسده من طين الشاطيء برفق ، وأخذت أغسله من الوحل ، ثم ألبسته ثوبا ، وحملته إلى ذلك الدرويش البقال .

وحينما (ص ٥٩) حل الغروب ، أغلق الخلق بجملتهم الأبواب ، وصعدوا إلى السطوح ، وحملنا ذلك البقال إلى السطح وقال : إن السباع تهاجم هذه القرية كل ليلة ويصعد الناس خوفا منها إلى السطوح . وكان حول القرية أجمة ، كانت مأوى للوحوش .

وحينما سمع أبو الحسين هذا الكلام ـ ألقى بنفسه حافى القدم فى هذه الأجمة ، وأخذ يتجول فيها إلى الصباح وهو يتحدث إلى السباع . وحينما رأيناه على هذا النحو ، قلنا لبعضنا : لن ينجو أبو الحسين من هذه الأجمة . وفى اليوم التالى رأيناه يخرج من الأجمة سالما ، وهو يترنم هامسا . وحين اقترب منا ، ألقى بنفسه ، وكان قدماه قد

جرحا من قصب الأَجمة الذى كان قد قلم ، فطلبنا ملقاطا ، وأَخذنا نخرج قطع القصب من قدمه . وكانت قد جرحت بحيث ظل أَربعين يوما بلياليها لا يستطيع الوقوف[1] .

يقول أَبو الحسن المزين : سأَلت أَبا الحسين النورى : أَى حال كان هذا ؟ أَجاب حينما سمعت أَن أَسدا فى هذه الأَجمة ، رأَيت نفسى قد هلعت . فأَلقيت بنفسى فى تلك الأَجمة كسرا لها . وربما ضحى أَولياءُ الله تعالى بالجسم والروح فداءَ طريق الحق ، حتى يصلوا بذلك إلى جنة النعيم . ويظفروا بلقاءِ البارى تعالى . كما قال الله تعالى :
« إِنَّ اللهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُم وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ »[2]
(ص ٦٠)

فصــــل (٩)

وكان الشيخ الثانى أَبا على الروزبارى .

ويروى الشيخ الكبير عنه : كنت جالسا معه فى مكة ذات يوم ، فدخل أَحد الدراويش ، وأَخذ أَبو على يسأَله عن أَحوال المشايخ ، والدرويش يتحدث عن أَحوالهم ، فأَنشد أَبو على هذا البيت :

رمى الحق بالفتيان حتى كأَنهم بأَطراف آفاق البلاد نجوم

---

(١) ابن باكوية Receu.l W5 N.S. ابن الجوزى : ٣٥٦ : أخبرنا ابن حبيب ، حدثنا ابن أبى صادق حدثنا ابن باكويه ، قال : سمعت أبا أحمد الصغير ، سمعت أبا عبد الله بن خفيف ، سمعت أبا الحسن المدينى يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية قال : لما ذكر السبع وجدت نفسى فزعا فقلت لأطرحنك إلى ما تفزعين منه . قلت : لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين وكيف يجوز للإنسان أن يلقى بنفسه فى ماء وطين هل هذا إلا من فعل المجانين ، وأين الهيبة التعظم من قوله ترى ما يفعل بى وما وجه هذا الانبساط وينبغى أن تجف الألسن فى أفواهها هيبة . ثم ما الذى يريده غير الذكر ولقد خرج من الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع هل يجوز فى الشرع أن يلقى الإنسان بنفسه إلى السبع . أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه نفسه من خوف السباع ، ليس هذا فى طلوقها ولا طلبه الشرع منها .

(٢) التوبة اية !!! (هنا ١١٥)

ويعنى بالبيت : أن الحق تعالى قد اصطفى عددا من عباده ، وألقى عنهم بعلائق الدنيا ، وجعلهم محرومين من لذاتها وشهواتها ، بحيث بلغوا مرتبة رجحوا بها على نجوم السموات ، وزادوا قدرا عن الشمس والقمر ، حتى يجد الخلق بهدايتهم الطريق فى كل آن .

فصـــل (١٠)

يقول الشيخ الكبير : كنت جالسا مع أبى على ، فدخل أحد الدراويش ، وتحدث بكلام معه : فأنشد أبو على هذا البيت جوابا عليه :

تنح عن القبيح ولا ترده ومن أوليته حسنا فزده

(ص ٦١) ومعناه : انفصل عن القبح ، وانف عن نفسك ما نهى عنه الشرع ، وكل من تحسن إليه ، يجب أن تعتبر زيادة هذا الإحسان من جملة الواجبات .

فصـــل (١١)

قال الشيخ رحمة الله عليه : جلس أبو عَلِيٍّ وأبو يعقوب النهرجورى يوما فى مواجهة الكعبة ، وأخذا يتحدثان فى البقاء والفناء ، وكان أبويعقوب يتحدث على مذهب البصريين وأبو على على مذهب البغداديين وجرت بينهما محاورة طويلة .

ثم نهض أبو على وزيَّن نفسه بالملابس المرقعة ، وغاب عنا ، وأخذ يتردد على بطحاء مكة .

وبعد ساعة عاد إلينا ، وقد ارتدى خرقة قديمة خلقة ، وانشغل بالطواف حول الكعبة ، وحينما رأى أبو يعقوب ذلك قال : والله لقد غلبنا أبو على فى التصوف ، وزاد علينا فى التقوى ، واستفسرنا عن أحواله من الناس ، قالوا حينما غادر المسجد ، عاد إلينا وقد عراه جماعة ، فقال لهم : ألا تخجلون وأنتم تقومون بتمريني فى الكعبة . وكان يقول هذا ويضحك .

(ص ٦٢) .

فصــــل (١٢)

قال الشيخ رحمة الله عليه كان أبو على مشهورا بالحلم ، ولم ير قط وقد غلبه الغضب . وذات يوم حضر جمع من الفقراء وقالوا : تعالوا نختبره أهو راسخ القدم فى مقام الحلم أم لا ؟ و كان من عادة المشايخ أن يقوم كل واحد منهم بخدمة الجماعة يوما . وحينما حلت نوبة أبى على ، لم يفعل شيئا قط من شروط الخدمة ، بحيث أنهم أيقظوه فى الليل قرابة سبعين مرة ، وكلما كان يستيقظ كان يجيب : لبيكم يا سادتى ، ولم يظهر عليه ضجر أو ملل ، وخدم المشايخ على هذا النمط ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يسترح فى نهار أو ليل .

وحينما انتهت نوبة خدمته ، ولم يجد إليه الملل طريقا ، قال القوم لبعضهم : ليس هذا التصرف الذى قمنا به مقبولا ، وهو بعيد عن الطريقة .

وحينما وقف أبو على على تفكيرهم قال :أى تفكير وظن هذا تدعون طريقه إليكم ، فقصوا عليه الأمر قائلين : لقد كنا نختبرك ، هل تمل أو تغضب من تلك الأحكام ، التى كنا نجريها عليك أم لا ؟ قال أبو على : لو كنت أعلم أن هذا مرادكم لغضبت منذ البداية ، ولأظهرت الملل ، حتى يتم مرادكم . ثم قال : طيبوا نفسا . وأخذ يمزح ، ويسعد أوقاتهم . (ص ٦٣) .

فصــــل (١٣)

قال الشيخ رحمة الله عليه : ذات يوم أقيمت فى مكة مأدبة ، وحضرها الشيوخ جميعا وكان من بين المشايخ درويش من خراسان، ولم يكن أبو على يعرفه .

وحينما مدوا السماط نهض أبو على وكعادة أهل التصوف ، حمل إبريق الماء ، وأخذ يسقى القوم وهو يمزح ، وكما كان يمزح مع المشايخ ، أخذ يمزح أيضا مع ذلك الدرويش . فغضب الدرويش وأخذ الإبريق من يد أبى على ، وضربه به على رأسه فشجها ، وسال الدم ، وهم مريدوا أبى على بضربه ، فقال أبو على : الله الله . لا تؤلموه ، ولا تؤذوا خاطره . فخجل الدرويش . وندم على ما فعل ، و حينما رأى أبو على خجله قال : يا أخى هون عليك فقد كنت أريد أن أفتصد بعض الدم إذ غلبت على الحموة . والآن استغنيت عن الفصد والحجامه فقد نضب دمى تماما ، وهكذا أخذ يمزح مع الدرويش ، حتى ذهب الخجل عنه . .

وهكذا كانت مزايا المشايخ الكبار ومكارم أخلاقهم ، من أجل رضا الأخوان ، كانوا يجيزون ألف طعنة وجراحه على أرواحهم وأجسادهم ، وكانوا يفضلونهم على أنفسهم . اللهم ارزقنا بركاتهم ، ولا تحرمنا درجاتهم .

(ص ٦٤)

فصــل (١٤)

وكان الشيخ الثالث هو أبا بكر الكتانى رحمة الله عليه .

قال الشيخ قدّس الله روحه : سألنى الدروايش أن أستفسر من أبى بكر الكتانى ، كم مرة رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم ، قلت : استفسرت منه فأجاب : رأيته كثيرا ، قلت : مائة مرة ؟ قال : أكثر ، قلت : : مائتين ؟ قال : أكثر ، قلت : ثلاثمائة ؟ قال : أكثر . قلت : أربعمائة مرة ؟ قال : أكثر قلت : خمسمائة مرة ؟ قال : أكثر ، وبلغت الستمائة فقال : أكثر .

ثم قال : من بين رؤياه عليه السلام فى النوم رأيته بالأمس ، وقال : حينما ذهبت فى النوم ، رأيت الرسول صلى الله عليه والسلام قد دخل منزلى . وكان معه جمع من الصحابة والسابقين ، فسلم على قائلا : السلام عليك يا أبا بكر قلت : وعليكم السلام يا رسول الله قال : أتعرف هذا الرجل؟ قلت بلى يا رسول الله هو أبو بكر الصديق ، قال وهذا الآخر ، قلت : عمر بن الخطاب ، قال : وهذا (ص ٦٥) الثالث قلت : على بن أبى طالب .

ثم قلت : يارسول الله ما تقول فى هذه الفتن التى وقعت بين صحابتك ؟ قال : كف عليك لسانك .

ثم أخذنى أمير المؤمنين على عليه السلام من يدى ، وحملنى إلى جبل الصفا ، وقضيت برهة معه . ثم قمت من النوم . وهذا جانب من أحلام الأولياء .والحقيقة أن أحلامهم نوع من الإلهام والمكاشفة .[1]

فصـــل (١٥)

يقول الشيخ رحمة الله عليه : كان لأبى بكر الكتانى خادم يسمى موسى ، وكان قد جمل ظاهره وباطنه بالصفات الحميدة ، يقول أبوبكر كلما جاهدت فى أن أجعله مقبولا لدى باطنى لم يجد فتيلا . ولم يكن يقبله ، وانقضت فترة وأنا أرقب أحواله وأرصدها ولم أكن أرى خللا قط فى أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته . وذات يوم أخذت بيده ، وذهبت به إلى مكان خال ، ووضعت خدى على الثرى وقلت له . انهض وضع قدميك على وجهى ولم يمتثل للأمر ، فألححت كثيرا حتى فعل ، فذهب هذا الإنكار من قلبى .

وسئل الشيخ أبو عبد الله رحمة الله عليه : (ص ٦٦) لأى سبب كان هذا التصرف ؟ قال : لقد رأى أبو بكر استقامة أحواله ، ولم ير فيها خللا ، وحينذاك صار منقادا له ، ومحتملا لأوامره ، حتى ذهب ذلك الإنكار من قلبه .

---

(١) كلاباذى : التعرف باب ٧٠ ص ٢٥٧ من طبعة آربرى ، حليه : ١٠ — ٣٤٣ تذكرة ٢ — ١٢٢ . المترجم وهى مختلفة رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى وخمسين مرة فى النوم ثم حكاية مختلفة تماما .

فصـــل (١٦)

وكان الشيخ الرابع هو أبو على الوارجى :

يقول الشيخ رحمة الله عليه : ذهبت إلى مكة ، وكان أبو على الوارجى قد جاء من مصر وذات يوم كنت جالسا مع جماعة من المشايخ وكان أبو سعيد الأعرابى حاضرا ، فوجه رجل إلى أبى على سؤالا ، وأخذ أبو على يسوق كلاما كثيرا فيه ، ثم أخذ يكرر هذه العبارة : حينما يصل العارف إلى درجة الكمال ، لا يضره وجود المعلوم .

فبالنسبة إلى أحوال العارف يستوى الموجود والمعدوم . وكان المشايخ حاضرين جميعاً ، ولم يعترض أحد . (ص ٦٧) .

قال الشيخ رحمة الله عليه : فبدأ فى خاطرى معارضة هذا الكلام ، وأخذت أقول : ياسيدى إذا كنت قد شاهدت هذا المعنى فى واقعة ، أو تقوله على سبيل المكاشفة ، فهو مسلم لك ، ولا جدال فيه ؛ وأما إذا كنت تقوله على سبيل الشريعة ، فيلزمك لهذا الكلام دليل من الكتاب أو السنة ، أو كلام أهل السلف .

وكان المشايخ يريدون منى أن أتجاوز عن كلامه ، فأشار إلىَّ أبو سعيد الأعرابى قائلا : استمر وأتم كلامك ، .

وقال للمشايخ : اتركوا ابن خفيف على حاله ، حتى يتم كلامه ، وكلما أوردت دليلا من الكتاب أو من السنة ، كان أبو على يقول : هذا الحديث وارد فى حق الأمة ، وكنت أقول : ألست من الأمة ؟

حتى ذكرنا حديث بلال الذى فيه « أرحنى منها »[١] فقلت : إذا كان بلال حال قوله هذا الكلام فارغا من الدنيا ، فقد أخبر عن غير الحق ، ولا يجوز عليه الكذب ، وإذا كان ما أخبرته حقاً ، فهذا الحق أولى بالآخرين .

قال أبو على : ياابن خفيف : إن التجاوز عن الإخوان فى المجادلة من قبيل الأحسان ، فقلت :لايجوز التساهل فى الشريعة ، وحينذاك نهض ووضع يده على كتفى وقال : قتلتنى يا أبو عبد الله وتصبب عرقاً من شدة حرجه . (ص ٦٨) .

فصـــل (١٧)

وكان الشيخ الخامس أبا الحسين الدراج[٢] :

قال الشيخ رحمة الله عليه : سمعت منه قال : كان من عادتى كل عام أن أخرج إلى البادية مع جمع من الفقراء ، ثم طرأ على ملل من كثرة الصحبة والمرافقة ، وأحببت السير وحدى ، فقصدت البادية وحيدا ذات عام .

وحينما وصلت إلى القادسية ، رأيت شخصاً مجذوما يعوذ بالله من البرص والجزام ـ قد جلس فى زاوية المسجد ، فقال لى : أعازم على الخروج إلى البادية ؟ قلت : بلى قال : إن صحبتى جديرة بك قلت : لا . وحدثت نفسى : لقد فررت من صحبة الأصحاء ، واخترت

---

(١) ارحنى منها : لم أعثر على أصل لها ولعلها تحريف عن قول الرسول عليه السلام لبلال رضى الله عنه : ارحنيها أى الصلاة وهو مشهور

(٢) المترجم : فى النفحات الوراج انظر ص٣٠٠ .

فراقهم ، فكيف إذن أصحب مجذوما ،فالتفت إلىّ ذلك المجذوم وقال : يا أبا الحسين إن الله يحفظ الضعفاء فى قبة حفظه ، ويرعى العاجزين فى حرم رعايته ، حتى ليعجب من ذلك الأقوياء ، ويحسدهم عليه الأصحاء [1] .

قال أبو الحسين فعزمت على الطريق ، وفى الصباح بلغت منزلا ، وحينما نظرت وجدت ذلك الرجل المجذوم قد جلس فى المنزل ، والتفت إلىّ ، وكرر نفس الكلام الذى قاله لى قبل ذلك ، فتعجبت (ص ٦٩) ، ثم اتخذت طريقى . وحينما وصلت إلى منزل آخر وقت صلاة العصر ، رأيت الرجل المجذوم وقد نزل بذلك المنزل ، والتفت إلىّ وردد نفس الكلام . فزاد عجبى ، وداخلنى الشك فى حالى ، وقلت : ربما أرى هذا الحال فى النوم ، والخلاصة : حل بى حال ، فانكببت على قدمه ، وقدمت له كثيرا من الأعذار . فقال : ماذا تريد ؟ قلت : صحبتك قال : لقد اتخذت مع الله عهدا ،ألا تصحب أحدا ولا ترافق مخلوقاً ، ولا أريد أن تنكث بعهدك ، قلت : ما دمت لم تسمح بالصحبة . فلا تحجب نفسك عنى ، فقال : أما نفسى هذه فلك ما تريد .

قال أبو الحسين : فلم تعد لى همة إلا أن أصل إلى منزل ، وأغتنم صحبته لحظة ،ثم غاب عنى ،ولم أره ثانية إلا فى مكة ، وقصصت ما جرى على المشايخ ، فقالوا : هذا الشخص يسمى أبو جعفر المجذوم ، ولنا ثلاثون سنة فى طلبه . ولا ندركه ، فإذا رأيته ثانية ، فأخبرنا ، حتى نأتى ونراه ، وينال كل منا حظه منه .

---

(١) المترجم : بالعربية من النفحات : يصنع الله سبحانه بالضعيف حتى يتعجب القوى

والخلاصة : لم نره حتى وصلنا إلى منى ، وحينما انشغلنا برمى الجمار ، ارتكن شخص خلفى بيده على ، وحينما نظرت رأيته ، فداخلتنى هيبة منه بحيث غبت عن وعيى (ص ٧٠) وتجمع الخلق حولى ، وحملونى وذهبوا بى إلى مسجد الخيف ، ورشوا وجهى بالماء . حتى عدت إلى وعى .

وحينما أفقت قال المشايخ : ما حدث لك ؟ فقلت لهم ما جرى ، قالوا لم تنجز أمرا فى المرة الأُولى ولا فى المرة الثانية . ثم رأيته مرة أُخرى فى طواف الوداع ، فالتفت إلى وقال ألا تريد أن تجمع الخلق حولى وتشهرنى ؟ قلت : لا ، ولكن لى منك رجاءٌ ، وهو دعاءٌ أرجو أن تدعو لى به حتى أصل إلى المقصود ببركة دعائك ، قال : ادع أنت وأنا أؤمن . قال أبو الحسين : فأخذت أدعو وطلبت من الله ثلاث حاجات ، وكان يؤمن [1] .

فصـــل (١٨)

قال الشيخ أبو عبد الله رحمة الله عليه : سألت الشيخ أبا الحسين : ماذا كانت هذه الحاجات الثلاث ؟

قال : كانت أولاها « اللهم حبب لى الفقر » وكانت الثانية : « اللهم لاتجعل لى رغيفا أدخره لغد » ، وكانت الثالثة : اللهم مادمت قد خصصت أولياءك وأصفياءك برؤية وجهك الكريم يوم القيامة فاجعلنى من زمرتهم .

---

(١) أنصارى : ٣٥٥ — ٣٥٧ ، حلية : ١٠ — ١٣٣ نفحات١٧١—١٧٢ ألف ليلة وليلة

يقول أبو الحسين : لقد استجاب الله لدعائى الأول والثانى وأرجو أن يستجاب الثالث أيضا .

(ص ٧١)

فصـــل (١٩)

قال الشيخ رحمة الله عليه : سمعت من أبى الحسين الدراج قال : ذهبت يوما مع جماعة من المشايخ إلى بستان على سبيل النزهة ، وأرادوا أن ينضجوا طعاما ، فأشاروا إلى قائلين : كن أنت الطباخ ؛ فوضعت القدر على النار ، ولم أضع عليه غطاءه ، وكان القوم جميعا صائمين .

وحينما دخل المغرب أردت أن أغرف الطعام ، فجاء طائر يقال له الحدأة ، وقصد أن يلقى بنفسه فى القدر ، وأخذت أدفعه فلم يتيسر لى ذلك ، فانضم إلى الإخوان ، فلم يبتعد مهما فعلنا ، حتى انتصر فى النهاية وألقى بنفسه فى القدر ، ومات فى الحال ، فأهرقنا ما فى القدر ، فرأينا أفعى كانت فى ذلك القدر مطبوخة ومهترئة ، فتعجب المشايخ جميعا ، وظهرت لهم أحوال ورقائق ، ثم رأوا من الصواب أن يكفنوا الطويئر المسكين ، ويصلوا عليه ويدفنوه ، وكذلك فعلوا .

فصـــل (٢٠)

روى الشيخ رحمة الله عليه عن أبى الحسين أنه قال : كنت ذات يوم أسير فى غور الأردن ، فرأيت إبليس على صورة شيار ، فتقدم منى ووقف ، قلت : أترى كيف أننا معشر المشايخ (ص ٧٢)

قد أغلقنا أمامك طريق الضلال ، فليس لك علينا سلطان ، قال : ما تقول حقا ، ولكنى تركت بينكم خصلة هى حجابكم فى طريق الآخرة قلت : وماهى ؟ قال : النظر إلى الغلمان ، قلت : اذهب أيها الملعون فقد تركنا هذه أيضا ، قال : لم تحسن فى هذه أيضا لأن المؤمن لايكون لعانا [(١)] .

فصل (٢١)

وكان الشيخ السادس أبا يعقوب النهر جورى :

روى الشيخ رحمة الله عليه حكاية عن أبى يعقوب : جاء الحسين ابن منصور إلى مكة ، وكان معه أربعمائة من المشايخ ، مع كل واحد منهم إبريق وعصا ، واستضاف قوم كل واحد من هؤلاء المشايخ فى دورهم ، وبقى الحسين وحيدا ، فاستضفته فى منزلى ، وقدمت له ما حضر ، وقال الحسين : أرغب فى الذهاب إلى جبل أبى قبيس ، فأخذنا طعاما وقدرا من الرطب ، وذهبنا (ص ٧٣) إلى هناك .

وحينما انتهينا من أكل الطعام والرطب ، قال الحسين : أريد شيئا حلوا ، قلت : ألم نأكل الآن رطبا ؟ أريد شيئا حلوا مطهوا أى حلوى ، ثم نهض ، وأخذ ركوته وغاب عن عينى ، وما هى إلا ساعة حتى عاد وقد ملأ الركوة بالحلوى وأكلناها مشاركة مع الرفاق .

---

(١) المترجم : لعله مأخوذ من الحديث : لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار . رواه الترمذى انظر كنوز الحقائق للمناوى بهامش الجامع الصغير ٢ — ١٥٣ . والحكاية نسبت الى الخراز فى الرسالة القشيرية ص ٣٠ .

قال أَبو يعقوب : فتعجبت من ذلك ، واقتطعت قطعة من هذه الحلوى ، ونزلت من الجبل وعرضتها على صناع الحلوى فى مكة ، وسأَلتهم : هل قمتم بصناعة هذه الحلوى ؟ فقالوا : لا ، وقال واحد منهم : هذه الحلوى تصنع فى زبيد أَى فى اليمن ، ولا تصنع فى مكان آخر قط ، قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ليس بوسعى إلا أَن أَخرج من مكة ، فقد عاد الحسين إلى حرفته أى السحر[1] .

(ص ٧٤)

فصـــل (٢٢)

وكان الشيخ السابع أَبا يعقوب الأَقطع :

يقول الشيخ أَبوعبد الله : كان أَبو يعقوب يحبنى كثيراً ، ويغمرنى بعطفه ، بحيث كان يوصينى كل يوم قائلا : اذهب ، وتردد على ما تشاءُ من أَماكن ، ولكن يجب أَن تأْتينى ليلا .

وحينما كنت أَذهب إليه كل ليلة ، كان يعد لى فراشا ، ثم ينشغل بالصلاة حتى بزوغ الصبح الصادق ، حتى أَننى كلما كنت أَستيقظ من النوم ، أَراه قائما فى الصلاة .

ومن جملة إكرامه لى أَننى كلما كنت أَذهب إليه كان يقول : يا أَبا عبد الله هل أَكلت شيئاً ؟ فإذا قلت لا ، مد يده إلى صندوق

---

(١) ابن باكوية : Quatre Texets N.11 ، تاريخ بغداد ٨ — ١٢٥ . ابن باكويه : فذهبت إلى حاج زبيد وكان له فيه صديق ، وأريته الحلوى فعرفها وقال : يعمل هذا عندنا وأنه لا يمكن حمله فلا أدرى كيف حمل ، وأمرت حتى حمل إليه الجام ، وكشفت ليتعرف الخبر بزبيد ، هل ضاع لأحد من الحلاويين جام علامته كذا وكذا ، فرجع الزبيدى إلى زبيد وإذا به قد حمل من دكان إنسان حلاوى فصح عندى أن الرجل مخدوم .

وأحضر شيئاً لى ، وإذا لم يكن شئ أرسل خادمه إلى السوق ليحضر شيئاً . وحكاية وفاته هى تلك التى رواها أبو الحسن المزين وقد مرت .

فصـــل (٢٣)

كان الشيخ الثامن أبا عمرو الزجاجى :

يقول الشيخ قدس الله روحه : أخذت أمى معى فى آخر رحلة قمت بها إلى مكة ، وكانت عن طريق البحر ، وحينما وصلت إلى مكة ، قصدت أبا عمرو ، ولما وصلت إليه قضينا ساعة طيبة (ص ٧٥) ، وجرت محادثة طويلة بينى وبينه ، ثم سألنى : أتملك شيئاً من الدنيا ؟ قلت : يامولاى ، حينما يجرى الحديث عن مناقب الأولياء ، وتذكر مفاخرهم ومآثرهم ، يكون ذكر الدنيا من الهواجس ، التى تسبب الفساد ، قال : ربما جعلت ما تملك باسم أمك ، قلت يامولاى حينما يجرى ذكر رجال الله لايليق ذكر النساء .

وكان أبو عمرو رجلا متسرعاً غضوباً فى غاية الحدة ، بحيث ترك محادثة المشايخ ومجالستهم ، وهجرهم ، وحينما رأى أننى لم أكن بالعاجز عن الرد على أسئلته ألقى ببعض الكلام ، قلت : يا مولاى أتعنى بهذا الكلام فلانا ؟ قال : بلى قلت : تركته فى شيراز ، فتكرم واكتب هذا الكلام فى رقعة وأرسله إليه[1] ، وحينما قلت هذا الكلام ضاق منى ، وحمل سجادته على كتفه ومضى ، فقمت

---

(١) A (1136 – ٧٢أ : قال أبو عبد الله بن خفيف : دخلت مكة فقصدت أباعمرو الزجاجى وسلمت عليه وجلست وجرى كلام فأخذ فى تمزيق فلما أكر قلت : أتعنى بهذا كله بن خفيف قال : بلى قلت تركته بشيراز فتبسم .

للصلاة في نفس الموضع ، ففوجئت بعودته فتوقف حتى أتممت الصلاة ، (ص ٧٦) ، ثم واصل الكلام ، ولكنه كان يتحدث هذه المرة برفق . ثم قال : هل أكلت شيئاً يا أبا عبد الله ؟ قلت : لو كنت أحضرت شيئاً لأكلت ، فأخذني إلى منزله ، وقدم لى ألواناً من الطعام ، وقال ابعث بشيء منه إلى أملك ، ففعلت . ثم قال يا أبا عبد الله منذ اثنى عشر عاما لم أسلم على هذه الطائفة من المشايخ ، قلت : ما دام الأمر كذلك فقد ضاع سفرى وسعيي ، ولو كنت أعلم ماجئت فى الموسم ، ولعدت مع القافلة ، وحينما قلت هذا الكلام ، قال : طب خاطرا ، فسآتى غدا وأتباحث مع المشايخ .

وفى اليوم التالى ذهبت فى صحبة أبى الحسن المزين إلى المشايخ ، فرأيت أبا عمرو قادما ، قال أبو الحسن : لقد أتى بإشارتك ، قلت : حذار أن تظهر هذا الكلام . إذ جاء فى طلب صحبتكم ، ثم دخل أبو عمرو وسلم ، فنهض كل المشايخ وأبدوا له الاحترام ، فتحدث قائلا : ألتمس أن تأتوا جميعاً هكذا إلى مأدبتى غداً ، فأجاب المشايخ جميعاً ، ولبينا دعوته فى اليوم التالى ، وبعد ذلك أخذ كل واحد يقيم مأدبة يوماً بالتناوب .

قال الشيخ : وبعد ذلك بدأت بينى وبين أبى عمرو محبة وألفة زائدتان ، فلم يأكل لقمة دونى قط . (ص ٧٧)

فصـــل (٢٤)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كان قوت أبى عمرو فى بداية حاله من ذوى البلح ، وكان يطوف بالمساجد ، ويعظ الناس .

وذات يوم كان يمر فى شارع من شوارع نيسابور ، فرأى عياراً قد وقع فى غلام ، وأخذ يجره إلى السلطان ، فاقترب رجل وقال للعيار : والدة هذا الغلام تبلغك السلام ، وتقول لك : ولدى لم يرقط مثل هذه الرقعة ، فما يكون لو أطلقته لوجه الله ، فسمع العيار هذا الكلام ، فرق قلبه وأطلق الغلام .

وبعد ذلك أقبل عدد من الجنود وقبضوا على ذلك العيار وأخذوه وسجنوه . وكان لهذا العيار أيضاً أم ، فجاءت وجلست فى مواجهة ابنها ، وأخذت تبكى ، فقال العيار لأمه : اذهبى إلى ذلك الغلام وقولى له إننى سجين من أجله ، وسوف يضربوننى بالعصى الآن ، فذهبت أم العيار إلى ذلك الغلام ، وأدت رسالة ابنها وعادت ، وكان السلطان حاضرا بالصدفة ، فسأل العيار أمه : هل أبلغت الرسالة ؟ فهزت رأسها ، وفهم السلطان أن هذه الرسالة شئ آخر ، فغضب وأمر أن يضربوا العيار عددا من العصى . ثم علم السلطان أن الأمر لم يكن كما فهمه ، فندم ، وأمر بأن يطلقوه ، وأكثر من الاعتذار له ، وأمر بعلاجه .

قال أبو عمرو : فذهبت فى أثر العيار وسألته : لماذا ترتكب كل هذه البلايا والمشقات ؟ قال : من أجل أن أكون قريباً (ص ٧٨) من السلطان . وكان هذا الكلام تنبيها لى . وفى نفس اللحظة أحرمت وخرجت .

وحينما وصلت إلى بغـداد ، قصدت الجنيد ، وقلت له : [illegible] الذهاب إلى مكة ، فأعطانى درهما ، أخذته تبركا

فعقدته فى ثوبى ، ولم أنفقه ، وكنت أقنع بما يرزقنى به الله تعالى ،حتى ذهبت ثم عدت إلى بغداد ، وذهبت ثانيه إلى الجنيد ، فقال لى فى أول اللقاء هات ذلك الدرهم ، فأعطيته إياه ، فقال : كيف كان السفر ؟ قلت : كل من كانت همتك معه ، يحصل على كل حاجته (١)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كان أبو عمرو يقول مباهيا دائما : ثلاثون سنة وأنا أنظف خلاءَ الجنيد بيدى ، وقال هذا الكلام عدة مرات ، فقلت له ذات يوم : ماتقول فى أنى أعتقد فى أن الجنيد نفسه لم يكن له خلاءٌ ، وحينما سمع منى ذلك قام غاضبا ، وأخذ يسير وهو يقول : لاتأْتى منكم إلا الدعوى .

فصــــل (م٢)

وكان الشيخ التاسع أبابكر الفوطى :

روى الشيخ رحمة الله عليه :قصدت البادية ذات مرة بقدم عارية ، وحينما وصلت إلى مكة ، كانت أقدامى قد جرحت ، ومن شدة الألم نمت ساعة .فتقدم منى رجل يقال له أبو بكر الفوطى وسألنى : الرجاء والخوف ضدان أم غيران . فقلت : (ص٧٩) أين وقعت على هذه المسألة ؟ قال : منذ عدة أيام وهذه المسألة واقعة بين المشايخ . يتجادلون فيها قلت : هما من ناحية الاسم غير أن

فلفظ الرجاء غير لفظ الخوف ، ومن ناحية المعنى ضدان ، وذلك لأنهما لا يجتمعان فى شخص واحد فى زمان واحد ولكن مجتمعان فى محل التوحيد :

وأعنى أن من يكون مقام التوحيد يستطيع هذان العنيان أن يجتمعا عنده ، « مفترقان فى محل الأحوال[1] » أى إنه بالنسبة للأحوال الخوف غير حال الرجاء فذلك الذى يستغرق باطنه فى الرجاء متى يتوافق مع الخوف ؟ وحين قلت هذا الجواب ، طلب شمعا وكتبه .

وفى اليوم التالى حينما وصلت إلى المشايخ ، رأيتهم قد وضعوا هذه الرقعة بينهم ، وأخذوا يناقشونها ، وأشاروا إلى قائلين : هذا الكلام محتاج إلى شرح ، فشرحته لهم بحيث لم يبق لهم إشكال ، فسلموا به جميعا واستحسنوه .

فصـــل (٢٦)

وكان الشيخ العاشر على بن عيسى الوزير الذى ذهب إلى مكة ، وجاور هناك ، حين عزل من الوزارة[2]

كان هناك رجلان أحدهما يسمى الماذرانى ، والآخر يسمى ابن الزنبور ، فقال على بن عيسى لهما : إنى أنوى المجاورة ، فاصطحبانى إن كنتما ترغبان فى ذلك .

---

(١) ما بين الأقواس — باللغة العربية فى الأصل .

(٢) عزل على بن عيسى من الوزارة سنة ٣١٠ هـ وتولى بدلا منه أبو على بن مقله . انظر الكامل لابن الأثير ٨ — ٦٢ . المترجم .

فقال الماذرانى : إنى لا أستطيع تحمل حر مكة ، وقال ابن الزنبور : أنا آتى معك . واشتغل على بن عيسى بالرياضيات والمجاهدات .

قال ابن الزنبور (ص ٨٠) : كان على بن عيسى قائما بالصلاة ذات يوم ، فدخل شيخ وسلم وقال : من هذا الذى يصلى ؟ فقلت لى بن عيسى الوزير ، قال : ليس فى هذه الطاعة والصلاة إخلاص ، فداخلنى إنكار عظيم من هذا الشيخ . حين قال ذلك فقلت : لا يجمل مثل هذا القول فى حق امرى يشغل ليله ونهاره بالطاعات .

وبعد مدة كنت ذات يوم أقوم بالطواف مع لى بن عيسى ، ورأيت نفس الشيخ ، فكرر على السؤال : من يكون هذا الشخص فقلت : ألم أقل لك مرة ؟ فردد نفس الكلام . فداخلنى الإنكار مرة ثانية .

وحينما قمنا بصلاة المغرب انشغلنا بتناول الإفطار ، فتذكرت كلام الشيخ ، وضحكت فقال لى بن عيسى : لماذا تضحك ؟ فرويت له حكاية الشيخ من أولها إلى آخرها ، قال : إذا رأيته مرة ثانية فسله : إذا لم تكن طاعته بإخلاص فإلام تؤول عاقبة أمره ؟ واتفق أن رأيته للمرة الثالثة ، فسألته فأجاب : يصل إلى حاجته ولا بارك الله فيها .

قال ابن الزنبور : فأعدت هذا الأمر على مسمع على بن عيسى فقال : يافلان لقد رأيت الخضر ثلاث مرات ولم تعرفه .

وبعد فترة قصيرة ، وصل حجاب الخليفة ، وأحضروا له الأمر بالوزارة ، كما أحضروا خمسائة خلعة ، وحملوا على بن عيسى إلى بغداد ، فى كامل الأبهة ، ولم يره شخص قط ثانية فى المسجد .

وكل عبادة لاتكون بإخلاص ، لاجزاء لها إلا حطام الدنيا ، ولاثواب لصاحبها فى الآخرة كما قال تعالى : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ ، وَمَنْ كان يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنيا نُؤْتِه مِنْهَا ومَالَهُ فِى الآخِرَةِ مِن نَصِيب[1] » .

(١) الشورى : ٢٠

(ص ٨١)

الباب الخامس

فى أحوال الشيخ وماحدث له فى المدينة

وبيان الآلام والمشاق والمصائب التى حاقت به

حكاية (١)

(ص٨١) روى الشيخ رحمة الله عليه : حينما ذهبت إلى المدينة * أصابتنى مشاق لا نهاية لها . فذهبت لزيارة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله ، وسقطت أمام الروضة الشريفة ، وقلت يا رسول الله إنى جائع ، وحينما قلت هذا ندمت فى الحال ، وفى ذلك اليوم جىء لى بأطعمة من عدة أماكن . فلم أقبلها من شدة ندمى على ذلك الكلام .

حكاية (٢)

روى الشيخ قدّس الله روحه : كنت ألبس فى المدينة صوفة مهترئة وخلقة جدا ، وكنت فى النهار أختفى عن أعين الناس بقدر ما أستطيع ، حتى لا يرانى أحد .

وذات يوم رآنى طاهر العلوى ، فأشار إلىَّ قائلا : لى كلام معك : فتبعته ، فأعطانى عمامتين مصريتين ، واعتذر لى كثيرا ، فذهبت إلى الصحاب ، وبعت العمامتين ، واشتريت ملابس الإحرام ، وخرجت من المدينة .

(ص ٨٢) .

حكاية (٣)

روى الشيخ : خرجت ذات عام إلى البادية دون زاد أو مؤونة . وكان الوقت صيفا ، وفعلت فى رياح السموم والظمأ فعلهما ، فسقطت فاقد الوعى . وحين انقضت ساعة عدت إلى وعيي ، ونظرت فوجدت بعض الماء والرطب قد وضعا أمامى ففرحت وقلت لنفسى : هذا دليل إخلاص عملك ، وشربت الماء وأكلت الرطب ووجدت فى نفسى قوة فنهضت وسرت فى طريقى .

وحينما وصلت إلى المدينة كنت جالسا ذات يوم فى روضة السيد صلوات الله عليه ، فدخل عربيان بدويان إلى المسجد ، وأحدهما يقول للآخر :أتعرف هذا الشخص ؟ إنه ذلك الذى فعلت فيه روح السموم فعلها فى البادية ، وسقط مغشيا عليه ، وأخذنا نوقظه فلم يستيقظ . فوضعنا الماء والرطب إلى جواره ، وسرنا .

قال الشيخ : فقلت لنفسى : لم يكن هذا الصيد إذن من شباكى . وكان يقول فى بعض الأحيان : هذه واحدة من كراماتى .

حكاية (٤)

روى الشيخ رحمة الله عليه : من الآلام التى أصابتنى فى المدينة ، أننى كنت أسير ذات يوم فى الطريق وأنا فى غاية الجوع ، واتفق أن رأيت رأس سمكة فى الطريق ، ومن شدة جوعى التقطتها ، وذهبت إلى دكان خباز ، وقلت له : الق برأس السمكة هذه فى التنور ،

واشوها لى ، فلم يقبل ، فألقيتها بنفسى فى التنور ، فغضب الخباز ، وأخرجها من التنور ، وألقى بها إلى ، فسقطت على قدمى ، وآذته ، ووجه لى كثيراً من الشتائم ، ومن شدة جوعى التقطتها (ص ٨٣) أيضاً ، وأكلت الجزء الذى أصابته النيران ، ورميت الباقى .

ثم ذهبت إلى عين ماء ، فأخذت بعض الطين ، حتى أزيل به ما علق بيدى من دفارة السمك ، وحينما غسلت يدى ، أتى جمع من النسوة بقربهن إلى تلك العين ليحملن الماء ، وحينما رأين أننى أغسل يدى بماء العين وطينها ، وأن الماء تعكر قليلا ، حملن القرب ، وتوجهن إلىّ ، وأخذن يضربن بها وجهى ورأسى ، حتى فقدت وعيى ، وانتفخ وجهى ورأسى وتورما ، بحيث لم أعد أبصر بعينى ، وسال الدم من أنفى ، وكان الوضوءُ من أصعب الأُمور علىّ ، إذ عجزت عنه .

ثم ذهبت لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومسحت وجهى وعينى بجدار الروضة الشريفة وقلت : يارسول الله : هذه العقوبة فى مقابل أى جرم ؟ وبقدرة البارى تعالى ، سكن هذا الورم فى الحال ، وعاد وجهى ورأسى إلى حاليهما ، وتفتحت عيناى .

حكاية (٥)

قال الشيخ قدّس الله روحه : وقع لى رفيق فى المدينة ، كانت له نفس كاملة ، ومرت علينا عدة أيام دون أن نأكل شيئاً ، واتفق أن دخل نصر القشورى المسجد ، وقام بزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وكان معه غلام ، حمل عدة بدرات ، وأخذ يغترف منها ويوزع على الدراويش ، فقلت له مختبرا : انهض فنصر القشورى

يوزع الذهب ، فخذ أنت أيضاً شيئاً ، فظن الرفيق أننى (ص ٨٤) أقول جداً ، فنهض وأخذ منه الغضب ، وقال : إذا كان قد كسى نفسه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ولم ألتفت إليه ولا إلى ذهبه ، فكيف أطلب منه شيئاً ؟ .

وكل من ألقى عن نفسه بعلائق هذه الدنيا ، جعل عبادة المولى قوته وغذاءه ، فلا وزن عنده للدرهم والدينار ، ولا قدر للدنيا برمتها فى باطنه .

الباب السادس

فى نعت عدد من المشايخ الذين لقيهم الشيخ فى العراق

[ص ٨٥]

فصـــل (١)

يقول الشيخ : كان أول شيخ لقيته فى العراق هو أبا محمد رويم ، وقال لى أول مرة رآنى : يا أبا عبد الله ، اعلم أنه ربما منعك المشايخ من رؤيتى ، وربما قالوا لك : إن رويما قد أعرض عن الآخرة ، واتجه إلى الدنيا ، فهى قبلته . ومقصد باطنه حطامها . قلت : بلى سمعت أقوالا من هذا القبيل ، فنادى ، ودعا صبية وأجلسها بجواره ، وكانت ترتدى ثوباً أحمر ، وقال : يا أبا عبد الله يريد إخوانى أن أجلس على التوكل ، وأترك مثل هذه الطفلة على يد التوكل ، وأعرض عن رعايتها وتربيتها . وبحق ذلك الإله الذى لايجوز الموت عليه أن لو أحداً (ص ٨٦) يتكفل مؤونتها ، ويحمل شغل قلبى بها ، لقلت أية أحوال شريفة مرت على طيلة خمسين سنة ، وأية مقامات سامية وهبها لى الله تعالى[1] .

---

(١) (S) ٥٨ ب ، ٥٩ أ : قال أبو عبد الله بن خفيف ، لما دخلت بغداد قصدت رويما وقد تولى القضاء فلما دخلت عليه رحب وأدنانى وقال : من أين أنت ؟ قلت : من فارس فقال : لمن صحبت ؟ قلت : لجعفر الحذا ، قال : ماتقول الصوفية فى ؟ قلت لا شىء قال : بلى تقول إنه رجع إلى الدنيا فبينما هو يحدثنى إذ جاء طفل صغير فقعد فى حجره ، فقال لو كنت أرى فيهم يعنى الصوفية من يكفينى مئونة هذا الطفل ما تعلقت بهذا الأمر ولا بشىء من أسباب الدنيا ولكن شغل قلبى بهذا أوقعنى فيما أنا فيه .

فصـــل (٢)

قال عبد الرحيم : سمعت من الشيخ قدس الله روحه : كنت ذات يوم جالسا مع رويم فدخل درويش وقال : يبلغك الأصحاب السلام ويقولون : الوقت سيف ، وما من أحد يعنى بأمرنا ، ويرى أن من واجبه رعاية أحوالنا . فأجاب رويم : هذه الجماعة التى أنت رسولها ليست من جملة أصحابى .

فصـــل (٣)

روى الشيخ رحمة الله عليه : كنت جالسا مع رفيق فى مجلس رويم فروى :

ذات يوم ذهبت مع عبد الرحيم الأصطخرى إلى جبل لبنان ، فرأينا رجلا حسن السمت ، محمود السيرة ، ليس له من حطام الدنيا إلا منزلا صغيرا ، كان محرابه أيضا ، وكان يفطر كل ليلة ببعض الأعشاب المطبوخة ، ويقنع بها حتى الليلة التالية ، فاقتدينا به أيضا ، واعتبرنا هذا المعنى غنيمة لأيامنا ، وحينما كان ينتهى من إفطاره ، كان يذهب إلى محرابه ، ويبكى كثيرا ، ويشتغل بالعبادة حتى طلوع النهار :

وفى الليلة التالية كان يفطر على بعض الأعشاب المطبوخة كعادته تلك ، ويذهب إلى محرابه (ص ٨٧) ، إلا أنه كان يبدل البكاء بالضحك . فسأل الرفيق رويم : أليس الضحك فى الصلاة غير واجب شرعاً ؟ فانقطعت أفكار رويم من هذا الحديث ونهض وهو يقول لنفسه : نحن أيضا نتحدث فيما يجيز الشرع !! فبدأت فى لوم

رفيقى ، وقمت أنا أيضا من جواره ، وانتحيت مكانا آخر ، وقطعت صلتى بذلك الرفيق ثم نهضت وذهبت إلى منزل رويم ، فخرج رويم وقال : أنت أيضا قد توقفت ؟ قلت : نعم ، قال : أين صاحبك؟ قلت : قطعت ما بينى وبينه من صلة قال : حين تأتى إلىَّ لاتحضره معك ، قلت الحكم لك ، ثم قلت : من المتوقع أن تكمل حكاية ذلك الشيخ ، قال :

كان أمام الشيخ جوال مملوء بالدراهم ، وكنا نتعجب من رياضاته تلك ومن الدراهم أمامه ، وسألته : ما سبب وضعك لهذه الدراهم أمامك ؟ وما سبب هذه الرياضة التى تقوم بها ؟ قال : كان لى صاحب ومعين فى أحوال الآخرة ، ووقع الفراق بينى وبينه ، وذات يوم أرسل إلىَّ خطابا من مكة ، كما أرسل إلىَّ هذه الدراهم ، وكتب فى خطابه : منذ أن افترقنا ، وسع على الحق تعالى فى الدنيا ، وهذا نصيبك . والآن ليس بى إليه حاجة ، وأريد أن أذهب وأرد إليه هذا المال .

قال رويم : ثم ذهبنا فى صحبته إلى مكة ، ولم ننفق من هذه الدراهم ، وحينما وصلنا إلى مكة ، سألنا عن أخبار هذا الرجل ، فقيل لنا : لقد توفى ولكنه خلف ابنا ، فطلبنا ابنه ، (ص ٨٨) وأعطينا تلك الدراهم فلم يقبلها ، وقال : لقد وهبها أبى لك ، وليس لى بها حاجة ، ولم يقبل الشيخ منه هذا القول ، ووقعت الخصومة بينهما ولما رأى الشيخ أن الابن لن يقبل المال منه ، وهبه جملة للدراويش ، ولم يترك شيئا منه لنفقتنا .

ثم سألت الشيخ : أى معنى لهذا البكاء والضحك فى الصلاة ؟ قال : أما البكاء فكان سببه : لماذا قبلت هذه الدراهم ؟ أما الضحك فكان لأن هذه الدراهم والحصى عندى سيان[1] .

والآن حان الوقت لنشتغل بالمذاكرة فى العلم زمانا . ثم بدأوا بمسألة المحبة ، وكان كل شخص يتحدث بكلام بقدر مقامه ، وكان عمرو بن عثمان المكى حاضرا ، وروى : حصرنى البول (ص ٨٩) فنهضت لأخرج ، وحينما وصلت إلى صحن الدار ، وجدت قطعة من الرق ، مكتوب فيها : المكارون يدعون المحبة ، فطاب وقتى وعدت ، وأتيت المشايخ وقلت : أصمتوا فقد حصلت على مسألة من الغيب ، وألقيت هذا الرق أمامهم ، وحينما نظروا ورأوا ما فيها ، صاحوا جميعا ونهضوا وتفرقوا ، وأحرم بعضهم من ذلك الموضع ، وكان اجتماعهم فى الموقف[2] .

---

(١) أغلب الظن أن هنا جزءا ساقطا من النص الفارسى . فقد انتهت حكاية الشيخ عند هذا المقام . وبدأت حكاية أخرى دون مقدمات . فنهاية حكاية الشيخ كانت فى مكة ولا شك أن موضع حدوث الحكاية الثانية مختلف . كما أن أبطالها مختلفون . وفى نهايتها يذكر الراوى أن الحاضرين أحرموا فى مكانهم . فلا شك أنه كان بعيدا عن مكة . ولعل إشارة ابن الجوزى إلى الحكاية تفسر ذلك . المترجم .

(٢) ابن الجوزى : ص٣٣٤ — ص٣٣٥ : وقد رويت لنا حكايات عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إنى لأقشعر من ذكرها ، لكنى أنبه بذكره على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب ، حدثنا أبو سعد بن أبى صادق ، حدثنا عبد الله بن باكوية قال : أخبرنا أبو عبد الله ابن خفيف قال سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا : ما شهدنا مثل هذه الليلة وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا . فقالوا نتكلم فى المحبة فإنها عمدة القوم ، فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان فى القوم عمرو بن عثمان المكى فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب عليها فأخذه وحمله إليهم وقال : يا قوم اسكتوا فإن هذا جوابكم . انظروا ما فى هذه الرسالة فإذا فيها : مكار مكار وكلكم تدعون حبه ، وأحرم البعض وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم.

قال المصنف رحمه الله فقلت : هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به وإن صحت فإن شيطانا ألقى ذلك الرق . وإن كانوا قد ظنوا أنها مسألة من الله بظنونهم الفاسدة ، وقد بينا أن معنى المكر من المجازاة على المكر فأما أن يقال عنه مكار فقوق الجهل وفوق الحماقة .

فصـــل (٤)

قال الشيخ رحمه الله : سمعت من رويم أنه قال :كانت وسادتى فى الشونيزيه قطعة آجر طيلة اثنى عشر عاما،ثم فارقت ذلك الموضع عشرين يوما، وعدت إليه ذات يوم، فوجدت قطعة الآجر ملقاة فى مكانها المعهود فرفعتها وألقيتها على الأرض حتى صارت إلى قطع صغيرة . وقلت : منذ ذلك التاريخ الذى فارقتك فيه مت عدة مرات وحييت ، ولم يجر عليك تغير قط . فأخذ كل واحد من دراويش الشونيزيه قطعة منها تبركا .

قال الشيخ أبو عبد الله : فى ذلك اليوم الذى قابلت فيه رويما ،سألنى عن أخبار عبد الرحيم قلت : مات فى العام أو العامين الأخيرين قال : يرحمه الله إذ كان من رفاقى فى جبل لبنان ، ولم أر من هو أكثر صبرا منه .

فصـــل (٥)

قال الشيخ : حين كنت أودع رويما قلت : أوصنى ، فقال : ماذا كنا نفعل إذن كل هذه الأيام ؟ قلت : بى حاجة إ الوصية (ص٩٠) قال : يابنى لقد وضع أساس هذا الأمر على بذل الروح فإن قدرت فبها ونعمت ، وإلا فلا تشغل نفسك بترهات الصوفية وكان دائما يقول : إياكم وهوى النفس ، فهو مضل للغاية ، وأخلاقها دائما ضلال .

(١) الأنصارى : ص٢١٩ : حينما أراد أبو عبد الله الخفيف أن يذهب من عنده ، كان بالقرب منه مكان على مرتفع ، فنزل من هناك ، ووضع رويم يده فى كفه وقال : يابنى هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . ، رسالة ٢٧ ، ابن الجوزى : يابنى ١٨٨ ، تذكرة : ٢ — ٦٧ ، نفحات ٩٦ ، شيرازنامه ٧٦ : قال ابن خفيف : هذا التصوف طريقة أهل الله أن قدرت عليه على بذل الروح وإلا فلا تلتفت إلى ترهات الصوفية ، شعرانى ١ — ٨٧ (طبعة بمصر) حلية ١٠ — ٢٩٧ ، سلمى طبقات ص ١٨٣ من طبعة مصر .

فصـــل (٦)

روى الشيخ عن رويم أنه قال : ذهبت ذات يوم لرؤية قاضى قضاة بغداد ، وكان ابن سريج حاضرا ، وكان يتحدث بكلام عن الأخلاص .

وحينما أبصرونى قالوا : جاء شيخ الأخلاص ، قلت : ما شأنكم بالإخلاص ومن أين وقفتم على هذا الكلام ؟ قال ابن سريج : إنك تدعى الأخلاص وترك الدنيا ، وأنت تملك الآن من أسباب الدنيا ما أملكه فما وجه تخصيصك وتمييزك ؟ فقلت له : توقف لحظة حتى أجيبك على هذا ، ثم نهضت ، وذهبت إلى المنزل ، وأخذت السرج من الحصان ، وألقيت عليه بقطعة من التيل ، وأخرجت المقود من فمه (ص ٩١) ووضعت بدلا منه قطعة من الحبال ، وخلعت العمامة والجبة ، وارتديت مرقعة قديمة ، ولففت رأسى بقطعة من الجوخ ، وذهبت إليهم .

وحينما رأونى على هذا الحال قالوا : الأخلاص مسلم لك ولا نستطيع أن نجاريك فى هذا المقام ، فأمر قاضى القضاة أن يرفعوا ذلك التيل عن ظهر الحصان ، ويضعوا عليه سرجا ، وأن يلبسونى جبة وعمامة ، فقلت : هذا الإكرام الذى أبديته نحوى ، هو ببركة الاخلاص .

فصــــل (٧)

وكان الشيخ الثانى أباالعباس بن عطاء :

قال الشيخ رحمه الله : حينما وصلت إلى مجلسه ، كان أبو حمد الجريرى جالسا معه . وقد اعترضت عليه مرتين ؛ مرة فى موضوع الفراسة . والثانية فى رواية حديث أورده أبو العباس لا على وجهه الصحيح .

قال أبو العباس : قل ما وصلك من كلام عنى ، ليس ع نهج الشريعة ، ولا يوافق السنة . قلت : أوله الحديث الذى ترويه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : يخاطب الله تعالى يوم القيامة الأغنياء قائلا : أى حق قمتم به فيما أعطيتكم من الدنيا ؟ فيجيبون : امتثلنا لأوامرك واجتنبنا نواهيك ، وقمنا بطاعتك ؛ ويصدقهم الله تعالى ، وليس هناك مقام أعلى من أن يصدق الله أحدا .

قال أبو العباس وأى اعتراض لك على هذا يابنى ؟ قلت : إن هذا الحديث مروى فى حق الفقراء وأنت ترويه فى حق الأغنياء (ص ٩٢) .

قال أبو العباس : إرو إذن الحديث الذى ورد فى حق الفقراء ، قلت : الحديث يحشر الفقراء يوم القيامة وهم على أمثال الحمائم ، وينادى الحق تعالى : أوقفوهم ليحاسبوا وليعرضوا سيئاتهم ، فيجيبون لم يصدر منا جرم واحد حتى تحاسبنا عليه ، أو تعاقبنا من أجله ، وحين ذاك ينادى صدق عبيدى اتركوهم فيذهبون إلى الجنة (١).

قال أبو العباس : سمعت هذا الاعتراض ، فما هو الاعتراض الثانى الذى هو فى موضوع الفراسة ، قلت : لقد أوردت دليلا على الفراسة هذه الآية (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُم فلعرفْتهم بسيماهم ولَتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ الْقَوْل)[٢] وهذه الآية لاتدل على أن الفراسة بلا سبب ، وطالت المناقشة فى هذا الموضوع بينى وبينه ، وحينما رأى أبو محمد الجريرى أن أبا العباس سيتغلب على ، التقط الكلام من فمى ، ودخل فى المناظرة معه ، ووصل بهم الكلام إلى درجه لم أعد أفهمه .

وحينما انتهت المناقشة بينهما ، أخذنى أبو العباس إلى منزله ، وأحضر لى طعاما ، فأكلت وجاهد كثيرا أن يلبسنى خرقة ولم أقبل ، فقال : لماذا لاتقبل ، قلت : هذه الخرقة التى معى ألبستنى أمى إياها ، ولا يستطيع غيرها أن يخلعها عنى ، وحينما سمع أبو العباس هذا الكلام توجه إلى أصحابه وقال : انظروا كيف يراعى الأصول ، وكيف يحفظ جميل أمه ؟ .

وبعد ذلك جاهد كثيرا حتى أقبل منه شيئا ، ولم أفعل ، فدعا لى وقال : طوبى لأولئك الذين غنمت صحبتهم ، وتنعمت بمجالستهم ، قلت : لى التماس من جنابكم ، أن تكتب بخطك هذه الكلمات المباركة التى جرى بها لسانك ، وتعطينى إياها ، إذ أنى أفضلها على الدنيا بأجمعها ، فقبل وكتبها وأعطاها لى .

---

(٢) محمد / ٣٠

فصـــل (٨)

وكان الشيخ الثالث أبا محمد الجريرى .

قال الشيخ رحمة الله عليه : أوقع القرامطة فتنة[١] ذات سنة وكانوا يقتلون الناس ، وذات يوم كان أبو محمد متكئا فى دعة ، وأخذ الناس يلتمسون منه : ادع لنا حتى يخمد الله هذه الفتنة ، فقال أبو محمد : هذه ساعة الرضا والتسليم وليست ساعة الدعاء[٢] ، قال الشيخ : كنت أعد أبا محمد من جملة الأولياء . وكل من رأى سيرته وسلوكه لايشك فى ولايته .

فصـــل (٩)

كان الشيخ الرابع هو الحسين بن منصور الحلاج .

قال الشيخ رحمه الله : حينما عدت من الحج . (ص ٩٤) ووصلت إلى بغداد ، أردت أن أرى الحسين بن منصور . وكان نصر القشورى قد بالغ فى أمره كثيرا ، وبنى من أجله قصرا ، وسجنه فى ذلك القصر ، كما لم يكن يسمح لأحد بزيارته ، ففكرت بينى وبين نفسى ، بأى وسيلة أستطيع أن أراه ، وكيف أحتال لذلك ، وأتفق أن كان لى معرفة مع أحد القواد ، فقصصت له الأمر ، قال أحقق لك مرادك هذا ، وحملنى إلى قصره .

---

(١) هنافتنة «هبير» ولعلها هجر نسبة إلى أبى طالب الهجرى وهو الثائر القرمطى الذى هاجم العراق سنة ٣١٥ هـ . انظر : لابن الأثير ص ٨ وما بعدها : المترجم

(٢) كلا باذى : باب ٦٦ من طبعة آربرى ، نفحات ١٤٠ . المترجم : وهى مختلفة إذا ان أبا محمد من الذين أصابتهم فتنة القرامطة ، وكان بين الجرحى وهى أنسب لأن الرضا والتسلم لا يكونان إلا عند البلاء .

وحينما وصلنا إلى منزله ، قام ذلك الأمير الذى كان الحسين فى قبضته للقائد ، وأكرمه كثيرا ، وقال : ما وراءك ؟ فقال القائد : أريد أن أرى الحسين ، فأجاب : إلتماس خطير ، فقال له القائد : لاضرر يلحقك فى أن يراه هذا الصوفى ، ولا مراد له أكثر من الرؤية ، فقال ليكن ، عد أنت وسوف أحمله إليك ، فعاد القائد ، وحملنى ذلك الأمير إلى منزله ، وقال : الحسين فى هذا المنزل ، فرأيت دارا شديدة الإحكام ، ولم أر أحدا اللهم إلا شاب كان قد جلس على باب الدار ، فسألته : أين الشيخ ؟ ، قال : ذهب يتوضأ ، قلت : متى وأنت فى خدمته؟ ص (٩٥) قال ثمانية عشر يوما قلت : وبماذا يشتغل الشيخ ؟ قال : كل باب تراه باب سجن ، وراءه سجناء ، ويذهب الشيخ كل آن فيعظهم ويعود ، فقلت : ومن أين يأكل؟ قال : كل يوم يحمل إليه طعام من أماكن عديدة ، فينظر فيه ، رلا يأكل منه شيئا ويقول : احملوه .

وبينما نحن فى الحديث ، دخل وكان رجلا حسن السمت مهيب الطلعة ، قد ارتدى صوفة بيضاء ، ووضع فى قدمه نعالا ثمنية ، وكان الوقار والهيبة ينضجان من وجهه ، فأتى وجلس بجوار الصفة ، وتوجه إلى قائلا : من أين أنت ؟ قلت : من فارس قال : من أى فارس ؟ قلت من شيراز ، قال : كيف وجدت الطريق إ ؟ قلت : بشناعة أحد القواد .

ثم سأل عن أحوال المشايخ ، فأجبته عن أحوال كل واحد منهم حتى وصل إلى الكلام عن أبى العباس فقال : أبلغه منى السلام وقل له احفظ نفسك من هذه الواقعة ، وكنا فى الحديث إذ دخل

أَمير السجن ، وقبل الأَرض بين يديه ، وحياه ، وكان يرتعد كالصفصاف ، فقال له الحسين ماوقع لك ؟ (ص٩٦) ، قال : دس لى بعض الناس عند أَمير المؤمنين بسبب أَمير كان سجينا وهرب ، فقال : لاتخف فلن يحيق بك مكروه قط ، والله حافظك فذهب .

وقام الحسين ، وجاء إلى صحن الدار ، وجلس على ركبتيه ، وكان يشير إلى السماء بسبابته ويردد : يارب يارب ، والدمع يسيل من عينيه ، بحيث كان يتقاطر على الأَرض ، ثم غاب عن نفسه ، ووضع وجهه على الأَرض ، وأَخذ يصيح ويصرخ ، ولم يرفع رأْسه حتى عاد ذلك الأَمير ، فرفع الحسين رأْسه من سجدته وقال : كيف الحال ، قال ياشيخ ختمها الله تعالى بالخير ببركة همتك فعاد الحسين إلى مكانه ، وجلس ، وقال للأَمير : قص على ما جرى ، فقال : حملونى إلى أَمير المؤمنين ، فقالى : كيف تهمل إلى هذا الحد ؟ قلت : يامولانا هذا كذب تقوَّله على الحاسدون . قال : كنا قد دعونا لهلاكك ، والآن رجحنا العفو على الانتقام ، ووهبناك لله تعالى ، فتيقظ بعد ذلك فى الأُمور . (ص ٩٧) .

قال الشيخ أَبوعبد الله قدس الله روحه : حينما عاد الحسين بن منصور من الوضوء ، جلس بجوار الصفة ، وهى عشرون ذراعا ، وكانت هناك منشفة فى هذه الصفة ، فأَشار الحسين ورأَيت المنشفة فى يده فأَخذ يجفف بها وجهه ، ولم أَدر أَطالت يده ، أَم أَن المنشفة قد انتقلت إليه .

قال الشيخ : حين رأيت هذا الأمر قلت فى نفسى : هذه أيضا من جنس مايتقولون به عليه – أى السحر – لأنه نسب للسحر من أجل أشياء تشبه هذه الأشياء .

قال الشيخ أبو عبد الله : ثم غادرته ، وذهبت لرؤية أبى العباس بن عطاء ، وأديت رسالة الحسين ، وحكيت له القصة من أولها إلى آخرها ، وحينما وصلت إلى ذكر «الواقعة» قال : لا أتجاوز كلامه إذا تركونى فى حالى [(١)]

فصـــل (١٠)

قال الشيخ : جاء الحسين بن منصور إلى مكة ، وجلس عاما فى مواجهة الكعبة ، ولم يكن يخرج من هناك إلا للوضوء (ص٩٨) وكان قد جعل صحن المسجد ذاك مقاما له صيفا وشتاء ، وكان يطهر باطنه من كدرات الدنيا ، ويجلو ضميره وسره من أقذارها ، وكان يوضع أمامه كل ليلة قرصا من الخبز وقدر ماء ، فكان يقضم أطراف الرغيف ويترك الباقى . فكان يحمل قدر الماء وقرص الخبز من أمامه .

فمتى يحتاج إلى أكل الخبز كل من يجعل محبة الله تعالى قوتا له [(٢)] ؟!!

---

(١) ابن باكويه : ١٢ ، الأنصارى ٣٢٢ ، أخبار الحلاج : ٦٨ ، نفحات ١٥٣–١٥٤

(٢) ابن باكويه : Quatre 37 سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد المزاوى يقول : سمعت أبا يعقوب النهرجورى يقول دخل . . . ، تاريخ . بغداد ٨ – ١٨ ؛

فصـــل (١١)

روى الشيخ رحمة الله عليه : قدم الحسين بن منصور إلى أصفهان وكان فيها على بن سهل ، فصعد الحسين بن منصور إلى المنبر وقال لعلى بن سهل : أيها السوقى لِمَ تتحدث فى المعرفة وأنا حى ، وبين الصحو والإصطلام سبعمائة درجة ، لم تشم خبرا عن واحدة منها .

والصحو والإصطلام من اصطلاحات الصوفية : والإصطلام أن يصير المرءُ مستغرقا فى عالم الغيب ، والصحو هو أن يعود إلى وعيه من هذا الاستغراق .

فأجاب على بن سهل (ص٩٩) ينبغى ألا يسمح لمثلك بدخول المدينة التى يعيش فيها مسلمون ، وكان يقول هذا الكلام بالفارسية ولم يفهم الحسين ، لأنه لم يكن يفهم الفارسية ، فنزل من على المنبر ومضى . وحينما سمع عوام أصفهان هذا الكلام من على بن سهل ، بيتوا قتل الحسين ، فأخبر أحد الناس الحسين بالأمر وقال : امض عن هذه المدينة بأسرع ماتستطيع ، فعوامها على جهل عظيم ، وهم فى غاية الاعتقاد فى على بن سهل والخوف أن يقتلوك فخرج الحسين فى الحال من المدينة ، وصاح : إنى ذاهب إلى شيراز ، ثم ذهب من طريق آذربيجان[1]

---

(١) ابن باكويه ١٣= Quatre 42 شد ١٠د ، ذيل فى باب على بن سهل من كتاب تحفة العرفان فى ذكر سيد الأقطاب روزبهان تأليف شرف الدين إبراهيم حفيد ابن الشيخ روزبهان . . . . وذهب إلى أذربيجان وسمعت فى رواية أخرى أنهم قالوا له : أخرج حتى لا يقتلوك ، أو اذهب إلى موضع كذا حتى لا يروك فقال : الاعتصام من عند الله بغير الله شك فى الله .

فصـــل (١٢)

يقول الشيخ أبو عبد الله : سمعت من ابن خفى الاصطرلانى، حكاية عن أبيه قال : أرسلنى المعتضد إلى الهند واليا ، (ص ١٠٠) فركبت سفينة ، وصحبنى رجل كان يقال له الحسين بن منصور الحلاج ، وكان حسن الخلق ، وحين وصلنا إلى البر ، وغادرنا السفينة رأينا عجوزا قدبنى منزلا على الساحل ، فسأله الحسين : هل هنا أحد عنده علم بالسحر ؟ وكان مع هذا العجوز حبل ، فألقى به فى الهواء ، ووضع طرف الحبل فى يد الحسين ، فصار هذ الحبل مرنا ، فأمسك به الرجل ، وأخذ يتسلقه ، و قال للحسين : أتريد من هذا النوع قال : نعم : اذهب فهذه المدينة غاصة بالعالمين فى هذا العلم ،وحدثت بيننا فرقة طويلة ، وبعد ذلك حينما ذهبت إلى بغداد سمعت أن الحسين يدعى أمورا عجيبة[١]

فصـــل (١٣)

سأل أحد الناس الشيخ : ماذا تعتقد فى الحسين بن منصور ؟ قال : اعتقادى أنه رجل موحد ، فقال السائل : إنما أسأل هذا السؤال لأنهم قد كفروه (ص١٠١) فقال الشيخ : إذا لم يكن مارأيته منه توحيد فمن الموحد فى الدنيا ؟[٢] .

---

(١) ابن باكويه ١٤ = O.T.·. 42 سمعت أبا الحسين ابن أبى توبة يقول : سمعت على ابن أحمد الحاجب قال : سمعت والدى يقول : وجهنى المعتضد . . . إرشاد الأريب بنفس الإسناد ص١٠٣ ، تاريخ بغداد ٨-١٢٦ بنفس الإسناد .

(٢) ابن باكويه ١٠ = Q.T. 42 سمعت عيسى بن يزول القزوينى وقد سأل أبا عبد الله ابن خفيف يقول : ما تعتقد فى الحسين بن منصور ، قال : أعتقد فيه أنه رجل من المسلمين فقط فقال له : قد كفره المشايخ وأغلب المسلمين ، فقال : إن كان الذى كفره يرى ما رأيته منه أنا =

فسأله هذا الرجل ثانية :لقد قال كلاما فى اللاهوت والناسوت ، قال الشيخ : أتقصد هذين البيتين :

سبحان من أظهر ناسوته سترا من لاهوته الثاقب[١]

ثم بدا فى خلقه ظاهرا فى صورة الآكل والشارب

قال : نعم ، فأجاب الشيخ : لعنة الله على من قال هذا ، ومن يعتقد فى هذا ، وعلى ذلك الذى يقول مثل هذا ويعتقد مثل هذا[٢]

فصل (١٤)

(ص١٠٢) قال الشيخ رحمة الله عليه : ذهبت فى زمهرير الشتاء إلى واسط ، وكان الكرى قد أخذ منى كل مأخذ ، وحين دخل الليل ، ذهبت إلى دكان خباز ونمت. وفى اليوم التالى حيث فرغت من الصلاة والأوراد المعتادة ذهبت ناحية الشاطىء وجلست ، فرأيت شيخا عليه سمات الخير : فسلمت عليه ، فأجاب قلت : أريد رغيفين ورمانتين وعنقودى عنب ، قال : الأمر ماتريد ، قلت : أريد خبزا حواريا

= فى الحبس لم يكن توحيدا ، فليس فى الدنيا توحيد ، قال الذهبي : قلت : قول ابن خفيف لايدل على شيء فإنه لا يلزم أن المبطل لا يعمل بالحق ، بل قد يكون سائر علمه حق ويكفر بكلمة واحدة أو بكلمة تحبط عمله .

(١) الأبيات فى النص بالعربية . والشطرة الثانية فيها خطأ (سترمنا) المترجم .

(٢) ابن باكويه ١٨= Q.1. : سمعت عيسى بن يزول القزويني وقد سأل أبا عبد الله ابن خفيف عن معنى هذه الأبيات . . . حتى لقد عاينه خلقه كلمحة الحاجب بالحاجب قال الشيخ : على قائلها لعنة الله ، فقال عيسى بن يزول : هذا لحسين بن منصور فقال : إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون متقولا عليه . أخبار الحلاج : ٦٢ ، تاريخ بغداد ٨-١٢٩ ، ابن الجوزى : ١٧١

ن : أنى أعد طلبك غنيمة ، بشرط ألاتقبل هذه الهبة دون أن نزن ، قلت : لك ماتريد ، فذهب وأحضر الرمان والعنب ، فأكلت بعضها وتركت الباقى ، وغسلت يدى وذهبت إلى الجامع ، فرأيت جماعة من لابسى المرقعات يتحدثون فى مسألة ويتباحثون فيها ، وجعت بنفسى بينهم وأخذت أوضح هذه المسألة .

ودخل ذلك الشيخ الذى كنت قد طلبت منه الطعام إلى المسجد ، ونهض الجميع ، وأبدوا له الاحترام والتجلة ، فأدركت من ، هيبته أنه (ص١٠٣) شيخ القوم ، وحين جلس عدت الكلام حتى أتممت الحديث فى المسألة .

وحينما سمع كلامى قال : من أين أنت ؟ قلت : من شيراز قال : ماسمك ؟ قلت : ابن خفيف ، فسأل عن أحوال المشايخ وأكثر من الاعتذار ، فذكرته بما كنت قد قلته له بالأمس ، فضحك .

ثم أخذنا فى المباحثة حتى وصلنا إلى الحسين بن منصور :
قال : حينما حدثت تلك الواقعة للحسين بن منصور رأيت الله تعالى فى النوم فقلت : ياإلهى لقد نفض عبدك الحسين بن منصور يده من الدنيا ، ولم يستمسك إلا بتوحيدك وتقديسك ، فما الحكمة فى هذا البلاء الذى صببته عليه ؟ فقال البارى تعالى لقد كشفت له عن سر من أسرارى ، فدعا الخلق إليه فلا جرم أن سلطنا عليه ، هذا البلاء[1] .

---

(١) نفحات : ١٥٢ والكلام على لسان ابن فاتك : أنصارى : ص٢١٨ والكلام على لسان ابن فاتك أيضاً . المترجم

قال الشيخ : سألت أهل واسط ما اسم هذا الشيخ ؟ قالوا اسمه أبو الأهام وهو شيخ الواسطيين ومقتداهم [١] .

فصـــل (١٥)

وكان الشيخ الخامس أبابكر الشبلى :

روى الشيخ رحمة الله عليه : حدث فى بغداد قحط عظيم فى إحدى السنوات ، فأصاب الناس منه نصب شديد ، حتى تفرق أغلب أهل بغداد وقبع كل امرىء فى زاوية ؟ وزاول الشبلى فى تلك السنة رياضات لاحد لها ، بسبب كثرة العيال (ص١٠٤) فأرسلت إليه مائة درهم وكليهما ،فأخذ الشبلى يلوم أصحابه ذات يوم ويقول ألا تخجلون من أنفسكم ؟واحد فى شيراز يحمل همى وأنتم لاتهتمون .

وقال الشيخ ذات يوم : حينما عدت من رحلتى إلى الشام ، ذهبت لزيارة الشبلى فروى لى : بالأمس اقترضت درهما ، أعطيت نصفه لرجل [٢] سداد الدين صغير ، وخطر لى أن أستأجر بالنصف الباقى دابة ، وآتى لزيارتك ، والآن تفضلت بالسبق ، فقلت : روح الله سوقك بهذا النصف الباقى . فأعطانى إياه .

---

(١) بقلى : شطحيات قاضى عسكر، ١٥ ب .

(٢) فى النص الفارسى : بمذى ولعلها بمرذى الراء مساقطة . المترجم .

فصـــل (١٦)

وكان الشيخ السادس هو ابن زيزى[1] :

روى الشيخ رحمة الله عليه : كنت وابن زيزى فى السماع ، يغنى القوال بهذا البيت :

لوأسندت ميتا إلى حجرها عاش ولم ينقل إلى القبر

(ص١٠٥) وهذا البيت منقول فىالسيرة هكذا ، وهو من قصيدة للأعشى ، وصحته :

عاش ولم ينقل إلى قابر

لقصة : طاب وقت ابن زيزى ، وأخذ القوال يردد هذا البيت واستغرق ابن زيزى ، حتى إن الدم كان يتدفق من عينيه بدلا من الدمع ، وكأنه شخص يفصد ، وبلغ به الأمر درجة أن الدم لم يتوقف ، حتى ربطوا عينيه بخرقة ربطا محكما[2] .

فصـــل (١٧)

روى الشيخ قدس الله سره : جرت مناقشة بين ابن زيزى وإبراهيم الخواص ، فقال ابن زيزى لإبراهيم : حتام تقول خرجت إلى البادية على التوكل ثم عدت ، إن هذه الثياب المرقعة تنوب عنك فى سؤال الناس ، فنهض إبراهيم غاضبا وخرج .

فحمل ابن زيزى مئزرا أبيض ورداءً وقدرا زجاجيا وذهب فى أثر إبراهيم ، فلحقه فى القادسية وقال : اخلع عنك هذا المرقع ،

---

(١) أبو يعقوب بن زيزى : نفحات ١٣٢ ؛ ١٣٣ المترجم (٢) نفحات : ١٣٢

وارتد هذا الثوب الأبيض ، واترك الركوة ، وخذ هذا القدر الزجاجي (ص١٠٦) وأخرج إلى البادية الآن فيعطيك توكلك طعاما ، فخرج إبراهيم إلى الطريق بهذا الحال وذهب، وحين عاد ذهب ابن زيزى لاستقباله ، وقد حمل مرقعته وركوته وقال لإبراهيم الآن ارتد ماتريد وكان شعر إبراهيم قد تساقط كله من كثرة مارأى من عناء ، فتوجه إلى ابن زيزى وقال : كافأك الله تعالى فقد قتلتني [1]

فصـــل (١٨)

قال الشيخ : جرت مناقشة بين أبي طالب الخزرجي وابن زيزى حول الإخلاص .

وقال أبو طالب : اعتاد ابن زيزى أن يأتيني ليلا ، وكلما كنت أجيب على سؤال له ، كان يقول : الليلة بيننا ، ولم أكن أفهم مراده من هذا الكلام ، وحين نهضت قال ابن زيزى : حين يحضر الطعام ، لاتنتظروني واحفظوا لى نصيبي . ولما حضر الطعام أكلنا واحتفظنا له بنصيبه . وانقضى شطر من الليل ، فذهب إلى المسقى ، وظننا أنه يتطهر وكان معه على خلاف ماظننا دف كان يخفيه ، (ص ١٠٧) وحينما هدأ الليل ، أخرج ذلك الدف وأخذ يضرب عليه فتجمع جيرانه ، فقال لهم : ربما يمزح معكم أبو طالب هكذا ، وهو شيخنا

---

(١) نفحات : ١٣٢ ، ١٣٣ وفى النص أبعد ك الله ٣١ . المترجم .

ونحن نتعلم منه الأدب ، وكان يقول هذا الكلام مازحا ،وفى اليوم التالى التفت إلى قائلا : هل تبت عن ذكر الإخلاص ؟ وحين سمعت هذا الكلام منه رأيت فراقه واجبا ، وأقمت فى حى آخر [١]

فصـــل (١٩)

كان الشيخ السابع هو عمر بن شلويه

قال الشيخ رحمة الله عليه : مضى عليه ستون سنة من العمر ولم يره أحد أكل طعاما أو تفل ، أو مد ساقيه ، وهذه هى الحقيقة ، كما أن هذه أيضا هى صفات الملائكة .
وهى تدل على أن الأنسان يستطيع أن يصل إلى مرتبة الملائكة [٢] .

قال الشيخ :رويت حكاية الحسين بن منصور فى محضر عمر ابن شلويه فقال : هل تريد أن ترى ابنته ؟ قلت : بلى ، فصاح ونادى الابنة ، فقال عمر : لاتحجبى وجهك فهذا الرجل عمك (ص١٠٨) ويدعى عبدالله بن خفيف

ثم روى : كانت هذه البنت فى الرابعة من عمرها حينما أودعنى أبوها إياها ، فربيتها ،وزوجتها .

قال الشيخ : كنت قد جلست ذات يوم إلى عمر بن شلويه ، فجاء أحد إخواننا وقال : لقد أعددت طعاما ، فلو أكرمتمونى بشرف الزيارة ، لكان هذا زيادة فى الإكرام . وقال الشيخ : فقلت لعمر :

---

(١) نفحات ١٣٣ المترجم :وحين أتى الصباح قلت : لقدتبت توبة نصوحاعن ذلك الأخلاص
(٢) نفحات : ٢٤٤ على بن شلويه .

قم واصطحبنا وقلت فى نفسى : ربما أراه اليوم يأكل طعاما
وحين حضر الطعام قلت : كل لقمة ، فقال : ومتى أكل عمر
طعاما ؟

وهذا الكلام إشارة إلى أن الأنسان حينما يستغرق فى عالم الغيب ،
لا يحتاج إلى طعام أو شراب ، قال الشيخ : حينما قال عمر هذا
الكلام ، تنغص الطعام على ، فاعتذرت وخرجت .

(ص ١٠٩)

فصل (٢١)

قال الشيخ : كان لى صديق ، يسمى الأشنانى (١) وقال
لى ذات يوم : أريد أن أستمع إلى حديث عمر بن شلويه ، فنقلت
هذه الرغبة إلى عمر .

فقال : هل يغلب عليه الخوف أو الرجاء ؟ قلت : الخوف .
فنهض عمر وانتحى زاوية من المسجد وجلس وكأن الهيبة
والوقار يقطران منه ، بحيث عجب الحاضرون من غاية سكونه
ووقاره ، وأخذ يصف قيام الساعة ، حتى أجهش الأشنانى ، والحاضرون
بالبكاء وبدا للأشنانى حال عظيم .

فصل (٢٢)

قال الشيخ : كنت وعمر بن شلويه راكبين سفينة فى البصرة ،
وكنا نتذاكر فرأينا أبا الحسن الأشعرى قد مر بنا ، ثم جاء فى اليوم

---

(١) لعله أبو بكر الأشنانى : نفحات ١٩٨ـ ١٩٩ المترجم .

تـلى وقال : مررت بالأمس عليكما وكنتما تتذاكران ، وفهمت ألفاظكما ، ولكنى لم أدرك لها معنى ، وأريد الآن أن تكررا على هذه الألفاظ .

قال الشيخ : فيم (ص ١١٠) كنا نتحدث ، قال أبو الحسن : فى سؤال إبراهيم عليه السلام «أَرِنى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى»[١] وفى سؤال موسى عليه السلام : «أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ»[٢] وأجاب الشيخ : سؤال إبراهيم ، سؤال من هو فى مقام الشوق والوجد ، فلا شك أن سؤاله كان تعريضا ، وسؤال موسى كان تصريحا ، ألا ترى أن إبراهيم سأل بطريق الإشارة «ربِّ أَرِنِي كيْف تُحْيِي الْموْتى» أى يا إلهى ليس لدى شك فى البعث والإحياء ، وأنا مقر بسلطانك ، ولكنى أريد أن أعرف كيفية الإحياء ، ولما كان سؤال إبراهيم بطريق الإشارة ، فقد أجاب الحق تعالى على سؤاله برفق ، وقال له : «خُذْ أَربعةً مِنَ الطير فَصُرهُنَّ إِلَيك»[٣] أى أن هذه علامة على كيفية الإحياء ، حتى تعلم أننى قادر على كل شىء ، وآخر الآية «واعْلَمْ أَنَّ الله عزيز حكيم» إشارة إلى هذه القدرة .

وحينما استمع أبو الحسن إلى هذا الكلام ، اعترف بفضل الشيخ وقال : هذا كلام فى غاية الجودة ، فقال الشيخ : أريد أن أستمع إلى كلامك أيضا ، فقال أبو الحسن : غدا .

---

(١) وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بقرة : ـ ٢٦٠ .

(٢) الأعراف ـ ١٤٣ .

(٣) بقرة ـ ٢٦٠ .

قال الشيخ : وجاء اليوم التالى . فدق بابى ، وأخذنى إلى داره . وجاء تلاميذه وتحلقوا حوله . قلت : سلهم ، قال : توجيه السؤال إليهم بدعة ، قلت : لماذا تناقشهم (ص ١١١) وتعلمهم ؛ قال : إنهم يسألون إنكارا ويجادلون فى الباطل ولكن ماداموا قد سألوا فقد وجبت على إجابتهم ، وحتى إذالم يكن السؤال على جادة الشرع . قال الشيخ : وقال أبو الحسن كلاما طويلا . ورأيته فى غاية الإحكام .

فصـــل (٢٣)

كان الشيخ الثامن هو المطين [١] :

روى الشيخ عنه أنه قال : كنت فى الكوفة أعمل وراقا ، وكنت أجمع كل ما اكتسب من الصنعة حتى يأتى أبو تراب إلى الكوفة وأنفقه عليه . وذات مرة تجمع لدى ستة عشر دينارا . وأتى أبو تراب مع جمع غفير . فنثرت ما معى تحت أقدامهم، ولم أحتفظ لنفسى بشيء .

وبعد ذلك مرعلى أبى تراب وصحبه ستة أيام لم يأكلوا شيئا . وفى اليوم السادس قال : كم يبيعون من الباذنجان بدانق ؟ قلت : ستين . قال : هل تستطيع أن تشترى لنا باذنجان بدانق ؟ قلت أجل . فذهبت إلى السوق ، وأحضرت مائة حبة من الباذنجان وطلب أبو تراب قدرا ونارا . وطبخ بيده .

---

(١) المطين هنا هو الراوية . والحكايات التالية معظمها عن أبى تراب النخشبى . المترجم

وحينئذ (ص١١٢) جاء مريد من مريديه ، ورأى هذا الأمر ، فذهب وأحضر عدة ألوان من الطعام . فقال أبو تراب : كلوا أولا من طعامنا . فأكل كل واحد حبتي باذنجان . ثم أكلوا الطعام الآخر . ولما فرغوا من الطعام قال ذلك المريد لأبي تراب : لي عندكم التماس قال : وما هو ؟ قال : أن تطلب ما تريد[1] قال : أريد قليلا من الدراهم .

فذهب ذلك الرجل وأحضر قليلا من الدراهم . وقال أبو تراب للمريدين هيئوا أنفسكم من هذه الدراهم . ففعلوا وأنفقوا ما بقي على السماع . وفي هذا السماع غلب الحال على أحد مريدي أبي تراب ومات فيه ، فاشتغلوا في تجهيزه ، ودفنوه ، وكان أبو تراب واقفا على قبره ، وحينما وضعوه في اللحد . قال أبو تراب : اكشفوا الكفن عن وجهه ، وحينما فعلوا ، ضحك في وجه أبي تراب . فقال : أعيدوا الكفن على وجهه ، ففعلوا ثم وضعوا عليه الحصى[2] والقش ، وغطوه بالتراب ، وعاد أبو تراب ومريدوه من القبر فأحرم في الحال وذهب إلى مكة .

يقول المطين : حينما وصلنا إلى منزل مليء بالرمل ، نظر أبو تراب (ص ١١٣) ولم ير من رفاقه إلا إياي فسألني : أين ذهب الرفاق ؟ قلت : عجزوا جميعا من الظمأ . وحين استمع إلى ذلك الكلام ،

---

(١) هذه الجملة غير موجودة في النص الفارسي وأغلب الظن أنها ساقطة ، فأضفتها ليستقيم الأسلوب . المترجم

(٢) ترجمت كلمة « بول » الفارسية بمعنى حصى ومعناها الحرفي النقود . اعتيادا من أن الكلمة تترجم أحيانا بالحصى ، الذي يوضع على الكنوز المدفونة لتعمية اللصوص . المترجم

قعد وجمع الرمل ووضع أصبعه فيه ، فانبثق الماء فملأت الركوة وارتويت ، وذهبت لرؤية الرفاق ، وأعطيتهم الماء ، فقووا ثم نحقوا بأبي تراب وصاحوا قائلين : إننا جوعى ، فقال لهم أبو تراب : خلف هذا الجبل يسكن قوم يضيفون الناس ، فاذهبوا إلى هناك ، نقضى حاجياتكم . فذهب المريدون فأكرموهم واستضافوهم على اللحم والمرق ، وكانوا قد وضعوا على الشواء كبدا مشويا ، فجاء طائر يقال له الحدأة ، واختطف هذا الكبد ، ،أحضره إلى أبي تراب ، فأخذه وأكله .

وحين انتهى المريدون لحقوا بأبي تراب ، وقصوا الحكاية ، فقال أبو تراب : لقد شاركتكم أيضا ، فقد أحضر ذلك الطائر كبدا مشويا ، وأكلت جزءا منه .

ص (١١٤)

فصـــل (٢٤)

قال الشيخ رحمة الله عليه : سمعت من أبي عمرو الأصطخرى [٢] قال : رأيت أباتراب مغروسا فى رمل البادية ، وكان قد أسلم الروح .

فصـــل (٢٥)

روى الشيخ عن أبي بكر بن عاصم أنه قال : كنت ذات يوم فى صحبة أبى تراب ، وكان فى كل ساعة يقول لى : انك تصدع رأسك ، وتتعب نفسك ، فأنت لا تصلح إلا للقضاء .

---

(١) انظر شد الأزار ٥٠ــ ٥٢ المترجم .

وبعد ذلك حين وكلت بالقضاء كنت أقول دائما : «إن الشروع في أعمال الدنيا والسير على نهج الصوفية لا يجتمعان معا » .

فصـــل (٢٦)[1]

قال الشيخ : كنت أسمع كتاب «تعظم قدر الصلاة » لمحمد بن نصر المروزى على بن أحمد القاضى ، وكلما قرىء باب ، كنت أقول : ليس هذا من كلام محمد بن نصر ، إنه كلامنا وقد قمشه ، وذات يوم سأل على بن أحمد تلاميذه : ماذا يقول أبو عبد الله ؟ (ص ١١٥) قالوا : يقول كذا وكذا ، قال : صدق ، فقد سمعت من محمد بن نصر قال : حين جمعت هذا الكتاب كنت أذهب كل يوم إلى الحارث المحاسبى ، وأدون أجوبة هذه المسائل من كلامه . وقال لى على بن أحمد : الرواية منا ، والكلام منكم ، وقال للتلاميذ : ما ظنكم فى رجل يقول من تلاميذه من هو أعلم من محمد بن نصر .

فصـــل (٢٧)

روى الشيخ على الحلوانى [2] أنه قال : تركت الجنيد ببغداد ، وذهبت إلى جبل لكام ، واتخذت مقامى هناك فترة ، ومات أحد الإخوان ، فجهزوه ، وحينما حان وقت الصلاة قالوا : ننتظر أبا القاسم ، فظننت أن فى ذلك الجبل شخصا يقال له أبو القاسم .

---

(١) من هذا الفصل يذكر المؤلف حكايات جرت لأبى عبد الله مع آخرين و لم يذكر أسماءهم فى صدور الفصول . المترجم .

(٢) لم أجد عنه شيئا : المترجم .

وحينما انقضت ساعة رأيت الجنيد ، وقد خرج من بين الآجام ، وقد ارتدى صوفة بيضاء ، وأمسك فى يده بعصا ، وكان يتلو القرآن ، ويتلفت يمنة ويسرة ، وحينما جاء صلى على ذلك الميت فى الحال ، ولم يمكث وعاد .

وخطر لى شيء ، وعزمت فى الحال على الذهاب (ص ١١٦) إلى بغداد ، ولم أعرج على موضع قط ، حتى بلغت بغداد ، وقصدت دار الجنيد ، وحينما وصلت إلى داره ، قرعت الباب ، فخرج الجنيد وقال : أهلا وسهلا ، تفضل ، أعمل أم مسألة ؟ قلت : رأيتك فى جبل لكام ، وقصصت له ماجال فى خاطرى ، قال : ربما حدث لك سهو ، ولم أكن ذلك الشخص بل كان آخر ، قلت : حذار ولا تقل هذا الكلام .

وحينما رأى أنى لن أرجع عن قولى قال : عاهدنى ألا تقول هذه الحكاية لأحد ما دمت حيا ، قلت : أعاهدك على أن أفعل . قال : فى تلك الليلة التى مات فيها ذلك الشخص خطر لى أنه فارق الدنيا ، وأحببت أن أصلى عليه ، فاتخذت الطريق فى تلك الليلة وجرى الأمر كما رأيت .

حكاية (٢٨)

روى الشيخ رحمة الله عليه عن أبى عالية الرباحى أنه قال : ظهر لى ذات مرة جرح فى قدمى ، وكأنما أصابته جمرة ، نعوذ بالله من عذاب الآخرة وبلاء الدنيا ، وكان هذا الجرح يكبر يوما بعد يوم ، وقال الأطباء : إذا لم تقطع قدمك ، سرت العدوى فى أعضائك كلها (ص ١١٧) وأهلكتك ، وحينذاك تكون قاتل نفسك ، قلت : إذا لم يكن بد من القطع فاحضروا شخصا حسن الصوت حتى يتلو

القرآن ، وحينما ترون أن أحوالى تغيرت ، وتصاعدت منى الزفرات فبتروا ، وهكذا فعلوا ، ووضعوا المنشار على القدم وبتروها دون أن يحس .

وحينما عاد إلى وعيه سألوه : كيف كان حالك ؟ قال : لقد غبت على محبة الله تعالى ، لدرجة أننى لم أحس ببتر قدمى . ثم حمل قدمه وقال : لو أن الله سألنى يوم القيامة : ألم تسع قط بهذه القدم فى مكان لم أرضه لك ؟ لقلت : لا وربما قلت الحق لا الكذب .[1]

فصـــل (٢٩)

قال الشيخ : لم ينم شاه الكرمانى عدة سنوات . واتفق أن استغرق فى النوم لحظة فرأى الحق تعالى فى النوم :

رأيتك فى المنام سرور قلبى   فأحببت التنعس والمناما[2]

(ص ١١٨) ويعنى بالبيت : لقد رأيت مرادى فى النوم ، وبلغت مقصودى ، والآن أنا أحب النوم لهذا السبب . وبعد هذه الحادثة كان يحب دائما أن يروح فى النوم .

---

(١) نسبت هذه الحكاية فى كشف المحجوب إلى أبى الخير الأقطع (كشف-١٩٣) ، وفى إحياء علوم الدين ١-١٨٢ دون ذكر اسم، وذكر الشاعر سنائى حكاية قريبة منها تدور حول إخراج رأس سهم من جسد على بن أبى طالب رضى الله عنه أثناء الصلاة دون أن يحس . (حديقة الحقيقة ص ١٤٠) . المترجم .

(٢) كشف المحجوب : ١٣٨ ، ٣٥٣ ، نامه دانشوران : ٣-٦٦ .

فصــل (٣٠)

قال الشيخ : لم أرأحدا قط يتحدث فى المعرفة مثل أبى محمد ، وأكثر تحقيقا من أبى بكر الكتانى ، وصاحب وجدوحال مثل أبى العباس أحمد ، وزاهدا مثل أبى بكر الاصطخرى الشعرانى [١] ، ورجلا يجعل قوته من كسب يده ، ويحفظ شرائطه ، ويحتاط فيه بشدة مثل أبى محمد العتايدى .

فصــل (٣١)

قال الشيخ : ذات يوم طلب الحسن بن أبى الحسن البصرى حبيبا العجمى ، فوجده فى جزيرة ، فسلم عليه الحسن من الشاطىء الآخر ، فقال حبيب : وعليك السلام . تعال ياحسن ، فقال الحسن : ليست لدى القدرة على ذلك ، قال حبيب : سبحان الله ، إننى (ص١١٩) تلميذك ، وتعلمت العلم على يديك ، وتقول لا أستطيع ؟! ، ياحسن أبعد حب الدنيا عن قلبك ، حتى تستطيع السير على وجه الماء بيسر .

وحين سمع الحسن هذه الكلمات بكى ، وقال : ياحبيب ، لقد أثر علمى فى الآخرين ،وبفضله نالوا السمو الأسمى والمرتبة العليا ، ولكن لا أثر يذكر له على ، ولم يرفعنى إلى تلك المرتبة ، ياحبيب : إنى ألتمس منك الدعاء ، فقل : اللهم اغفر للحسن . فقال حبيب :

---

(١) نفحات ٢٢٧

مارأيت زاهدا متخليا عن الدنيا أصدق ظاهرا من أبى بكر الشعرانى المترجم .

تهم اغفر للحسن . فلا تحرمنا يا إلهى من دعاء عبيدك المخلصين واحشرنا فى زمرتهم .

فصــل (٣٢)

قال الشيخ : جاء أحد القضاة إلى أبى بكر بن عاصم وقال له : أريد أن تتحدث إلى بطرف من سيرة أبى تراب وسلوكه . قال : أيها الأخ ليس من المستحسن ولاية القضاء وقول كلام الصوفية وسماعه . (ص ١٢٠)

فصــل (٣٣)

قال الشيخ : قيل لليلى الديلمى[1] : إن أبا بكر بن عاصم ناصبى ، أى على باطل ، فقد قال بقول النواصب ، وأهمل فى الحق ، فأرسل ليلى غلاما ، معه سيف وقال له : يجب أن تأتينى برأسه ، فجاء الغلام ورأى أبابكر بن عاصم آخذا فى رواية الحديث : فأدى الرسالة فرقد أبو بكر مبديا قفاه : وقال : تعال يا غلام باسم الله ، ونفذ الأمر وأد الرسالة ، وفى الحال وصل شخص وقال الغلام : يقول لك الأمير ، دعه فى مكانه فنهض أبو بكر وأخذ فى إملاء الحديث ، والحاضرون يتعجبون من ذلك .

حكاية (٣٤)

روى الشيخ رحمة الله عليه عن أبى بكر بن عاصم قال : كنت أسير فى السوق مع أبى العباس بن سريج وكنت أتحدث قائلا ، فى

(١) ليلى بن النعمان الديلمى : انظر ابن الأثير ٨ ـ ٠ ٤ المترجم .

ترك الدنيا منافع كثيرة ، وأعظم منافعه أنه يرد النفس عن متابعة الهوى . وحين تتوقف النفس عن متابعة الهوى يضيء القلب .

(ص ١٢١)

حكاية (٣٥)

روى الشيخ : حدثنا أبو عبد الله بن الفضل ، حدثنا أبو عبد الله القاضى المحاملى قال : كان لأبى صديق شديد الإنكار للصوفية ، ثم رأيت إنكارهم قد ذهب من قلبه . فتعهد بخدمتهم . وكان يعدها غنيمة دهره ، ونشر تحت أقدامهم كل ماكان قد جمع من الدنيا .

وذات يوم سألته ماذا كان سبب هذا الإنكار ؟ وما هو سبب هذا الاعتقاد ؟ قال : كان ذلك الإنكار خطأ . قلت : قل إذن السبب ؟ قال : قمت بصلاة الجمعة فى مدينة بغداد ، وخرجت من المسجد ، فرأيت بشرا الحافى قد خرج من المسجد ، وأخذ يسير على عجالة ، فقلت فى نفسى : إنهم يعتبرون هذا الرجل من أولياء الله تعالى ، وهو لم يقم بعد صلاة الجمعة بشيء من الأوراد ، ولم يتوقف ليصلى ركعتين أو ثلاثا ، وكنت أتحدث بهذا الأمر إلى نفسى وأنا أقتفى أثره ، حتى أرى إلى أين يذهب ، فرأيته ذهب إلى السوق ، واشترى كثيرا من الخبز والشواء والحلوى ، واتخذ طريقه إلى الصحراء فازداد إنكارى وقلت : سوف يذهب للتريض والنزهة ، (ص ١٢٢) ، فغذيت السير لأرى أى قوم أصحابه ، فلا يمكن أن يكون دون صحاب وخلان ، وأخذ يسير وأنا أسير فى إثره .

وعند صلاة العصر وصلنا إلى قرية ، ودخل بشر إلى مسجد تلك القرية ، وكان فى المسجد مريض نائم ، فجلس بشر أمام ذلك المريض ، وأخذ يسأله وهو يسنده ،[1] ثم قال : أعلم أنك جائع ، قال المريض : أجل . فأخذ بشر يضع اللحم والخبز فى فمه لقمة لقمة ، وهو يأكل حتى أطعمه كل الخبز واللحم ، ثم أطعمه تلك الحلوى قطعة قطعة ، نفذت من باب المسجد ، وذهبت وسط القرية ، لأرى أى قرية تلك ، فلم أكن قد رأيتها قط ، ثم عدت على الفور إلى المسجد ، وحينما بلغته رأيت المريض وكان بشر قد ذهب ، فسألت المريض : أين ذهب بشر ؟ قال : ذهب إلى بغداد ، فوقع لى فى قلبى شيء ، فسألت المريض : كم يبلغ الطريق من هنا إلى بغداد ؟ قال : أربعين فرسخا ، قلت : الله أكبر فقد نغصت عيشى ، فلا قدرة لى على الذهاب ماشيا ، وليس بوسعى أن أستأجر دابة فبقيت حائرا ، إذ لم تكن القوافل تسير أيضا .

فقال ذلك المريض : ماذا حدث لك فقد بقيت حائرا ، فرويت له القصة من أولها إلى آخرها (ص ١٢٣) قال : أيها الأخ لا تحزن واصبر أسبوعا ، ففى الجمعة القادمة يأتى بشر ثانية إلى ، وسوف أسلمك له ، حتى يوصلك إلى بغداد فى ساعة أو ساعتين ، فمكثت حتى الجمعة التالية ، فوصل بشر فى صلاة الظهر[2] ، وكان معه كعادته الخبز واللحم والحلوى ، فأطعمها لذلك المريض ، وحين انتهى من ذلك ، ظهرت لهما

(١) فى النص الفارسى : و جند . . . برد وترجمتها الحرفية وهو يحمله . المترجم .

(٢) لعلها هنا العصر وحدث خطأ فى النص الفارسى وقد نقلتها كما هى . المترجم .

وحينما وقع بصر المريض عليَّ، قال لبشر قصتى ، وحكى له عن أحوالى ثم قال إكراما لى ، رده إلى بغداد فهو غريب حائر مضطرب . فنظر بشر إلىَّ غاضبا وقال: لماذا كنت تتبعنى؟ قلت : لقد أخطأت فاغفرلى ، فقال : انهض واتبعنى .

وأخذ يسير وأنا فى إثره . وحينما كان الغروب وصلنا بغداد فقال لى : اذهب بسلامة الله . ولا تفعل هذه الفعلة بعد ذلك .

ومنذ ذلك الوقت ، تبت وأخذت أخدم هذه الطائفة ، ونثرت تحت أقدامهم كل ما أملك

(ص ١٢٤).

حكاية (٣٦)

روى الشيخ : ولد للجنيد ابن فى ليلة كان المطر ينهمر فيها مدرارا ، ولم يكن فى منزله شىءٌ قط مما تحتاج إليه النساءُ والأطفال ، ومن شدة المطر كان كثير من الماء قد تسرب إلى داره ، فحمل الجنيد قدرا ، وأخذ بنفسه هو وجاريته يزيلان الماء من الدار ، ويحملانه خارجا ، ويصبانه .

وحينما طلع النهار ، كان مع امرأة الجنيد درهمان ، (أعطته إياهما)[1] وقالت : خذ هذين ، واشتر ما هو ضرورى لنا وائتنى به ، فنهض الجنيد وخرج من الدار ، وأخذ جاريته معه ، وحينما كانا يسيران فى الطريق صادف جارية تبكى ، فسألها الجنيد : ما يبكيك ؟ قالت :

---

(١) لايوجد مايقابلهما فى النص الفارسى ووضعتها ليستقيم الأسلوب . المترجم .

أعطاني سيدى قراضة[1] وقارورة وقال لى : اذهبى فاشترى بعض الزيت في هذه القارورة ، وآتيني به ، والآن وقد اشتريت ، سقطت القارورة من يدى ، فكسرت ، وسال الزيت . وأنا خائفة ولا أجرؤ على الذهاب إلى سيدى ، فأخذ الجنيد هذه الجارية معه ، واشترى لها بالدرهمين اللذين كانا معه قارورة وبعض الزيت . وقال لها اذهبى فى سلامة الله ، قالت الجارية : أتمم جميلك (ص ١٢٥) قال : وماذا أفعل ؟ قالت تحمّل قليلا من التعب وتعال معى إلى سيدى . وقل له ما حدث لأنى مازلت خائفة .فذهب الجنيد مع الجارية إلى سيدها وتشفع لها ، وقص له ما جرى لها وعاد .

وقال لجاريته : اذهبى أنت وأنا قادم ، وذهب إلى المسجد وجلس ، فقالت له الجارية : لا وجه لجلوسك فى المسجد ، فى يوم عندك فيه هذا الأمر ، فقال لها الجنيد : اذهبى أنت واسكتى فأنت لا تعلمين ، ثم جلس الجنيد فى المسجد حتى الظهر . فعادت الجارية إليه قائلة : انهض يا سيدى وتعال ، فقد جلس الحمالون ينتظرونك من أول الحارة إلى آخرها ، فنهض الجنيد وجاء إلى الدار ، فرأى عدة حمالين ، وقد أحضروا كل ما يلزم من حاجات الشتاء والصيف ، وكان مع الحمالين رجل معه رقعة كتب فيها : علمت بالأمس أنه قد ولد لك ابن ، وأرجو أن يكون هذا مقبولا لديك .

ومن جملة ما أحضروا من حاجيات (ص ١٢٦) كيس فيه خمسمائة درهم ، فقال الجنيد لجاريته : ألم أقل لك اسكتى فأنت لا تعلمين ، فأنىّ تعاملين سيدك فعامليه هكذا حتى يأتيك النفع .

---

(١) عملة صغيرة .

فصـــل (٣٧)

روى الشيخ رحمة الله عليه : كان في مصر غلام صفار . وكان يقوم بخدمة ذى النون فانقطع عن خدمته فترة وتساءل ذو النون عن أخباره فقيل له : إنه يقوم الآن بالتجارة ، وقد شغلته .

واتفق لذى النون أن رأى ذلك الغلام في الطريق فقال له : أرجو أن تأتيني بعدة لآلىء صغيرة حتى أشتريها منك ، فقال : سمعا وطاعة ، ثم حمل إليه عدة لآلىء . فوضع عليها ذو النون بعض المحاليل حتى لانت وجلس على حافة بركة ، وألقى بها في فم سمكة ، ولم يأكل شيئًا لمدة أسبوع . وبعد أسبوع أخذ تلك السمكة ، وشق بطنها ، فأخرج منها ثلاث لآلىء كبيرة ، وأعطى إحداها للغلام ، وقال : احملها (ص ١٢٧) إلى الجوهريين يقيّمونها ، فحمل الغلام تلك اللؤلؤة إلى الجوهريين ، فثمّنوها بعشرة آلاف دينار ، ثم أعطاه الاثنتين الأخريين ، وقال : خذ هاتين أيضا ليقيّموهما ، فأخذهما الغلام ، وقيل له : قيمتهما أكثر من الأولى ، فأعطى ذو النون اللآلىء الثلاث للغلام ، وقال له : ضعها في هاون ، واسحقها ، وذرها مع الريح ، وكان الغلام ذكيًّا ، فعلم أن هذه إشارة إلى أن الدنيا والتجارة فيها لا يساويان شيئا ، وعاقبتهما أدراج الرياح ، وينبغي الاشتغال بالآخرة وتجارة الآخرة . فنفّذ ما أمره به ووضعها في هاون ، وسحقها ، وذرّاها مع الرياح وهجر التجارة وعاد لخدمة ذى النون [1] .

---

(١) تذكرة ١ - ١١٨

فصــــل (٣٨)

روى الشيخ رحمة الله عليه : سمعت من المشايخ ، أن أعظم كلام قاله بشر فى التوحيد هو : من كان فى توحيده ناظرا إلى نفسه ، لم ينجه توحيده من النار .

وتحقيق هذه الكلمة أن كل من هو فى مقام التوحيد :(ص ١٢٨) ينبغى أن يقطع نظره عن كل ما سوى الله ، وكان بشر ينشد هذا البيت فى شأن أحواله :

أموت وما ماتت إليك صبابتى : ولا رُويت من صدق حبِّك أوطارى [1]

ويعنى بالبيت : أن النفس قد ماتت ، ولكن شوقى إليك حى ، ولا يرتوى المحب أبدا من رُؤْية المحبوب [2] .

فصــــل (٣٩)

سأل أحد الناس الشيخ ذات مرة : ما هو آخر مقام أشار إليه أهل هذه الطائفة ؟ فأجاب الشيخ : هذا سؤال خاطىء ؛ ذلك أن نهاية المقامات هى ما وصل إليها كبار الصحابة ، ويعلم آخر مقام لهم ذلك الذى ربما وصل إليه ، ولم يصل أحد قط إلى مرتبتهم . فقال السائل : فقل الآن ما وضح لك من أحوال الأولياء ، فأجاب الشيخ : حتى يفرغ القوم من الطعام .

---

(١) باللغة العربية فى النص

(٢) كتاب اللمع ٣٦٨ والبيت لذى النون

الباب السابع
فى ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا فى فارس
ولحق الشيخ بهم وصحبهم

فصــــل (١)

(ص ١٢٩) .

يقول الشيخ : كان أحمد بن يحيى[(١)] أول شيخ صحبته ، وذات ليلة كانت لى معه صحبة ، وكان كل المشايخ يقومون بالسماع ، وقد أشعلوا نارا ، وأصابت أحمد بن يحيى حالة من الوجد ، فالتقط من بين النار جمرتين ، ووضعهما فى كفه ، ونشر كمه عليهما ، وقال لغلام تعال معى . وكنا نرى ومض الجمرتين من فوق القميص (ص ١٣٠) وبعد ساعة سقطت هاتان الجمرتان وقد تفحمتا ، وذهب أحمد إلى المسجد وأخذ يصلى حتى الصباح[(٢)] .

قال الشيخ : رأيت كثيرين من أصحاب الوجد ، ولكنى لم أر قط صاحب حال مثله[(٣)] .

---

(١) أبو العباس أحمد بن يحيى : انظر شد الأزار ١٣٧ - ١٣٨ . المترجم .

(٢) نفحات (ص ١٤٤ ص ١٤٥) : وهى أكمل وأكثر وضوحا من النص الذى بين يدينا : كنت ذات ليلة مع الشيخ أحمد بن يحى ، وكان بيننا صبى من أصحابه ، كان ينبغى عليه أن يذهب للنوم فى منزله ، وكان الوقت شتاء . . . . فقال بعض الصحاب : من يوصل هذا الصبى فلانا إلى منزله ، فلم يجب أحد ، فأخذ أحمد ابن يحيى جمرتين كبيرتين فى كفه . . . . إلى آخره .

(٣) مارأيت واجدا متحققا فى وجده على السرمدية مثله . شد ١٣٨ !

فصـــل (٢)

قال الشيخ أعد جماعة من المريدين مجلسا للسماع ، وجلس أحمد بن يحيي فى صُفّة ، وأبو بكر بن زيد فى أُخرى ، كل مع مريديه ، وحين أخذ القوّال فى الغناء نهض أحمد بن يحيي وأخذ يدور حول نفسه كعادة الصوفية ، وقال أبو بكر بن زيد شيئا فى هذا الحال لمريديه وضحك ، فحمل أحمد بن يحيي قاعدة المصباح ، ورماه بها بحيث أصابته ، فتغير أبو بكر بن زيد وغاب عن وعيه ، وحينما أفاق قال له أحمد : حين تجالس الدراويش احفظ الأدب [1] .

فصـــل (٣)

(ص ١٣١)

قال الشيخ قدس الله روحه : جرى نقاش ذات ليلة بين أحمد بن يحيي والجعدى . فقال أحمد : قم بنا إلى المنزل . وحين ذهبوا إلى منزل أحمد ، كانت هناك نار ، فالتقط أحمد قطعة منها ، ووضعها فى كفه ، ووضع عليها بعض العود والبخور ، وقال للجعدى : أقبل وبخر رأسك بهذا العطر ، فقال الجعدى : واعجبا إنها لا تحرق يدك ، فترك أحمد النار فى كفه ، حتى احترق العود كله ، وخمدت النار ، فألقى بها .

---

(١) 82 b AS 1136 : حكى عن أبى عبد الله بن خفيف أنه قال : حضرت مع شيخى أحمد بن يحيى الجلاء (المترجم : هنا خلط) فى دعوة شيراز فاتفق فيها سماع خطاب وقت الشيخ وقام يتواجد ويدور ، وكان فى صفة قوم من أبناء الدنيا ، فتبسم واحدمنهم ، فأخذ الشيخ منارة كبيرة كانت هناك فرماه فأصابت الجدار فانغرست أرجلها الثلاث فى الحائط .

فصـــل (٤)

قال الشيخ : أقام أحمد بن يحيي فى صحن الجامع ، وكان يصلى حتى طلوع الصبح ، كما كان يصلى الصبح على نفس الوضوء الذى صلى به صلاة العشاء[١] .

فصـــل (٥)

(ص ١٣٢)

روى الشيخ رحمة الله عليه عن أحمد بن يحيي قال قصدت العراق ، وأردت أن أرى المشايخ ، فرأيت سهلا فى تستر[٢] ، فقال : إلى أين العزم ؟ قلت : إلى بغداد ، أريد أن أرى المشايخ ، واستفسر منهم عن بعض الأشياء . فقال سهل : أنا أيضا عندى بعض المشكلات ، وأريد أن تسأل المشايخ عنها . ثم خرجت من تستر[٣] ، وذهبت لرؤية أبى يعقوب النهر جورى .

قال الشيخ : كان من عادة أحمد أن يرتدى رداءً أبيض فى السفر والحضر ، ويتزيا بزى التجار .

وروى أحمد : أقمت أسبوعاً فى مسجد أبى يعقوب تحت السلم ، ولم أكن أخرج إلا من أجل الوضوء ، وبعد هذا الأسبوع ذهب قيِّم

---

(١) 83-a AS, 1136 : وكان قد صلى ثلاثين سنة صلاة الصبح بوضوء العشاء .

(٢) المقصود سهل بن عبد الله التسترى : ولم ترد كلمة تستر فى النص الفارسى وبدلا منها وردت « بيشتر » ومعناها أغلب ولا يستقيم المعنى . والجزم أنها تستر ولم تستطع الناشرة تحقيقها . المترجم .

(٣) هنا بيشتر أيضا . المترجم

الشيخ وقص الأمر على أبى يعقوب وقال : أتى رجل منذ أسبوع ، واتخذ من المسجد مقاماً ، ولا يأكل شيئا . فقال له أبو يعقوب : اذهب وراقب حاله ، وسله عن اسمه ، فأتى القيم ، وتأكد من أحواله .

وقال الشيخ : اسمى أحمد من جملة أئمة خراسان[1] . فذهب وأخبر أبا يعقوب ، فنهض أبو يعقوب ، وأتى لرؤية أحمد ، وأكثر (ص ١٣٣) من الاعتذار له ، وطلب الإذن بأن يرسل أحدا إلى السوق ، ليحضر طعاما فلم يأذن أحمد .

قال أحمد : فنهضت وذهبت إلى السوق وكان معى رداء بعته واشتريت شيئا من الطعام ، وجئت به للصحاب ، وقلت : شاركونى كرما منكم ، فأجابوا دعوتى وشاركونى ، وكان هذا يوم الخميس ، وصليت الجمعة ، وعزمت على السير ، وجاهد أبو يعقوب ليستبقينى بضعة أيام ، فلم أقبل .

وحينذاك اكترى لى مكانا فى سفينة ، وأودع الربان أنواع الطعام من خبز ولحم وحلوى ، وقال : قم له بكل ما يلزمه من خدمة ، وأوصى الربان وصية بليغة قائلا : ينبغى لك أن تغنم صحبته ، وأن تقوم بكل ما تقتضيه خدمته . وحين حان وقت الطعام ، أحضر الربان هذه المأكولات أمامى فسألته : من أين هذه ولمن ؟ قال : هى لك قلت : أهناك مأكولات أخرى ؟ قال : نعم ، قلت له : أحضرها فأحضر الربان ما كان لديه بأجمعه .

---

(١) النص الفارسى هنا مضطرب ترجمته الحرفية : فقال الشيخ : اسمى أحمد من جملة أئمة خراسان فأتى القيم ، وتأكد من أحواله وأغلب الظن أن هناك خطأ فى ترتيب السطور . المترجم.

(١) حينذاك صاح أحمد ، ودعا كل من كان فى السفينة ، (ص ١٣٤) وأطعمهم هذه الأطعمة ، وبعد ذلك مرت على أحمد خمسة عشر يوما لم يأكل فيها شيئا .

(٢) وحينما وصلت إلى بغداد ، أشاع رفاقى فى المدينة قائلين : بيننا رجل له سيرة الملائكة ، فهو لا يأكل ولا يشرب . وتجمع أهل بغداد حولنا ، وسألونى : لأى أمر أتيت ؟ قلت : أريد أن أرى المشايخ : الجنيد . ورويم وأمثالهما ، فقالوا أدخل هذا البستان فرويم هناك ، ورأيت رويما ، وسلمت ، فأكرمنى كثيرا ، ثم قال : هات ما عندك من مسائل . فعرضت عليه الأسئلة .

فقال : هل رأيت الجنيد ؟ قلت : لا ، قال : ابدأ به . فذهبت إليه ، وألقيت عليه بالأسئلة . وأملى على جوابها ، ثم عدت إلى رويم ، وأردت أن أقرأ عليه الأجوبة التى أملاها الجنيد ، فقال : هات الأسئلة ولا تذكر الأجوبة ، فأخذت أسأل ورويم يجيب . فرأيت أجوبة الجنيد كماء فى جدول ، وأجوبة رويم كنهر جار .

وبعد ذلك توجهت إلى سهل ثانية ، وحينما وصلت إلى منزله ، رأيت رجلا فقلت له : أريد أن (ص ١٣٥) أرى سهلا ، قال : لن تستطيع أن تراه ، قلت : أنا محتاج إليه ، فأخذنى إلى الدار ،

(١) هنا تنتقل الحكاية من صيغة المتكلم إلى صيغة الغائب ، وهذا أسلوب شائع فى الكتاب لعله من خطأ المترجم الفارسى عن الأصل ، ولذا آثرت أن أبدأ فقرة جديدة وليست كذلك فى النص الفارسى . المترجم .

(٢) عاد الكاتب إلى صيغة المتكلم ثانية . المترجم

فرأيت سهلا عاجزا هلعا كخرقة فى مهب الريح ، فسألت ذلك الرجل : ما حدث ؟ قال : مر به شخص ورفع صوته بآية من القرآن . فحدث له ما ترى ، فمكثت ساعة حتى استرد وعيه . وقرأت عليه أجوبة الأسئلة ، فقال : سهل : لا يمكن أن يقال أفضل من هذا .

فصـــل (٦)

قال الشيخ : مرت عدة أيام على أحمد بن يحيى لم يأكل فيها طعاما ، فقال ذات يوم لمريده : اذهب وأحضر رغيفين : وبعض حساء الباقلاء . فذهب ذلك المريد وأحضر قدرا كثيرا من خبز الحوارة واللحم والبيض . وحين رأى أحمد هذا الطعام ، قال : لم تحضر ما طلبت ، وقام وذهب إلى دكان عبد الله القصار . وأسند ، ظهره على حجر ، وكنت أرقبه . وكأن ذهب فى النوم ، فأشرت لعبد الله القصار : إن كان قد بقى عندك شيء من الخبز القديد ، وحساء الباقلاء فأحضره . فأحضر عبد الله ما بقى ، فأكل أحمد بعضه .

(ص ١٣٦) .

فصـــل (٧)

قال الشيخ : ذهبت ذات ليلة لزيارة أبى بكر الشعرانى . قال : يا أبا عبد الله ، الليلة نأكل لقمة دسمة ببركتك . ووضع القدر على النار ، ووضع فيها قطعة من الكبد وطبخها . وهشم فى حسائها بعض الخبز . ووضع عليه الكبد ، وكنت آكل الثريد ولا آكل الكبد . قال : لماذا لا تأكل ؟ لعل بك رغبة إلى طعام آخر . سأعد من أجلك طعاما طيبا فى الغد . وفى اليوم التالى أعد عدته . وحضر جماعة من

الصحاب ، وتناولنا ذلك الطعام ، وحين انتهينا منه . عدت إلى شيراز ثانية .

قال الشيخ : ما رأيت زاهدا جرد نفسه من علائق الدنيا مثله .

فصـــل (٨)

قال الشيخ : ذهبت مرة أخرى إلى أبي بكر الشعرانى ، وكان يرتدى قميصاً قديماً ، ويعتمُ بعمامة مهترئة ، ولم يكن يقبل شيئاً من الخلق قط ، وكانت بيننا محبة عظيمة ، وحينما أردت أن أُودعه ، وأترك مجلسه .أعددت ثوبا وعمامةوإزارا ، (ص ١٣٧) وذهبت إليه وقلت : إنى عازم على الذهاب ، وحين خرجت من شيراز ، لم يكن لى غرض آخر سوى رؤيتك ، وأريد الآن أن تقبل هذا الثوب منى تبركا ، قال : إنى أرتدى واحدا . قلت : إن إكرام خواطر الدراويش من جملة القربات ، وحين قلت هذا قبله منى وارتداه ، ودعا لى . فغلبنى البكاء عليه ، وظهر له هو الآخر وقت ، فودعته وخرجت ، وتعجب المشايخ لأنه قبل هذا الثوب منى .

فصـــل (٩)

قال الشيخ الشعرانى : جاء أحمد بن يحيى ومؤمل وأبو الضحاك إلى اصطخر لزيارة أبي بكر الشعرانى ، قال مؤمل : هذه ساعة الإفطار ولانستطيع أن نراه فلنصبر إلى أن ينتهى من صلاة العشاء ، ويؤدى وظائف العبادة .

---

(١) نفحات ٢٣٧ : ما رأيت زاهدا متخليا عن الدنيا أصدق ظاهرا من أبي بكر الشعرانى وبقية الحكاية طبق الأصل .

وبعد صلاة العشاء ، ذهبوا إليه فالتفت إلى أحمد بن يحيي وقال : ألا تستحى من الله تعالى ، وأنت تتخذ من مدينة الخوارج دار إقامة ، وتأكل طعامهم ، ثم تظهر الوجد والسماع ؟

وكان أحمد صامتا لاينبس . ثم نظر إلى (ص١٣٨) أبي الضحاك وقال : سمعت أن تسبيحك « الحمد لله » وأولى لك أن تشتغل بكلمة الاستغفار . والتفت إلى مؤمل ، وقال : سمعت أنك تتحدث فى التوحيد ، فقال مؤمل : وأين أنا من ذاك ؟ أنا رجل مشغول بالكسب وحين سمع منه ذاك ورآه فى مقام العجز ، صمت .

روى الشيخ : من كثرة ماألم بأحمد بن يحيي وأبي الضحاك من تعب ، غلب عليهما النوم فناما فالتفت أبو بكر إلى مؤمل وقال : هذا نوم المحبين .

قال مؤمل : كان معى رمانة ، كسرتها ، وأعطيت نصفها ، فأكلها ، وجهدت أن أعطيه نصفها الآخر ، فلم يقبل ، ونهض . وأخذ يصلى حتى الصباح

فصــل (١٠)

قال الشيخ : مارأيت أحداً كان يحفظ شرائط الكسب ، مثل أبي محمد العتايدى ، كان يكسب كل يوم نصف دانق ، ينفق بعضه على نفسه ، ويتصدق ببعضه على الفقراء[1]

---

(١) نفحات ٢٣٨ : وكان قوته مقدارين من نخالة كان يشتريها ويصنع منها رغيفين يفطر على أحدهما ويتصدق بالآخر .

(ص ١٣٩) .

فصـــل (١١)

قال الشيخ : كان من عادة الدراويش : أن يفطروا كل ليلة فى منزل أحد الصحاب ، ولم يكن أبو محمد يشاركهم فى هذا الأمر ويسمح لأحد بالمجىء إلى منزله .

وذات ليلة نهض أبو محمد ، وأخذ يسير إلى الدار ، والدراويش يسيرون فى أثره ، وحينما وصلوا إلى باب الدار فتح الباب مضطرا ، ودخل الدراويش ، فرأوا منزلا خربا مليئا بالتراب والحصى ، لافرش ممدودة ولازرابى مبثوثة ، وحينما رأوا حاله هذا رغبوا فى الخروج لتوهم ، ولكنهم كانوا يخشون العسس ،فمكثوا مضطرين .

ثم رغبوا فى الذهاب إلى المسقى ليجددوا وضوءهم . وحينما وصلوا إلى باب المسقى رأوا عنكبوتا قد نسج خيوطه على الباب وكأن أحدا لم يدخله منذ فترة ، وحينما رأى الدراويش أن حال أبى محمد ومقامه هكذا ندموا وخرجوا ، وأبقوا أبا محمد بعد ذلك فى مجالسهم (ص١٤٠)

فصـــل (١٢)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كان أبو محمد ذاهبا إلى مكة ، وكان معه درهم أو درهمان ، فاشترى بها بعض الزاد وإبريقا ، واستأجر بعيرا ، وحينما وصل إلى مكة باع ماتبقى من الزاد بأربعة دراهم ، ودفع أجر البعير .

فصـــل (١٣)

قال الشيخ رحمة الله عليه : ذهبت ذات يوم لزيارة أبي محمد ، وكانت الفئران قد ثقبت الرداء الذى ألبسه ، قال أبو محمد : هذه الثقوب التى فى ثوبك من فعل الفئران ؟ قلت : أجل ، أنا أيضا ضائق من الفئران ، فهى تسرع طوال الليل إلى الصباح وتمزق الثياب . قلت : لماذا لاتشعل مصباحا ، إذ أنها تقلل من الخروج حين ترى نور المصباح قال : منذ أربعين سنة وأنا لا أملك مصباحا ، إذ تلزم أشياءُ كثيرة حتى يشتعل المصباح[1] .

(ص١٤١)

فصـــل (١٤)

قال الشيخ رحمة الله عليه :كنت جالسا ذات يوم مع أبي محمد ، وكانت شعرة واحدة قد أطلت من محاسنه ، فمد يده وسواها حتى استوت مع الشعيرات الأُخرى ، ثم استغفر بعد أن فعل وكرر الاستغفار ، قال الشيخ فسألته : ماسبب هذا الاستغفار ؟ قال : ألم تر أننى سويت شعرى من الغفلة وتسوية الشعر زينة للنفس وكل من يزين نفسه ويكون فى قيد ذلك ، يكون غافلا كبيرا ولهذا استغفرت .

فصـــل (١٥)

قال الشيخ : قال لى مؤمل ذات يوم : اذهب وراقب أحوال جعفر الحذاء ، وانظر كيف يقضى أوقاته . فذهبت إلى جعفر ،

---

(١) نفحات ٢٣٨ : . . . إذ أخشى حسابه ، فينبغى أن يتيسر بضع أشياء ولكلها حساب .

فرأيت دارا فى غاية الحسن والجمال ، ووجدت بسطا وفرشا فى غاية الجودة واللطف ، ورأيت شخصا قد دخل ومعه (ص١٤٢) وسائل المطبخ كما هى عند المتنعمين ، فنهضت وقال جعفر : امكث قليلا حتى نتناول معا خبزا وملحا ، فقلت إنى صائم ثم عدت إلى مؤمل ، ورويت له الحال كما رأيت : فرفع مؤمل وجهه إلى السماء وقال : ياإلٓهى ،بنا السلامة والعافية معا .

وبعد مدة قال مؤمل : ياأبا عبد الله ، اذهب مرة أخرى ، وانظر أحوال جعفر ، وحينما ذهبت ، وسألت عن أخباره قيل لى : لقد وقع الخراب فى هذا الدار ، ومرت عنيه عدة أيام لم يأكل فيها شيئا . فدخلت الدار ، ورأيته ساجدا فسلمت فرفع رأسه ، ونظر إلى ، وقد تندى ما حول عينيه من الدمع .

قال : أبا عبد الله كيف ترى أحوالى ؟ فأخذت أتحدث إليه مواسيا ، وكان جيرانه قد رجونى قائلين : توسل إليه أن يأكل شيئا فمنذ عدة أيام (ص١٤٣) لم يذهب طعام إلى جوفه قط .فجاهدت كثيرا حتى أطعمته شيئا ، ثم نهضت وعدت إلى مؤمل ، ورويت له الحال كما رأيت قال :لو كان قد أبقى تلك النعماء ، ماابتلى بهذا الشقاء[1] .

فصــــل (١٦)

روى الشيخ عن جعفر الحذاء قال : جاء أبو عمرو الاصطخرى إلى شيراز ، وكان أبو الضحاك معه واتفق أن اجتمعنا ، فنادى

---

(١) نفحات : ٢٣٨ — ٢٣٩

فجأة بائعا جوالا ، كان يبيع الحبة الخضراء الطازجة ، فنادى أبو عمرو البائع ، و قال له : كيف تبيع ؟ فقال الخمسة أرطال بدانق . فالتفت إلى وقال : أتستطيع أن تحصل على دانق حتى ندفع ثمن هذه الخضرة ؟ فنهضت ، وطفت بالسوق كله ، ولم يتعطف على أحد قط بدانق ، فعدت وقلت : طوّفت كثيرا ، والتمست ، ولم يعطنى أحد ، فاعتذر أبو عمرو للبائع كثيرا ، وصرفه والتفت إلى وقال : لهذا السبب هرب أبو محرز من الدنيا فى آخر عمره .

(ص ١٤٤)

فصـــل (١٧)

قال الشيخ كلما كان هشام بن عبدان يؤدى الصلاة كان يستغرق فى عالم الملكوت ، وتنتفى عنه أوصاف البشرية ، ويدور فى المحراب ، وكان اليهود والنصارى يتفرجون عليه ويتسلون برؤيته حين كان يقوم للصلاة[1]

فصـــل (١٨)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كان لهشام شاة ، فكان يأكل من لبنها ، ويقنع بذلك .

وذات ليلة نام هشام ، فذهبت إلى مزرعة أحد الناس وأخذت ترعى ، فنهض هشام من النوم ، ورأى شاته تأكل من زراعة آخر ، فأمسك بالشاة ، وحملها إلى صاحب المزرعة وأعطاه إياها وقال : هذه الشاة أكلت زراعتك ، وصارت حراما على ، فمالك حرام على .

---

(١) نفحات : ٢٣٩

فقال صاحب المزرعة : خذ شاتك واذهب بها فليس بى حاجة إليها ، وقد حللت لك ماأكلت ، فلم يقبل هشام وترك الشاة فى مكانها ومضى[1]

(ص ١٤٥)

فصـــل (١٩)

قال الشيخ : حضرنا مع هشام وليمة ، فأحضر صاحب الوليمة طبقاً من الحلوى ، ووضعه أمام هشام ، وقال له : كل . فأشرنا إليه أن اعطنا نصيبا من هذه الحلوى ، فقال : لقد أعطانى صاحب الحلوى الإذن بالأكل ، ولم يعطنى الإذن بالعطية ، فأخذ الحاضرون يتخطفون منه الحلوى مازحين ويأكلونها[2]

فصـــل (٢٠)

روى الشيخ : ذهب هشام ، مع جماعة من أصحابه إلى طاحونة محمد بن الليث المائية للنزهة ، فأكلوا ما كان معهم ، ثم اشتغلوا بمناقشة علمية موضوعها : من الذى أتى بالماء إلى هذه الطاحونة ؟ واتفق الجميع أن محمد بن الليث أخا عمرو بن الليث هو الذى جاء به ، وحين سمع هشام ذلك ، وضع إصبعه فى حلقه ، وتقيأً ما كان قد أكل ، ولم يغسل فمه بذلك الماء ، وأسرع إلى المدينة وأخذ ماء فغسل به فمه .

---

(١) نفحات : ٢٣٩

(٢) نفحات : ٢٣٩

(ص ١٤٦)

فصـــل (٢١)

قال الشيخ : كان هشام يطالع الزبور دائما ، فداخلته دهشة وحيرة ، ولم يتم بالصلاة طوال عام ، ووصل خبر حالته هذه إلى المشايخ ، فنهضوا معا ، وأتوا هشاما . وكان ابن سعدان المحدِّث معهم ، فقال لهشام : لم لا تصلى؟ فأجاب هشام : لقد عرضت لى بعض العوارض فمنعتنى من الصلاة ، فقال ابن سعدان : وضح لنا هذه العوارض ، فصمت هشام ، ولم يجب .

وذات يوم سئل الشيخ أبو عبد الله : ما الذى حدث من موانع فكان لا يصلى ؟ قال : لقد كان يشرف دائماً على عالم الغيب ، حتى غلبت عليه الأمور الغيبية ، بحيث رأى الأعمال الظاهرية فى حالة قهر ، فلا جرم أن ظل فى مقام الحيرة[1] .

فصـــل (٢٢)

قال الشيخ : اجتمع المشايخ ذات يوم ، وأحضروا هشاما ، وقالوا له : سمعنا أنك تقول بالمشاهدة ، وتظهر من نفسك أنك (ص ١٤٧) قد اطلعت على كل ما فى عالم الملكوت ، ورأيته رأى العين ، وهذا كلام تلزم التوبة منه . فقال هشام : تبت عن هذا . وفى صباح اليوم التالى بينما كان المشايخ يجلسون فى المسجد أتى وقال : لقد تبت عن توبة الأمس ، فقام الجمع وجروه من رجليه ، وأخرجوه من المسجد[2]

---

(١) نفحات : ٢٣٩ - ٢٤٠

(٢) نفحات : ٢٤٠

(ص ١٩٢)

فصـــل (٢٣)

قال الشيخ : كان لأبي حفص دارا امتلأ مرحاضها بالنجاسة ، فجمع المريدون بعض الدراهم ، وأرادوا إعطاءها لكناس حتى ينظفه . فقال أبو حفص : لقد ملأنا نحن المرحاض وليس من المروءة أن ينظفه آخر . ثم حمل قدرا مكسورا وأخذ ينظف المرحاض بيديه ، فشاركه المريدون ، وحمل كل منهم قدرا ، وأخذوا ينظفون المرحاض

وفي أثناء ذلك جاء أبو محرز صاحب ذي النون المصري ، فقال المريدون لأبي حفص : لقد قصدك أبو محرز من شيراز ، فاترك هذا الأمر لنا الآن ، واذهب واغتسل ، وارتد ثوبك فقال أبو حفص : (ص ١٤٨) : إذا كان هو أبو محرز الذي سمعت صفته ، فلا خشية من أن يراني على أي صفة وبأي لباس ، وإذا لم يكن كما سمعت فلا أريد أن أراه في دنيا أو في آخرة . فدخل أبو محرز ، وحينما رأى أبا حفص ومريديه في ذلك الأمر خلع رداءه وشاركهم ، وحينما انتهيا واغتسلا ، تبادلا السلام (١) .

فصـــل (٢٤)

روى الشيخ عن أبي محرز أنه قال : خرجت من نيسابور قاصدا شيراز ، واتفق أن صحبني قائد من قواد الحاكم ، وكنت أرى

---

(١) نفحات : ٢٤٠ - ٢٤١ . المترجم : وقد ذكر أنها نسبت في (مقامات أبي عبد الله بن خفيف) ولعله يقصد السيرة إلى أبي محرز بينما نسبت في موضع آخر إلى أبي مزاحم ووردت الحكاية عند الأنصاري ص ١٠٠ نسبة إلى أبي مزاحم (المتوفى ٣٤٥) والذي ذكره ابن خفيف في كتابه (أسا شيوخ فارس) .

أحواله ليست على الجادة ، وأردت أن أفارقه ، وفجأة صاحوا من القافلة تماما فقد حزام من هذا القائد ، وأخذوا يقبضون على رجال القافلة ويجعلونهم يقسمون ، كما أخذوا يفتشون كل شخص ،

وحينما وصلت نوبتى قال القائد : أنا لا أشك فيه ، ولكن مادام الأمر قد صدر منى ففتشوه هو الآخر ، فجاءوا وفتشونى . (١٤٩) ووجدوا الحزام فى منطقتى ، فقالوا كيف حدث هذا ، فقلت : لاعلم لى بذلك ، قالوا : هذا الكلام الذى تقوله شديد الغرابة ، ثم أخذوا يتداولون كيف يعاقبوننى ، ثم اتفقوا على أن يضعونى على رأس الطريق ويمر المسافرون واحدا واحدا ويوجه كل واحد إلىّ اللوم بالطريقة والعبارة التى تحلوله ، وهكذا فعلوا[1] .

فصـــل (٢٥)

روى الشيخ عن جعفر الحذاء أنه قال : ذهبت إلى اصطخر لزيارة عبد الرحيم الاصطخرى ، وحينما وصلت إلى داره ، وجدت دارا خربة ، ورأيت عبد الرحيم قد ارتدى ثوباخلقاجدا ، وجلس فى زاوية المنزل ، فوقعت لى حيرة من أعماله فقال عبد الرحيم : لم تحيرت ؟ قلت : لقد تعجبت من ضعفك ، وحينما (ص ١٥٠) سمع هذا الكلام منى ، قام من حيث كان قد جلس ، وانحنى فرفع حجرا ضخما كان ملقى هناك . وحمله إلى السطح ، والتفت

---

(١) نفحات : ٢٤٠ .

إلىّ وقال : ياقوىّ الحال . تعال وارفع هذا الحجر . وأنزله حيث كان ، لنر ، فوقع لى العجب من ذلك الأمر . ثم قال : منذ سبعة عشر يوما لم أتناول طعاما ، فانهض الآن . واحضر ماتستطيع حتى آكل لقمة . قال جعفر : فنهضت . وذهبت إلى السوق ، وأحضرت صنفا أو صنفين من مأكولات السوق . فقال اجلس الآن وشاركنى . فجلست أنا أيضا وأكلت معه إكراما له . وكان من ضمن الطعام شمامة . فقال : أعطنى قطعة من هذه الشمامة ، فأعطيته قطعة فوضعها فى فمه . وأراد أن يبتلعها فلم يستطع فألقى بها وقال : لقد أغلقت على نفسى أبواب الهوى ، والآن لم يبق إلا باب واحد ، هو باب محبة الله تعالى . فلا جرم ألا طاقة لى على ابتلاع شىء آخر[1] (ص١٥١)

فصـــل (٢٦)

قال الشيخ : ورث عبد الرحيم الاصطخرى عشرين ألف درهم ، وكانت هذه الدراهم فى أيدى الناس . فأبرأ ذمتهم من عشرة آلاف . وأخذ العشرة آلاف الأخرى فوضعها فى مخلاة[2] . وصعد ذات ليلة إلى السطح . وأخذ يبعثر فيها بالحفنة . حتى بعثرها جميعا

---

(١) نفحات : ٢٤١- ٢٤٢.

(٢) نفحات ٢٤٢. المترجم : فوقعت له وسوسة أثناء الليل ، فحينا كان يقول : لنتاجر فيها ، وأحيانا يخطر له أن ينفقها على الفقراء ، وحيناً كان يقول : احفظها فى المنزل وأنفقها على معاشى . . وفى أثناء الليل نهض . . . إلى آخره .

وفى اليوم التالى قال جيرانه : الليلة الماضية أمطرت السماء علينا دراهم ، فألقى عبد الرحيم بالمخلاة فسقط منها درهم . فقال للمريدين : طيبوا خاطرا . فقد وصلنا ثمن الخبز والباقلاء . فقال المريدون لبعضهم لعل هذا الرجل مجنون يفرح بنصف درهم . وبالأمس فرط فى عشرة آلاف درهم[1]

فصــل (٢٧)

قال الشيخ : نزل عبد الرحيم بخانقاه فى عبادان ، وكانوا كل ليلة يضعون أمامه طعاما ، ويحملونه فى الصباح التالى . وبقى على حاله ، ومرت إحدى وعشرون يوما على هذا الحال لم (ص ١٥٢) يأكل شيئاً ، وانتشر هذا الخبر بين الناس ، فتقاطروا عليه . وحين رأى عبد الرحيم الأمر على هذا الحال فارق الرباط . وذهب إلى سهل وقال : أنا ضيفك ، فقال سهل : ماذا تريد ؟ قال : سكباجية لطيفة كما أصفها لك ، وذكر بعض الصفات . فقال سهل : إن أصحابنا لايأكلون اللحم ، ولكنهم يعدونه من أجلك ، وأمر فأعدوه على الصفة التى طلبها . فقال عبد الرحيم : أحضروه أمامى بقدره . ففعلوا ، وفجأة أقبل سائل ، فأعطاه القدر كما هو .

وفى اليوم التالى سأله سهل : والآن ماذا تريد ؟ فقال سكباجية على نفس الصفة ، فأمر سهل بإعدادها ، فأعدوها وأتوا بالقدر كما هو أمامه . ووضع سهل رجلا على باب الدار حتى لايضايقه السائلون ، وعلم عبد الرحيم بالفراسة . وقال : ليس من المباح منع السائلين ،

---

(١) نفحات ٢٤٢ .

واستدعى سهل ذلك الرجل ، واتفق أن جاء سائل آخر ، فأعطاه القدر كما هو .

وفى اليوم التالى قال سهل : ماذا تريد ؟ قال سكباجية أيضا ، فأمر سهل حتى طبخوها ، وقبل أن يحملوا القدر إليه ، خرج وتوجه إلى شيراز ، وحينما اقترب من المدينة (ص ١٥٣) كان قد مر عليه ثلاثون يوما لم يأكل خلالها شيئا رأى درويشا قد جلس على حافة جدول ، ووضع أمامه بعض قطع الخبز الجاف ، وأخذ يغمسها فى الماء ويأكلها ، فقال لعبد الرحيم : الصلاح فتقدم عبد الرحيم إليه ؛ وشارك ذلك الدرويش فى أكل الخبز الجاف[1] .

فصـــل (٢٨)

قال الشيخ : كان لعبد الرحيم زى الفتيان ، وكان يذهب دائما للصيد .

وسئل الشيخ : لماذا اختار عبد الرحيم هذا الزى ؟

قال : يتخفف من ثقل ما عليه[2] .

فصـــل (٢٩)

قال الشيخ : حينما ذهب مؤمل الجصاص إلى مكة . قصد بادىء الأمر أبا الحسن المزين ، وقال : أنا رجل أمى ، وأرجو حين

---

(١) نفحات : ٢٤٢ .

(٢) نفحات : ٢٤١ ، أنصارى : ٤٥٦ شد : ٥١ . المترجم وكانت عنده حمائم وسئل الشيخ الكبير عن أحواله فقال : كان يتسلى بهذه الحمائم عن ثقل كان به .

أسأل سؤالا أن تجيبنى عليه بأسهل عبارة ، فقال أبو الحسن سمعا وطاعة ، ثم سأل مؤمل : كما يكون لصاحب الوجد من ترق دائم أيكون للآخرين نفس المقام أم لا ؟

قال مؤمل : (ص ١٥٤) حين سألت هذا السؤال نظر إ وقال : من أين أنت ؟ قلت : من شيراز . قال : ما اسمك وكنيتك ؟ قلت : مؤمل الجصاص ، قال : ليس مكانك هذا الذى جلست ، وأجلسنى بجواره .

وبعد ذلك كان كلما سئل عن مسألة قال : سلوا هذا الشيخ وأشار إلى[1] :

فصــل (٣٠)

قال الشيخ : كتب مؤمل إلى الجنيد خطابا قال له فيه : أخبرنى عن طريقة قوم ردوا عما سوى الله ، فامتثلوا لأوامره ونواهيه ، ثم حدثت لهم أحوال من علم الغيب حتى وصلوا إلى مقام المشاهدة . وحينما وجدوا هذا المقام ارتاحوا . . . . . .

فصــل (٣١)

قال الشيخ : أخذ مؤمل يصف عمر بن شلويه فى مجلس الجودى ، ويقول : هو هائم فى مقام الوجد ، ومضطرب الوجود فى السكر ، بحيث إنه لا يأكل طعاما ، ولا يتناول شرابا فقال

---

(١) نفحات : ٢٤٣ قال مؤمل : هل ترتقى الهموم ارتقاء المواجيد ؟ المترجم : وكان يقول لى : أنت رجل أعجمى أمى .

الجعدى : منذ أن فارقت أبا تراب لم ألق أحدا بهذه المرتبة (ص ١٥٥)

واتفق أن حضرنا وليمة مع عمر بن شلويه ، ووضع على المائدة حمل مشوى ، فمد عمر بن شلويه يده ، وقطع قطعة . وأخذها فأكلها . قال الجعدى حين رأى هذا الأمر يقول : منذ أربعين سنة وأنا اشتهى هذا ولم آكله ، فقال عمر لمؤمل : ماذا حدث ؟ فقال : يقول منذ أربعين سنة وأنا اشتهيها ولم أبحها لنفسى ، والآن تابعت أنت الهوى ، وابحتها لنفسك . والغرامة تلزم الأكول[1]

فصـــل (٣٢)

يقول الشيخ رحمة الله عليه : ذهبت فى أوان ابتدائى إلى مكة ، وكان مؤمل قد أوصانى : حينما تذهب إلى الموقف اذهب إلى ماوراء الجبل ، فهناك مقام الأولياء .

وحينما وصلت الموقف ، تركت القافلة وذهبت إلى الجبل، ولما قطعت جزءًا من الطريق وقع لى خوف فأردت أن أعود ، فتغلبت إرادتى . وقطعت جانبا آخر من الطريق ، حتى وصلت إلى الجبل . فرأيت عشرة أشخاص جالسين . وقد طأطأوا رءوسهم ، وكان بينهم شيخ كبير ، ورأيت الشيخ أبا بكر العتايدى وجماعة من الأولياء .

وحينما رأونى أشاروا إلى شيخى فذهبت إليه ، (ص ١٥٦) فوقرنى وأجلسنى أمامه ، وحين عزمت القافلة على المسير ، تحركوا

---

(١) فى النص الفارسى : أكون غرامت لازمست : ولعلها أكول ولا معنى لأكون هنا .

هم أيضا من أماكنهم ، وأخذوا يسيرون بسكون ووقار ، وأشاروا إلى شيخى قائلين : حافظ على هذا الغلام . فأخذت أسير بين شيخى وهذا الشيخ الكبير ، وكانوا يزمزمون ولم أسمع أكثر من حرف السين . وخطر لى أنهم ربما يستغفرون ، وحينما وصلنا إلى المزدلفة ، قال لى الشيخ : ادع الصحاب فذهبت فى طلبهم ، وكانوا قد ذهبوا إلى المشعر الحرام . فذهبت لقضاء حاجة وحينما عدت : رأيتهم قائمين بالصلاة ، وظلوا يصلون حتى الصباح ، وحينما تحركوا من المشعر الحرام لم أرهم ثانية[1] :

فصـــل (٣٣)

قال الشيخ : جرى بين عمر بن شلويه وأحدهم تبادل بعض الحكايات فقال عمر : أنا أعرف رجلا اتخذ له مقاما فى قلة جبل ، وحان وقت الصلاة ، وأراد أن يتوضأ ، وكان الماء فى الجبل فى مواجهة هذا الجبل وبتأثير همة هذا الرجل اقترب الجبلان ، بحيث خطا من هذا الجبل إلى ذاك وتوضأ[2]

فصـــل (٣٤)

قال الشيخ : جاء قوّال إلى شيراز ، وجهه شديد الوسامة ، وصوته فى غاية الجمال ، فأخذ المريدون يذهبون إليه ، ويستمعون له دون علم لى ، وحدث أن علمت ولكنى كنت أتغافل ، فجاءنى رجل ذات يوم وقال : لقد دهم الأشنانى وجد ، وسقط من على

---

(١) نفحات : ٢٤٤

[illegible]

السطح ، ومات . فنهضت وذهبت فرأيت الأشنانى ساقطا فى صحن الدار ميتا ، فقلت : إيتونى بذلك القوال ، وحين أتى قلت له : قل تلك الأبيات التى كنت تقولها : حتى أسمعها وقالها ، وكانا هذين البيتين :

دنف يموت بدائه[1] والموت دون بلائه
إن عاش عاش منغصا أو مات مات بدائه

فقال الشيخ : أصمت ، كفاك أن قتلت واحدا[2] (ص ١٥٨) .

فصل (٣٥)

فقال الشيخ : لم يفطر أبو بكر الإسكافى ثلاثين سنة ، وجاءه ملك الموت ، وقبض روحه ، فحملوا قطعة من القطن المبلل إلى فمه حتى ينظفوه ، فأمسك بها وألقاها وقال : أريد أن أكون صائما حين أصل إلى حضرة الحق تعالى[3] :

فصل (٣٦)

قال الشيخ : كنت صائما لفترة ، وكنت أواصل ، كما كنت قد اتخذت سكنا من المسجد الجامع ، وكانوا يتركون لى كل ليلة قنديلا مشتعلا :

---

(١) فى البيتين وردت كلمة بدائه : بداية . المترجم .

(٢) أنصارى : ٤٣٦ ، نفحات ١٩٨ . فسير ذلك الصبى ، وقال لا تطف حول هؤلاء اليوم ثانية ، وغاب أبو عبد الله بن خفيف عن نفسه أربعة أيام ، ودفنوا أبا عبد الله الاشنانى ولا علم عند ابن خفيف .

(٣) ٢٤٥ .

واتفق أن كانت ليلة ممطرة ، وجاء رجل فقرع باب المسجد ، فقمت وفتحت الباب ، فرأيت أبا الخير بن بندار ، وكان من بين المشايخ الكبار ، ولم يكن له نظير فى بضعة علوم ، فدخل المسجد وكان معه مئزر معقود ، يحتوى على بضع أصناف من الطعام . وقال كل ، فقد أحضره لى شخص هذه الساعة ، ومن شدة تعلقى بك (ص ١٥٩) لم أستطع أن آكله بدونك .

قال الشيخ : ولم أكن عزمت على أن آكل شيئا ، ولكنه كان رجلا عزيزا لدى جاء فى مثل هذا الوقت ، ومثل هذ المطر ، فاستحييت منه ، وأفطرت .

وحينما انتهينا من الطعام ، شرعنا فى مذاكرة العلم ، فسألته : فى أى حال يكون المرء أصفى عيشا ؟ قال : حين يخالف النفس . فتعجبت من هذا الكلام .

وفى اليوم التالى أعدت هذا المعنى على المشايخ ، فقالوا : نريد أن نسمع هذا الكلام منه ، فتحدثت إليه فى ذلك ، فقال : كلام الليل لايليق أن يردد بالنهار [1] .

فصـــل (٣٧)

قال الشيخ : كان أبو مزاحم أحمد بن منصور من جملة عمال الديوان وكتابه ، وكان سبب توبته أن السلطان ولاه على أمر ، ثم

---

(١) نفحات ٢٣٧ : المترجم : أبو الخير المالكى . . . متى يصفو العيش مع الله تعالى ؟ . . . إذا رفعت المخالفة . . . قال : ما يجرى بالليل لا يذكر بالنهار ولم يقر بذلك . أنصارى : ٤٥٨ . متى يطيب العيش مع الحق ؟ قال : إذا سقط الخلاف .

تغير عليه ، فأمر بأن يضرب على قفاه عدة ضربات ، فتعلل أبو مزاحم بهذا الأمر وقال : من كثرة ماضربونى على قفاى ، ماعدت أرى بعينى . وترك العمل ، وجلس فى زاويه ، (ص ١٦٠) ووصل أمره إلى مرتبة عالية .

ذات يوم أخذ أخو أبى مزاحم يشكو لى قائلا : كل ما كان فى الدار أنفقه أبو مزاحم على الصوفية ، قلت : كلما كان أبو مزاحم يأكل معنا كان يأخذ نصف نصيبه قائلا : إن ابنة أخى جائعة . وبلغ هذا الكلام أبا مزاحم فقال : يا أبا عبد الله لقد بلغونى كلاما حدث منك . قلت : ذلك لأنهم أبلغونى كلاما منك أيضا ، قال : واحدة بواحدة وصمت .

فصـــل (٣٨)

قال الشيخ رحمة الله عليه : قال أبو الضحاك : كنت جالسا على سطح دار ، فرأيت إبليس يسير فى الطريق . فقلت له : إلى أين ياملعون ؟ فأقبل وجلس معى وتحدثت معه . فزاد بكلمة ، فصفعته بحيث سقط من على السطح ، ولم أره ثانية .

وبعد فترة ذهبت إلى مكة ، وحينما كنت آيبا وصلت نهر « خرابا دان » وكان الماءُ كثيرا ، فخفت أن أهلك إذا نزلت النهر ، فرأيت عجوزا ضعيفا يسير وسط النهر ، ويشق الماء ، فقلت لنفسى (ص ١٦١) لست أقل من هذا العجوز ، ووضعت قدمى فى الماء ، وحينما وصلت إلى وسط النهر ، غلبنى الماء وغصت ، ثم أعاننى الله

نعلى ، وخرجت من الماء سالما ، فرأيت ذلك العجوز جالسا على شاطىء نهر فقال لى : هل تبت الآن عن ضربى على قفاى[1]

فصـــل (٣٩)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كتب أبو الحسن المزين كتابا قال فيه : لكم مريد فى البحر ، فاذا نجا ، أتى إليك بالجوهر . وكان يقصد بهذا الكلام أبا محمد الخفاف[2] .

فصـــل (٤٠)

قال الشيخ : حضر أبو محمد الخفاف مجلسا للمشايخ فى شيراز ، وبدأوا ، فى مناقشة مسألة المشاهدة ،وأخذ كل يتحدث على قدر مقامه وأبو محمد صامت . وكان مؤمل الجصاص حاضرا فقال له : قل أنت شيئاً أيضاً ، فقال أبو محمد : لقد أتم المشايخ الكلام ، ووضحوا ما أشكل فيه ، فقال مؤمل : ولكننا نريد أن نسمع منك بيانا فى هذه المسألة . (ص ١٦٢) فأجاب أبو محمد : أن ماقلتموه هو حدود حقيقة العلم ، والرأى أن هناك مقاما آخر ، يصل فيه المرء إلى درجة ترتفع فيها الحجب أمامه ، وتزيل كل الحجب النفسية والجسدية عن باطنه ، بحيث يرى الحق جل جلاله رأى العين . وقلت : وهل حدث لك ذلك ؟[3] قال أبو محمد : بلى ، كنت فى

---

(١) فى النص الفارسى : قضا بر من نزنى ؟ ولعل قضى هى قفا ولا تحتمل أكثر من ذلك . أنظر نفحات : ٢٤٥ . (٢) انظر نفحات : ٢٤٥.

(٣) فى النص الأصلى بياض : فلا توجد كلمة يرى ولكنى رأيتها لازمة قبل «برأى العين » والسؤال « وهل حدث لك ذلك ؟ » من عند المترجم لأن أبا محمد يقص مايثبت رأيه بعد ذلك بادئا بقوله : نعم .

بادية تبوك وكنت أتجشم رياضات ومجاهدات كثيرة بعد أن حرمت نفسى من لذات الدنيا وشهواتها ، وذات يوم داخلنى وقت طيب ، فأخذت أناجى الله ، وفجأة رفعت الحجب من أمام عينى ؛ ورأيت الحق – تعالى عن الجلوس والقعود وصفات المخلوقات – مستوياً على العرش ، فسجدت وقلت : الّهى وسيدى ومولاى ، ليس هذا مقامى ، ولست مستحقاً لهذه المرتبة[1] .

وحين سمع المشايخ هذا الكلام ، سكتوا فى الظاهر ، ولكنهم كانوا ينكرون عليه فى الباطن ، فقال مؤمل لأبى محمد : انهض حتى تذهب لزيارة أحد المشايخ ، وأخذ يده وذهب إلىدار ابن سعدان المحدث ، فقال مؤمل لابن سعدان : اورلنا الحديث الذى ورد فيه العرش حتى نسمعه ونعتبر منه ، فقال ابن سعدان : قال المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله : إن للشيطان عرشا بين السماء والأرض ، وإذا أراد الله أن يفتن عبدًا ، أظهر له ذلك العرش ، (ص١٦٣) ، حتى يغترّ بذلك ، ويظن أن ما حدث له مقام[2]

وحينما سمع أبومحمد هذا الحديث قال له : أعد ماقلت ، فأعاده ابن سعدان ، فطاب وقت أبى محمد ، وأجهش بالبكاء . قال مؤمل : ثم نهض أبو محمد ، وغاب عنا بضعة أيام ، وبعد فترة رأيته فقلت

---

(١) مولاى ما هذا مكانى وموضعى منك : نفحات ٢٤٦ المترجم .

(٢) المترجم : الحديث بالعربية فى النفحات : « إن للشيطان عرشا بين السماء والأرض إذا اراد بعبد فتنة كشف له عنه » (ص٢٤٦) » ولعله من الحديث : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة . الجامع الصغير ٧٥٩١.

ه : لم نرك لفترة ، قال : كنت أقضى مافاتنى من صلوات فقد تيقنت أنى كنت أعبد الشيطان ردحاً من الزمن ، وعزمت على أن أذهب إلى ذلك الموضع ، الذى كنت قد سجدت فيه ، وفى مقابل الصدق والإخلاص الذى قمت له به بهذه السجدة ، ألعنه عدة مرات . وقال هذا الكلام وغاب عنا ولم نسمع عنه خبرا بعد ذلك .

فصـــل (٤١)

قال الشيخ : جاءنا الخراز [١] صاحب حسن بن حمويه من اصطخر وقال ابن زيدان : أريد أن تحضره إلينا الليلة ، فأحضرته ، وأعدوا طعاما ، وأكل كل منا لقمة ، وحين فرغنا من الطعام ، أخذنا نتذاكر العلم ، قال ابن زيدان : أريد أن تقص علينا شيئاً من الوقائع التى مرت بك ، والمقامات التى وصلت إليها ، فأجاب الخراز :
لم يكن لى نفسى مقام ، ولكنى أقص شيئا من مقامات المشايخ .
قلنا : قل إذن . (ص ١٦٤) .

قال : كنا جالسين عند حسن بن حمويه ، وعلى عادتنا كنا قد أطرقنا برؤوسنا ،ويسمى الصوفية هذا بالمراقبة ، وفجأة رفع صوته ، واختفى من أمامنا ، فقلنا لرفاقنا : إن اخفاء هذا الأمر من المهمات ، ولا يجب إفشاؤه ، وأقمنا فى ذلك الموضع ثلاثة أيام ، ولم يتحدث مخلوق قط عن هذا الأمر ، وكلما سألنا أحد ، أجبنا بأنه مشغول بنفسه . وبعد هذه الأيام الثلاثة رأيناه يدخل المسجد ، وقد تغير حاله ، ولم نستطع الحديث معه من وقاره ومهابته .

---

(١) فى النفحات : الخراز : ص٢٤٦ . المترجم .

قال الشيخ أبو عبد الله [1] : وكنت من ضمن مريديه ورفاقه أكثر جرأة عليه . كما كنت أعلم أنه يميل إلى الجبن الطرى ، [2] قلت : أتأذن لى أن أحضر بعض الجبن الطرى ؟

قال : ليكن . فحملت إليه بعضه ، فأكل لقمة . وأشار للمريدين إلى الباقى أن يأكلوه .

فأشار ابن زيدان إلى قائلا : هذا رجل صادق . وقال مؤمل : هذه حالة غريبة جدا ، وفى الإمكان أن يصل إليها المرء .

وقلت لابن زيدان : أعد الفراش ، فالشيخ قد بقى . وبعد ساعة يصير إلى النوم ويريح جسده ، وحينما بسطوا الفرش ، جلس وأخذ يتحدث والتفت إلى قائلا لقد وجدنا الأنس والراحة بوجودك (ص ١٦٥) وسئل الشيخ ابن خفيف : أى حال كان ذاك ؟ فأجاب : أنه لم يغب عنا ، ولكنه أبعد عن مقام البشرية ، وحجز بصرنا عن رؤيته . [3] .

فصـــل (٤٢)

روى الشيخ عبد الله القصار : حين عزمت على السفر إلى مكة ، أوصانى المشايخ بشيراز قائلين : حينما تلتقى بسهل أبلغه منا السلام ، وقل له : نحن معترفون بكمالك ، ومقرون

---

(١) المفروض أن الراوى هنا هو الخراز .

(٢) فى النص الفارسى بينرتر وصحتها بنير تر . المترجم .

(٣) انظر النفحات : ص٢٤٧ .

بسبتك وإمامتك ، وقد بلغنا أنك وأنت فى هذا
الموضع الذى جلست فيه ، تصير حاضرا يوم عرفة فى الموقف .
فإذا كان هذا الكلام صدقا فأبلغنا كيف يكون حتى نؤمن بذلك .

قال عبد الله القصار : حينما وصلت إلى سهل ، كان قد
زين نفسه ، ووضع رداءه على كتفيه ، ونعلين من الخشب أمامه
وقد أطلت عيناه من محجريهما كأنهما أذنان[1] ، ومن
شدة وقاره ومهابته لم أجد مجالا للحديث معه .

وأثناء ذلك دخلت امرأة عجوز وقالت : إن لى ابنا مفلوجا ،
وقد أحضرته إليك ، حتى تدعو الله فيشفيه . قال سهل :
لِمَ لَمْ تحمليه إلى حضرة الله تعالى ، فقالت المرأة العجوز : إنك
من المقربين إلى حضرة الله . والبارى تعالى لا يردّ لك دعاءً ، فأشار
إلى سهل ، فحملته وأخذته إلى الشاطىء ، وحينئذاك أشار
إلى الطفل قائلا : اذهب وتوضأ وصل ركعتين . وحين فعل
قال سهل : خذه واحمله إلى بيته (ص ١٦٦) .

يقول عبد الله : وحينما رأيت فيه علامات البسط ،
أبلغته سلام المشايخ ، وأديت رسالتهم ، قال سهل : أيؤمنون
بإن الله تعالى قادر على أن يفعل مايشاء ؟ قلت : نعم ، قال ماداموا
مقرين بهذا ، فأى حاجة إلى ذلك الكلام ، وأى حاجة إلى
ذلك السؤال ؟[2]

---

(١) فى النفحات كأنه حائر مندهش : ص ٢٤٧ المترجم .

(٢) نفحات ص٢٤٨ : هؤلاء القوم يؤمنون بالله يفعل ما يشاء ، قلت : نعم
قال : فما سؤالهم عن ذلك .

فصـــل (٤٣)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كان أبوالفياض يصلى فى اليوم ألف ركعة . وبعد ذلك ظهر فيه ضعف . وذات يوم أقبل إلى الشيخ ، وبصحبته جماعة من المريدين . قال : أريد أن أسمع منك وصفا للدراويش الصادقين ، وأن تحدثنى بشىء عن سيرهم وسلوكهم . فأخذ الشيخ فى الحديث ، وأخذ يشرح فى أحوالهم وصفاتهم ، فغلب البكاء أبا الفياض ، وبكى كثيرا وقال : إنك تصف قوما لا أرى فى باطنى صفة واحدة من صفاتهم ، ومنذ خمسين سنة وأنا أضيع من عمرى ، والآن احذروا على أنفسكم ، فإنكم تبكون على شخص ضيع من عمره خمسين سنة ، وكان يتحدث بهذا الكلام ويبكى ، حتى أبكى جميع الحاضرين ، وانتقل إلى جوار ربه بعد أسبوع .

يقول أبو الحسن على بن محمد : سمعت من جماعة من المشايخ أن أطيب الأوقات حينما كان يحضر أبو الفياض ويسأل الشيخ ويشرع الشيخ فى إجابته ، وقال : سمعت من أبى الفياض أنه قال : سألت الشيخ عن ألف مسألة وسمعت منه الجواب ارتجالا . ولم أر من المشايخ من هو ماهر مثله فى الإجابة على الأسئلة .

(ص ١٦٧)

الباب الثامن

فى ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا يمرون بشيراز وقد أغتنم الشيخ صحبتهم ، وفى هذا الباب يذكر فصل لكل شيخ على عددهم

فصـــل (١)

روى الشيخ : جاءَ أَبو طالب الخزرجى صاحب الجنيد إلى شيراز وكان مريضا بعلة البطن ، فتشاور جماعة : أَيُّنا يقوم بخدمته ؟ قلت أنا أَفعل ، وكان يقوم كل ليلة ست عشرة مرة ، أَو سبع عشرة مرة ، فكنت أَضع له الطست ، ثم أَحمله ، وفى النهار التالى تقبض بطنه ، ثم يعاوده الأَلم أَثناءَ الليل .

وذات ليلة غلبنى النوم ، فاستغرقت فيه ، فنادى مرة ، وكنت نائما ، فصحوت على ندائه ونهضت وأَحضرت الطست ، ووضعته أَمامه فقال : يابنى : إذا كنت لاتقدر على خدمة مخلوق ، فكيف تقدر على خدمة الخالق [(١)] (ص ١٦٨)

---

(١) III b, ub 3216 وكان أبو عبد الله بن خفيف يحكى أن شيخى أبا طالب الجريلى مرض بعلة البطن فامتد أسبوعين . . . ، سلمى : ٤٦٤ قدم علينا بعض أصحابنا وكان به علة البطن فكنت أخدمه ، ، وآخذ منه الطست طول الليل ، فغفوت مرة فقال لى نمت لعنك الله فقيل له : كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله ، قال : كقول رحمك الله ، شذرات ٣-١٧٦ ، أنصارى ٤٦٥عن أبى طالب الخزرجى ، السبكى ٢ — ١٥٣ (هنا ١٥١) .. بعض أصحابنا ، تذكرة ٢-١٣٠ وصل مسافر ، نفحات : ٢٤٨-٢٤٩ الروايتان .

فصـــل (٢)

روى الشيخ : أول مرة صحبت فيها أبا طالب ولحقت به كان يرتدى مرقعة ، ويحمل فى يده عصا ، فأتى وجلس أمامنا ، ونظر إلى الجماعة وقال : ماذا أقول ؟ مذنب جلس بين مذنبين . وكان يقول هذا الكلام ويبكى . وأخذ الجميع ينظرون إليه ويستمعون إلى كلامه ويبكون . وكانوا يقولون بقبوله ، ويعتقدون فيه إلى درجة أنهم كانوا يأخذوا تراب قدمه ، ويداوون به المرضى ، ويطلبون الشفاء بذلك .

وبعد ذلك حدث أن تركوه ذات ليلة والتفتوا عنه ، فذهب إلى أصفهان ، فأظهرت أمره لعلى بن سهل ، وقلت : شخص من صفاته كذا يصل إلى تلك الناحية ، فينبغى أن تعد احترامه واجبا ، وأن تجعله غنيمة أيامك .

وحينما وصل أبو طالب إلى أصفهان لم ينزل عند على بن سهل ، بل ذهب إلى جبل ومكث فيه ، ثم قصد همذان ، وكان أبو على الوارجى واليا عليها ، فقال لأبى طالب : ماحاجتك ؟ قال أبو طالب : لقد قضى الله ما كان علىّ من ديون وتجاوز عنها . قال : إذا كانت لك حاجة أخرى فقلها ، قال : (ص ١٦٩) أقم رباطا من أجلى ، فأقام أبو على رباطا من أجله وجعله سيد القوم . فمكث فى هذا الرباط حتى مات [١]

---

(١) ذكرت رواية هنا فى هامش النص الفارسى عن حكاية لا صلة لها بالنص على الاطلاق ، ولم تذكر اسم أبى طالب أو شيئا عنه ، فأسقطتها ، المترجم وانظر النفحات : ص ٠ ٥ ٣

فصــــل (٣)

روى الشيخ عن أبي القاسم أنه قال : سمعت من محمد بن إسحق بن خزيم الإسكندراني قال : حينما مات الإمام أحمد بن حنبل . شتد حزني عليه وقلت هذه الساعة يطل أهل الأهواء والبدع برؤسهم ، وتكون الغلبة لهم ، وكان ذلك ليلاً ، وظللت أتفكّر في هذا حتى منتصف الليل ، ونمت وأنا أفكر فيه . ورأيت الإمام أحمد ، وقد انتعل نعلا ذهبيا ، وأخذ يسير ويتبختر ، قلت : هذا التبختر صفة من ؟ فقال : هو سلوك الخُدَّام في دار السلام ، قلت : ماذا فعل الله بك ؟ (ص ١٧٠) قال : غفرلى ، ووضع تاجا على رأسى . وخفين ذهبيين فى قدمى ، وقال : لقد وجدت هذه الدرجة بقولك : إن القرآن كلامى القديم غير المخلوق

فصــــل (٤)

روى الشيخ : جاء عبد العزيز البحرانى إلى شيراز . فى وقت كانت البرودة فيه على أشدها ، وكان قد ارتدى رداءً خلقا ، وكلما فتح الله عليه بشيء كان ينفقه على الدراويش ، وأقام ثلاثة أيام .

وحينذاك قالوا له : إن البرودة شديدة ، فينبغى أن تلبس ثوبا . قال : نفسى تطلب الابتعاد عن ثيابكم . والتفت إلى قائلا : ياأبا عبد الله أخرجنى من هـــذه المدينة ، فليس لدى عزم على ارتداء ثوب فيها ، قلت : أى مكان تختار ؟ قال : شاطىء البحر،فسرت معه حتى غادرنا بوابة « كوار »فرأيت أبا الخير المالكى ، (ص ١٧١) قد ركب بعيرا ، وأخذ يسوقه سوقا حثيثا . ويسير

فى أثرنا ، وينادى علينا وكان معه شيء من الطعام ، فوقفنا حتى لحق بنا ، قال : معى طعام فتفضلوا وكلوا لقمة ، فجلسنا وأكلنا معه .

وحينما فرغنا نهض البحرانى وألقى بالسجادة على كتفيه ، فقال أبو الخير : ما يكون لو حملت شيئا من هذا الطعام ؟ قال : إن المطبخ أمامى ، فقال أبو الخير : إذن فأين أحمل هذا الطعام المتبقى ؟ فقال اتركه هنا حتى تأكلة الكلاب ، ووضع السجادة على كتفه ، واتجه إلى شيراز [1] .

فصـــل (٥)

روى الشيخ رحمة الله عليه : جاء أبو بكر أحمد بن محمد ابن سعدان من بغداد إلى شيراز ، وقد فوض إليه الحكم فى شيراز ، وكان من أصحاب الجنيد ، فذهبت مع المشايخ لزيارته وكان بمحضره جمع من المشايخ ، كما كان قد ارتدى بردة يمنية ، فجاء مؤمل الجصاص ووقف وسأله : ما اسمك ؟ فطأطأ ابن سعدان وقال اسمى هو ماتسمينى به ، فقال مؤمل : ومانسبك ؟ (ص ١٧٢) قال : هو ماتزيننى به ، قال : مؤمل : أهنئك أم أعزيك ؟ فبكى ابن سعدان وأبكى الحاضرين ، ثم خرج مؤمل فقال ابن سعدان :ردوه .

قال الشيخ : فقمت مع جماعة وذهبنا فى طلبه ورأيناه يصلى فى المسجد ، فجلسنا حتى أتم صلاته ، وقلنا : ابن سعدان يطلبك قال : قولوا الحق ، أليس منكم من ينكرنى فى باطنه ؟ قلت : هكذا كان

---

(١) نفحات : ٢٥٣

فى أول الأمر ، قال لا آتى حتى تتوبوا عن مخالطة المشايخ بعد ذلك ، فقلنا : تبنا وحينذاك قام ، وجاء معنا ، حتى أتى ابن سعدان ، فأجلسه بجواره ، وأخذ يفاكهه ، وكنا نتردد على ابن سعدان حتى وصلنا كتاب عزله ، فقام ولبس مرقعة ، وحمل ركوة ، وترك قصره وكل ما كان فيه ، ومضى .

فصـــل (٦)

روى الشيخ : كنت جالسا مع رويم يوم العيد فى بغداد ، وحينما صلينا قال : أتعرف ابن سعدان ؟ قلت : بلى ، قال : اذهب وأبلغه منى السلام ، وقل له أن يؤنسنا اليوم ، ويحضر معنا لحظة . فذهبت ورأيت ابن سعدان جلس فى دهليز الدار ، ولم أر فى تلك الدار فراشا إلا قطعة من الحصير المتهرىء كان قد جلس عليها ، (ص ١٧٣) فبلّغت الرسالة فقال : احمل هذه السفرة ، واعطها لذلك البقال الجالس على باب الدار ، وقل له : ضع على هذه السفرة شيئا يوكل وأرسلها ، قلت : إنك لم تجب على رسالة الشيخ قال : أجل ، ولكن أمير المؤمنين عليا يروى حديثا : إن الرسول صلى الله عليه وسلم دعى إلى مأدبة فقال لى : ياعلى قم بنا إلى المنزل أولا ، حتى نأكل كسرة ثم نذهب إلى المأدبة لتحسن مواكلتنا للناس ، فالآن نأكل لقمة ثم نذهب ، فأخذت السفرة وحملتها إلى البقال ، فوضع عليها ثلاثة أرغفة وبعض التوابل ، فأكلنا ثم خرجنا وذهبنا إلى رويم [1]

(١) نفحات : ١٨٦ - ١٨٧ . . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى إلى مأدبة وهى التى تسمونها الوليمة فقال : قم بنا ياعلى إلى البيت نأكل كسرة لتحسن مؤاكلتنا مع الناس . رطائق ٢- ٢١٥ .

فصــــل (٧)

روى الشيخ : أتى شاب من سجستان إلى شيراز ، وكان مريضا ببطنه ، وكان لنا صديق مشغول بالكسب ، له امرأة عجوز صالحة تخدم الفقراء . فحملنا هذا الشاب إلى دارها (ص ١٧٤) وأوصيناهما قائلين لا تبخلا عليه بخدمة تستطيعانها قط . فجاء ذلك الرجل ذات يوم . وكان متغيرا وقال : عظَّم الله أجركم فى الفتى [1] قلت : ما هذا التغير الذى يبدو فى وجهك ؟ قال : الليلة الماضية قال لنا الشاب : اعتنوا بى الليلة فلم يعد فى عمرى غيرها ، فقلت لزوجتى : اسهرى عليه النصف الأول من الليل ، وأنا أسهر عليه النصف الثانى ، ونمت فى أول الليل ، وحينما انتصف الليل أيقظتنى زوجتى ، فأخذت أعتنى به حتى السحر ، وفجأة غلبنى النوم ، فهتف هاتف أتروح فى النوم والحق تعالى نازل بدارك ؟ فاستيقظت وأنا فى غاية الخوف ،ورأيت نورا عظيما فى دارى ،فنظرت إلى ذلك الشاب ، وكان يجود بالنفس الأخير ، (ص ١٧٥) فمددت يديه وقدميه وأغمضت عينيه .

قال الشيخ : فقمت بتجهيزه وقلت لذلك الرجل : لا تتحدث بهذا الأمر مع أحد . ولا تخبر به أى إنسان .

---

(١) شد : ٤٥ : روى الحافظ إسماعيل بن أبى القاسم الهاشمى قال : سمعت الشيخ يقول فى آخر مجلس يتكلم على الكرسى : كان فى الباهلية بشيراز رجل وامرأة . . فلما بلغ الشيخ إلى قوله : أتنام والحق نازل فى دارك زعق واضطرب ووقع من على الكرسى فى حجرى ودموعه تسيل على كفى فلثمت دمعه ، وكان حلوا . ما انتفع الشيخ بعد ذلك قط . نفحات ٢٢٦ .

فصـــل (٨)

قال الشيخ : كان أبو العباس بن سريج القاضى من جملة الأئمة الكبار ، وقد أدرك صحبة الجنيد ، وكان أيضا من بين تلاميذ الحارث المحاسبى ، كما كان له مع كبار المشايخ حق الصحبة ، وكان يجل كلام الصوفية كثيرا ، أما المشايخ فكانوا غير ذوى قيمة لدى علماء شيراز أنفسهم ، كما كانوا يعدونهم من الجهلاء ويحتقرونهم ولايعاملونهم معاملة الند للند ، حتى أتى أبو العباس بن سريج إلى شيراز .

وحينما جاء كان يظهر إجلاله لهذه الطائفة ، وكان يقول دائما فى مجالس العلماء : لقد وصلت إلى ما أنا فيه ببركتهم ، ووجدت ما وجدت من صحبتى لهم (١) . وكانت هذه الطائفة تحترم ابن سريج دائما (ص ١٧٦) كما كان له فى قلوبهم وقع كبير ، وفى باطنهم منزلة عظيمة .

ومما يروى فى ذلك أن عبد العزيز البحرانى ذهب إلى مجلسه وقال : ياسيدى متى يكون الوقت الذى تحفظ فيه الخراف من الهلاك ؟ قال : فى وقت يُعلم أنه وقته ، ثم قال : ياأخى هذا علم شريف ، ينبغى له مجلس خاص . فمتى وجدت عندك نشاطا وفراغا أخبرنى حتى أعد لكم مجلسا خاصا .

---

(١) السبكى ٢ - ٢٨ : عن أبى العباس بن سريج أنه تكلم يوما فأعجب به بعض الحاضرين
[illegible]

فصـــل (٩)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كنت جالسا فى المسجد الجامع مع المشايخ ، وقد شرعوا فى شرح مسألة ، وأنا أنصت إليهم ، فرأيت رجلا قد ارتدى ثوبا حسنا ، وألقى تحته بحشية لطيفة ،[١] وسألنى عن المشايخ شيخا شيخا ، وأخذت أقول له : هذا فلان وذاك فلان ، ثم أنصت إلى المشايخ ثانية ، فنهض ذلك الرجل وجلس[٢] فى زاوية ، فدخل مريدو الجنيد إلى الجامع ، وحينما رأوه قصدوه (ص ١٧٧) وأخذوا يبدون له الاحترام ، وجلسوا إليه ، وحين رأيت هذا الأمر ، علمت أنه رجل ذو شأن ، فذهبت وسلمت عليه .

وسألت مريدى الجنيد : من يكون الرجل ؟ فأجابوا : هو من كبار شيوخ الجنيد ، وله كلام حسن ، فعدت وأخبرت المشايخ ، وذهبنا جميعا إلى منزله ، واستأذنا كثيرا حتى خرج إلينا ، وحمل المشايخ إلى داخل الدار ، فقدم له المشايخ كثيرا من الأعذار قائلين : لم يكن عند الإخوان علم بقدوم الشيخ ، والآن جئنا إليه لنعتذر ، ولنقوم ببعض حقوق الخدمة ، قال : لاضير إذ جئت لهذا الأمر ، ولكى أدرك صحبتكم ، وحينئذ مات أبى وترك لى أختين صغيرتين ، وقد طمع بعض الناس فى مال هاتين اليتيمتين ، فخطر لى أن رعايتهما لازمة على الآن ، ومن الواجب المحافظة على حقوقهما ،

---

(١) فى النص الفارسى جملهه وصحتها جامه . المترجم .

(٢) فى النص الفارسى ينشست وصحتها بنشست . المترجم .

والآن معى بضاعة لهما ، فأنا عازم على الذهاب إلى فسا . وإن شاء الله ألحق بكم قريبا (ص ١٧٨)

فصــل (١٠)

روى الشيخ رحمة الله عليه : فخرجنا من عنده ، وذهبنا إلى جعفر الحذاء ، وروينا له ماحدث ، فاستحسنه وقال : عودوا معى الآن ، فعدنا معه وذهبنا إليه ، ودخل فى نقاش مع جعفر .

وسأله المشايخ أيضا عن بعض المسائل ، قال : لست الآن فى هذا المقام ، ولكن تحدثوا أنتم فكلامكم فى غاية الجودة والكمال . فكان يقوم للكلام بكل حقوقه . ثم قال ذلك الرجل : إن كل من يكون اعتصامه على وجه الأرض بالله ، واعتماده على كرم الحق ولطفه ، ينبغى ألا تعترضه الواردات .

وحينما قال هذه العبارة ، أطلق جعفر صيحة ، وغاب عن وعيه ، وحين أفاق نهضنا وخرجنا . وذهب الرجل أيضا . ثم سمعت بعد ذلك أن هاتين الصبيتين قد وافاهما الأجل ، وورث هو المال ، فخرج منه كله ووزعه ، واتخذ طريق الدراويش (ص ١٧٩)

فصــل (١١)

روى الشيخ رحمة الله عليه كان هناك شخص يسمى أبو الأديان ، [1] وقد أطلقوا عليه هذا الاسم ، لأنه كان يتحدث فى كل دين ، وكان له غلام اسمه أحمد .

---

(١) كنيته أبو الحسن واسمه « على » كما روى الأنصارى (ص ٤١٣) والحكاية عنده حدثت مع يهودى . المترجم .

وروى هذا الغلام : جرت ذات يوم مناقشة بين أبي الأديان ومجوسى ، فقال أبو الأديان : إن النار تعمل بإذن الله تعالى ، وقال المجوسى : بل تعمل بطبعها لا بإذن الله ، وإذا أثبتّ بالتجربة ، أن النار تعمل بأمر الله تعالى أوافقك ، وأومن بدينك ، وأهجر دينى ، فاتفقا على أن يشعلا نارا ويدخل أبو الأديان فيها .

ووصلت هذه الحكاية إلى مسامع الناس ، وانتشرت بينهم ، حتى وصلت إلى الحاكم ، وحضر الناس معه ، وأحضروا حطبا كثيرا ، وأضرموا نارا عظيمة ، وحينما احترقت كلها ، وصارت جمرا ، بسطوها وكان أبو الأديان . قد فرش سجادته وأخذ يصلى ، وحينما سلم ، نهض ، وسار على تلك الجمرات ، وحينما وصل إلى نهايتها (ص ١٨٠) التفت إلى المجوسى ، وقال : أيها المجوسى أيكفيك هذا أم لا فأعود ؟ ! وحينما قال هذا الكلام ، ظهر ألم على وجهه . ثم أسلم المجوسى .

قال أحمد : وحينما جاء الليل ، كنت أدلكه ، فرأيت آكلة قد برزت بأسفل أصابع قدمه ، بحجم التفاحة ، قلت : ماهذا أيها الشيخ ؟ قال : حينما كنت أسير على النار ، كنت غائبا عن نفسى ، وحين وصلت إلى آخرها ، حضرت وقلت هذا الكلام ولو كان هذا الحضور وسط النيران لاحترقت .

فصـــل (١٢)

روى الشيخ رحمة الله عليه : قدم أبو السائب الخطيب إلى شيراز ، وكان فى سالف عهده خطيب بيت المقدس .

وروى : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أن هاتفا يهتف بى : أنقذ تلك المرأة التى غرقت فى البحر . وحينما استيقظت تجاهلت الأمر ، ثم رأيت نفس الحلم للمرة الثانية . وتجاهلته أيضا ، حتى رأيته للمرة الثالثة : وفى اليوم التالى جمعت الغواصين ، إلى بركة بنى إسرائيل ، وقلت لهم :(ص ١٨١) غوصوا فى هذه البحيرة لعلكم ترون شيئا ، فغاصوا مرتين أو ثلاثا ، فلم يجدوا شيئا ، وكان من بينهم واحد أجاد صنعة الغوص ، فغاص وانتشل جثة امرأة غريقة ، فسألت الناس : أتعرفون هذه المرأة فلم يعرفها أحد ، وحينما أتى الليل ، وأردت أن أدفنها ، كانت عندى ثياب إحرامى ، وكنت قد ادخرتها كفنا لى . وكان ثمنها مائة دينار ، فقلت لنفسى : فلأكفننها بها ، فلم تطعنى نفسى وبخلت بها ، فاشتريت ثوبا آخر بمائة درهم ، وكفنتها به ودفنتها .

وكان من عادتى كل صباح أن أودى الصلاة فى جماعة ، وذات يوم صليت الصبح ، وحين أضاء الجو ، رأيت شيئا أبيض كان قد تدلى من أعلى المحراب ، فقلت لأحدهم : انظر

ماذا يكون هذا الشيء؟ فمد ذلك الشخص يده ، وكان ثوبا أبيض وأحضره إلى ، وحينما نظرت إليه ، وجدته ذلك الكفن الذى كفنت به المرأة ، ورأيت فى طرفه رقعة مثبتة مكتوب فيها لقد بخلت بكفنك ، فاسترد هذا الآن ، فهو غير مقبول (ص١٨٢) .

فصــل (١٣)

روى الشيخ رحمة الله عليه : قال لى أبو الحسن الحكيمى[1] ذات يوم : لو أنى زاولت طريقتكم ، لكنت الآن وحيد عصرى ولكنى سرت فى طريق الفقهاء ، فلا جرم أن أمثالى فى الدنيا كثيرون وروى الحكيمى : سألت الجنيد عن حال أحد المشايخ قائلا : أيجوز الاقتداء به ؟ قال : إن وجدت فيه العفة والقوت الحلال يجوز الاقتداءُ به ، وإلا فاتركه (٢) .

فصــل (١٤)

وقال أبو الحسن الحكيمى هذا أيضا : سمعت من الجنيد أنه قال : ذات مرة كنا جماعة جالسين إلى السرى السقطى ، وكنت أصغرهم . قال السرى : قولوا ما الذى يذهب النوم ؟ فأخذ كل شخص يقول شيئا ، فقال أحدهم : الجوع وقال آخر العطش وقال ثالث : كثرة المجاهدة ، حتى وصلت النوبة إلى ، فقال لى السرى (ص ١٨٣) : ماذا تقول يابنى ؟ قلت حينما يكون

---

(١) فى النفحات أبو الحسين . ص ٢٥٣ المترجم .

(٢) نفحات : ٢٥٣ : ٢٥٤ .

نقلب عالما أن الله مطلع على كل نفس يتنفسه ، فإنه لا ينام
فقال : أى بنى لقد أحسنت القول قم وتعال إلى ، فذهبت إليه
وأخذنى معه . ومنذ ذلك الوقت فما بعد وأنا مقدم القوم[1]

فصـــل (١٥)

وقال الحكيمى هذا أيضا : كنت فى بغداد ، وذات يوم خرجت
ن البادية . وكان معى شيء من الطعام ، وطلبت أحدا يشاركنى
فى أكله ، فرأيت شخصا يرتدى مرقعة ، وكنت أعرفه ، ووقعت
ن مجالسته ، وكان نائما تحت هدف موضوع لرماة السهام ،
فتقدمت إليه وأيقظته وقلت له : تفضل وشاركنى ولنأكل لقمة
معا . فقال : لا أريد أن تملأ قربتى ، فإذا كنت تريد شيئا آخر
فمر . قلت : أخرج رأسك من هذا الموقع قال : لاأفعل . فجهدت
كثيرا فلم يقبل . فتركته ومضيت ص (١٨٤) .

فصـــل (١٦)

روى الحكيمى : كان السبب فى توبتى من التجارة . أنه كان
بجوار دكانى دكان يهودى ، وكان هو الآخر يشتغل بالتجارة ،
وذات يوم شتمت أحد الناس ، فقال لى ذلك اليهودى : أيجوز
لك أن تشتم بهذا اللسان الذى تذكر به الله عز وجل ؟!! ، فاندفعت
غاضبا وشتمته هو الآخر . وسخرت منه كثيرا ، فنهض اليهودى
ودخل الدكان وسجد وقال : يارحمن ، يارحمن ، أيليق أن

(١) نفحات : ٢٥٣ . . . قلت : علم القلوب باطلاع الله على كل نفس بما كسبت .

يشتموا باللسان الذى يذكرونك به ، وحين سمعت هذا الكلام داخلنى حزن وندم ، فنهضت فى الحال من الدكان ، وتركت الدنيا والتجارة ، وذهبت لخدمة العلماء والمتصوفة

فصـــل (١٧)

روى الشيخ رحمة الله عليه : كنت قد جلست ذات يوم على ضفة نهر مع أبى الغريب [١] ، الذى كان يعتقد اعتقاد أهل الحلول . وكان ماء النهر شديد الصفاء [٢] . وهو يجرى على الحصى المبعثر ، وحوله العشب والخضرة . قال : يا أباعبد الله أهو ماءُ ذلك الذى يجرى أم شيءٌ آخر؟ قلت : هو ماءُ ذلك الذى يجرى ، فضحك ، ففهمت ماذا يقول فقلت :أسكت لابارك الله فيك. (ص١٨٥)

فصـــل (١٨)

روى إسماعيل الزين : جاء أبو الغريب إلى شيراز وكان شتاءً قارس البرودة ، فأعطاه الشيخ أبو عبد الله غطاءً فذهبت الدراويش إليه ، فأعطاهم الغطاء فباعوه ، واشتروا بثمنه طعاما .

وذهب إليه الشيخ ذات يوم ، ونظر إليه ، فقال له : لا تنظر إلى ، ولا تشغل خاطرك ، فمنذ أن وهبت الدراويش الغطاء عاهدت نفسى ألا أضع على جسدى غطاءً « ما دُمت حيا » .

---

(١) أبو الغريب الأصفهانى : انظر ترجمته فى النفحات ص ١٠٩ .

(٢) فى النص الفارسى ميدريد : ولعلها ميدويد . المترجم .

فصـــل (١٩)

روى الشيخ رحمة الله عليه : حينما قدم أبو الغريب إلى شيراز ، كان يتردد على مسـجد أبى الحسين بن مقدار ، وكان أبو الحسين من زهاد زمانه ، فأتاه أحد جيرانه ذات يوم وقال له : لقد جاء أحدهم ويريد أن يصنع من هذا الموضع ساباطا(١) ومن الأولى أن تمنعه ، فقام أبو الحسين وارتدى ثيابه ، وقام معه مريدوه . وقال أبو الحسين لأبى الغريب : قم معنا أنت أيضا ، فقال أبو الغريب : أقعد يا أبله فليت الله جعل الدنيا كلها ساباطا . (ص ١٨٦) .

فصـــل (٢٠)

قال الشيخ : روى إسماعيل المزين : قدم أبو الغريب إلى شيراز ، ومرض فأوصى : إذا مت فادفنونى فى مقابر اليهود ، قلت ولم ؟ وما مرادك من هذا ؟ قال : دعوت الله مرات قائلا : يا إلهى إذا كنت صادقا فى دعاوى هذه . فلا تمتنى ولا تقبض روحى إلا فى طرسوس ، فإذا مت فى شيراز ، فمعنى ذلك أننى لست على شىء . ثم شفاه الله تعالى . وذهب إلى هناك ومات (٢).

فصـــل (٢١)

روى الشيخ : كان لعمرو بن الليث معلم معتزلى يقول بالقدر ، وكان يعلمه كل آن عدة كلمات عن القدر ، آملا

---

(١) هكذا فى الأصل وهى عربية وتعنى سقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ . أساس البلاغة [illegible]

فى أن يتبعه عمرو بن الليث ، ويعتقد فى مذهبه ، وكان عمرو يعلم غرضه ، كما كان على اعتقاد أهل السنة والجماعة ، فلم يكن يلتفت إلى كلامه

وحدث ذات يوم (ص ١٨٧) أن طلب عمرو صاحب شرطته وقال له : إنى لا أستطيع أن أقيم الحدود كما أريد ، لأننى كلما أمرت بمعاقبة أحد ، أتى جمع من الناس إلى ، وتشفعوا فيه ، والآن وأنت صاحب شرطتى ، أشر لك بإشارة تكون علامة بينى وبينك بحيث إنى كلما أردت معاقبة أحد ، تكون هذه الإشارة بينى وبينك ، فقال : تفضل فقل هذه الإشارة ، فقال عمرو : حينما أضع يدى على جبهتى ، تكون إشارة أن عليك أن تجلد هذا الشخص الذى أودعك إياه خمسين سوطا .

واتفق ذات يوم أن كان معلم عمرو بن الليث جالسا أمامه ، فدخل صاحب الشرطة ، ونهض المعلم وخرج ، واتفق أيضا أن عمرا كان قد نسى الإشارة التى اتفق عليها مع صاحب شرطته ، وكان يعانى صداعا بسيطا ، فوضع يده على رأسه ، فظن صاحب الشرطة أنه يقول له : انهض وامض فاجلد المعلم خمسين سوطا ، فنهض ومضى فى أثر المعلم ، وقبض عليه ، وحمله إلى دار الشرطة وأودعه الجنود ، وأمرهم بضربه خمسين سوطا ، فسحب الجنود المعلم من قدمه . والمعلم يصرخ (ص ١٨٨) ويقول : لاتفعلوا ، وأخبروا عمرا بالأمر ، لقد اشتبه عليكم الأمر بينى وبين آخر .

ومهما أكثر القول ، لم يجد ذلك فتيلا ؛ وجلدوه خمسين سوطا ، وبلغ هذا الخبر مسامع عمرو ؛ فأخذ يحوقل آنا ؛ ويضرب كفا بكف ويضحك ويقول : أى عذر أقدمه للرجل ؟

القصة : بينما كان يفكر فى ذلك ، تذكر مسألة فى اعتقاد المعتزلة ، فقال : أحضروا هذا الرجل حتى أعتذر له ، فحملوه إلى عمرو ؛ فاعتذر له كثيرا ، وأقسم أنه لم يأمر بهذا ، ولكن الله تعالى أراده . ثم قال : يا أستاذ ، لى فى هذه الواقعة سؤال ، فقال المعلم : تفضل فسل ، فقال : لاشك أننى لم أكن أريد منهم أن يضربوك ، وأنت أيضا لم تكن تريد أن تضرب ، ولم يكن الجنود يريدون ضربك ، وفى اعتقادك أن الله تعالى لم يكن يريد لك الضرب ، بل فى اعتقادك أن هذه هى إرادة إبليس ، فهو الذى كان يريد لك أن تضرب .

سبحان الله كيف يصح أن (ص ١٨٩) تتغلب إرادة إبليس على إرادة الله ، وإرادتى ، وإرادتك ، وإرادة صاحب الشرطة والجنود ؟ ! والآن صار معلوما أن مذهبك ومعتقدك خطأ وباطل .

ثم طلب صاحب الشرطة وقال له : خذ معلمى هذا واضربه مائة عصا كاملة ، فهو يستحق ماهو أسوأ من ذلك ، حتى يرجع عن مذهبه واعتقاده هذا ، وإذا لم يرجع أخرجوه من المدينة ، حتى يعلم أن هذا هو مذهب العمياء والضلالة .

فصـــل (٢٢)

روى الشيخ رحمة الله عليه : رأيت أبا بكر العطار (١) صاحب الجنيد ، فأخذ يسألني عن أحوال مشايخ شيراز ، فأخذت أقول له ما علمت قال : كنت ذات مرة فى شيراز ، وكان عندى ثوب أبيض ، كما كنت أقيم فى دار المصاحف ، وأذهب كل يوم إلى المشايخ ، وأستمع إلى حديثهم ، ومر على اثنا عشر يوما لم يدخل جوفى طعام ، فخرجت من شيراز ، ووصلت حتى نوبندجان ، ولم يصادفنى طعام آكله ، ولم يعلم أحوالى قط إلا الله تعالى ، وحينما وصلت إلى ذلك الموضع ، فتح الله تعالى على وأكلت . والله أعلم بالصواب (ص ١٩٠) .

---

(١) لعله أبو بكر العطار الجحنى : انظر نفحات ص١٧٩ ، أنصارى : ص ٣١٦

الباب التاسع
فى شرح الأحلام التى رآها الشيخ
والأحلام التى رآها بشأنه المشايخ الآخرون . وفيه أيضا عدة فصول

فصـــل (١)

روى الشيخ : أتى علىَّ حين من الدهر لم يدخل جوفى طعام عشرة أيام ، فرأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أن جبريل عليه السلام قد نزل وأمسك بى ، وحملنى إلى السماء ، وكل سماء كنت أطويها ، كنت أراها ، وكأنها ماء كثير ، يسقط فى قاعة حجر ، وهكذا ظل يحملنى من سماء إلى سماء ، حتى وصلت إلى السماء السابعة ، فرأيت هناك أرضا كأنها أغصان مجدولة بالذهب ، فأجلسنى جبريل هناك ، وانتحى جانبا ، وأشار إلى قائلا : انظر إلى الأثير ، فنظرت ، ورأيت عرش البارى تعالى ، وعلى يمين العرش ، رأيت رسولنا وإبراهيم الخليل عليهما صلوات الله واقفين ، وقد ارتدى كل منهما ثوبا أبيض ، وعلى يسار العرش رأيت موسى عليه السلام قد ارتدى مئزرين كأنهما برد يمنى ، (ص ١٩١) وكان قد مد إصبعه ، وطأطأ رأسه ، وبقى صامتا . ورأيت موسى على هيئة رجل ذى محاسن طويلة ، قمحى اللون . ورأيت عيسى صلوات الله عليه يروح ويجىء بوجه نضر متهلل أبيض ضارب إلى الحمرة ، وحينما رأيتهم ، غشيتنى هيبة وجلست على ركبتى ، فجاء رسولنا صلوات الله عليه ، وأمسكنى من ساعدى ، وأوقفنى على قدمى،فسقطت ثانية . فأقامنى أيضا

ولم يزد على هذا الحد من روايته ، بل قال : رأيت ما رأيت .

فصـــل (٢)

روى الشيخ : رأيت فيما يرى النائم ، كأنني كنت نائما ، وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام فأيقظني وقال لي . ياأبا عبد الله كل من يسألك طريقا فيه نجاته ، ويرجع عنه ، يعذبه الله تعالى عذابا لايعذبه أحد ، [١] فاستيقظت وأنا أتلو هذه الآية : « فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ منكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاأُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِين » [٢] .

فصـــل (٣)

قال الشيخ : رأيت أبا يزيد البسطامي في النوم جالسا ، وقد ارتدى ثوبا أبيض له كُمَّانِ طويلان ، وكان الملائكة يأتون فيقبِّلون كمي ردائه .

فصـــل (٤)

روى الشيخ رحمة الله عليه : رأيت فيما يرى النائم . أنني كنت جالسا في المسجد الجامع ، وكان أبو القاسم الصفار معي ، فدخل عيسى عليه السلام فسلم علينا ، فنهضت وقلت : ياروح الله ، يقول الله تعالى في قرآنه · إنك كنت تخبر قومك بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم [٣]

---

(١) رسالة : ٢٣٤ : من عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله عذاباً لم يعذب به أحدا من العالمين ، تذكرة ٢-١٢٧ (هنا ١٧) ، الشعراني ١ ١٢٠.

(٢) المائدة ١١٥ وفي النص الفارسي (من) وهو خطأ .

(٣) مصداقا للآية الكريمة « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » آل عمران جـ ٤ المترجم .

فقال لى : ماذا أكل أبوالقاسم الصفار فى بيته ليلة الأمس ، قال : لقد أكل جبنا أبيض ، ولا يزال فى بيته جزء منه ، وفى اليوم التالى جاء أبو القاسم إلىَّ فقلت له : احضر ما تبقى من جبن أبيض فى الدار ، فاندهش أبو القاسم وقال : كيف علمت أننى أكلت جبنا أبيض ، وأن شيئا تبقى منه ؟ فقلت : سمعت من عيسى صلوات الله عليه ورويت له ماجرى فقال : لقد صدق والله ، ليلة الأمس اشتريت بعض الجبن الأبيض ، وبقى جزء منه .

(ص ١٩٣)

فصـــل (٥)

قال الشيخ : رأيت فيما يرى النائم أن ممشاد الدينورى قد رفع يده إلى السماء ، وأخذ يقول : يارب القلوب ، يارب القلوب ، والسماء تقترب منه ، حتى صارت فوق رأسه فانشقت وابتلعته .

فصـــل (٦)

قال الشيخ : حينما كنت أصنف كتاب « جامع الإرشاد » كتبت بعضه وانتابتنى فترة ، وكان هناك رجل خراسانى يفد على بين الآن والآخر ، فأتانى فجأة وقال : بينما كنت قادما فى الطريق من خراسان ، رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال لى : إلى أين ذاهب ؟ قلت : إلى شيراز فقال : أبلغ عبد الله ابن خفيف منى السلام ، وقل له أتمم ذلك الكتاب ، وحينما قص على هذا الحلم واصلت العمل وأتممت الكتاب .

فصـــل (٧)

قال أبو الحسن : سمعت من امرأة صالحة قالت : رأيت فى النوم أن جروكلب فى طرف ردائى ، وأنه إبليس ، قلت (ص ١٩٤) بأى سبيل أدفع وسوستك عن نفسى ؟ قال : سلى أبا عبد الله ابن خفيف ، فأتيت الشيخ ، ورويت له وما رأيت فى النوم ، فبين لى طريقة دفع الوسوسة .

فصـــل (٨)

روى أبو الحسن عن عبد الواحد بن أحمد : نسخت بعض مصنفات الشيخ . ثم حدثت بينى وبينه جفوة ، فهممت بأن أمحو[1] ماكتبت ، ثم ندمت بعد ذلك . فهممت ثانية بأن أتم كتابتها ، فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم ذات ليلة وقال : أسرع فاكتب ، فهذا نفع لك فى الدنيا والآخرة .

فصـــل (٩)

وسمعت من أبى الحسن الباهلى : ذات يوم جرى بينى وبين أبى عبد الله بن خفيف عتاب ، فهتف بى هاتف فى النوم : يا أبا الحسن أتعاتب رجلا من أهل الدين واليقين ، فقمت من النوم .

(ص ١٩٥)

---

(١) فى النص الفارسى : بشورم وهى خطأ وصحتها بشويم . المترجم .

فصـــل (١٠)

وسمعت من أحمد بن محمد : أصابني قولنج ، عجز الأطباء عن شفائه ، ورأيت الشيخ في النوم يقول : يا أحمد ما وقع لك ؟ قلت : يا شيخ لقد أقعدني هذا المرض ، فقال : طب قلبا فغدا يسكن ، فقمت من النوم وقد تفتح طبعي وسكن الألم ، ولم يصبني هذا المرض بعد ذلك قط .

الباب العاشر
فى شرح كرامات الشيخ وفيه أيضا عدة فصول

فصـــل (١)

يقول أبو الحسن : أقام الشيخ مأدبة فى رباط أبى أحمد الكبير ، ودعا إليها مشايخ المدينة جميعا ، كما دعا العلماء وأصحاب الحديث ؛ وكان الشيخ قد انتحى جانبا من الطريق يرى كل من يدخل ، فاندس شخص بين الناس ، فقال الشيخ لأبى الطيب القزوينى : لا تدع ذلك الشخص يدخل .

قال أبو الطيب : ففكرت بينى وبين نفسى : لأى سبب يقول الشيخ ذلك؟ ما الذى ينقص كل هؤلاء الخلق أن يحضر معهم أيضاً . وكرر الشيخ كلمته ، وتجاهل أبو الطيب .

وبعد ساعة خرج محمد أخو أبى على الكيال وهو يضحك ، قال الشيخ : ماذا يُضحكك ؟ قال : هذا الشخص الذى أمرت أبا الطيب (ص ١٩٧) بألا يدخله ، وتجاهل هو حتى دخل ، مزق جيبى وأخذ بضعة دراهم كانت فيه . قال الشيخ : هذا ذنبكم ، لقد قلت مرات : لا تدعوه يدخل ولم تقبلوا .

فصـــل (٢)

قال الشيخ : كان ذكر الكرامات يجرى دائما بين أصحابنا ، ولم أكن أعلم لها معنى فى نفسى ، حتى عزمت على الحج ، وحين

خرجت من المدينة ، جلست فى ظاهرها ، حتى مرت قافلة الحجيج ومر أيضا بعض الفرسان ، الذين كانو يسيرون فى أثر الحجيج ومضوا ، ونهضت مع جماعة من أصحابنا إذ مضى الحجيج . خشية ألا نلحق بالقافلة ، فنهضنا وأخذنا نسير حثيثا فى أثر القافلة ، وحين نظرنا وجدنا أننا أمام القافلة ، وأمام أولئك الفرسان أيضا.

(ص ١٩٨)

فصــــل (٣)

قال أبو أحمد الصغير : كنت أقوم بخدمة الشيخ رحمة الله عليه ، ولم يكن أحد غيرى يأكل مما كنت أحمل من بقايا طعام الشيخ ، وذات يوم كنت جالسا على باب الرباط أتلو القرآن ، فجاء أبو أحمد الكاغدى وقال : أيها الشيخ : لقد عزمت على الذهاب إلى موضع ما ، وأريد الهمة والدعاء ، فدعا له الشيخ

وحين صار بضع خطوات فى الطريق ناداه الشيخ ، وأعطاه رغيفا كبيرا ساخنا وقال له : ضع هذا فى زادك ، فقال أبو أحمد فبقيت متعجبا من هذا الأمر : من أين أتى الشيخ بهذا الرغيف ؟ ! . فاغتنمت فرصة وسألت الشيخ عن ذلك ، فقال : لا تتصرف بطفولة وحمق لقد أحضر أحدهم لى هذا الخبز .

فصــــل (٤)

قال أبو أحمد الصغير : أهدى إلى الشيخ صوفة بيضاء فخاط منها قميصا طمعت فيه ، ومن شدة حرصى على ذلك القميص

خلعت ردائى وألقيته فى الماء ، فأتى الشيخ (ص ١٩٩) ورآنى عاريا : فقال كان فى نيتى أن أعطيه لك ، ولم تكن بك حاجة إلى خلع ثوبك .

فصــل (٥)

قال أبو أحمد : كان للشيخ رحمه الله قميص ورداء أعطاهما لأحدى جواريه لتغسلهما[1] ، فأخذتهما تلك الجارية ، ووضعتهما فى النهر لتغسلهما فحملهما الماء ، فعادت إلى الشيخ وقصت له ما جرى ، فاتهمها المريدون ، فقال الشيخ اصمتوا فلا يضيع قميصى ، ومرت عدة أيام ، فجاء رجل إلى الشيخ ، وكان يرتدى ذلك القميص فسأله الشيخ : من أين أتيت بهذا الرداء قال : رأيته فى بستان معلقا بشجرة . فقال الشيخ : ألم أقل لكم إن قميصى لا يضيع ؟ !
(ص ٢٠٠) .

فصــل (٦)

قال القاضى أبو محمد عبد الله البيضاوى : أصابنى ظلم شديد من عامل البيضاء ، فجئت إلى شيراز ، وقصدت الشيخ فى البداية وقلت له أحوالى . فقال : أى مكان تقصد كل يوم فابدأ بى . فكنت أذهب كل صباح إلى الشيخ ، فكان يقول : طب نفسا ، فالله تعالى حافظك ، وكنت أتبرك بدعائه ، وأذهب من عنده إلى أشغالى الأخرى

---

(١) فى النص الفارسى بشرد وهى خطأ وصحتها بشويد . المترجم .

ثم ذهبت ذات يوم إلى الشيخ فقال لى : اذهب اليوم ، فحاجتك مقضية . فقد ذكرتك ليلة الأمس فى وقت لم يكن فيه بينى وبين الله حجاب ، واليوم يحدث لك أمر ، فخرجت من عند الشيخ ، وأخذت أردد ما قاله ، وأفكر حتى صلاة العصر حين عدت إلى الشيخ ، فقال : أقضيت حاجتك ؟ قلت لا ، قال : اذهب الآن . تقضى حاجتك ، ولا تجادل ، فخرجت من عنده ، وقلت فى نفسى : هذه ساعة لا يمكن رؤية الوزير فيها وكان يسمى نصر بن هرون . فذهبت لزيارة صديق ، وحين خرجت كان (ص ٢٠١) المغرب قد قرب ، ورأيت حاجب الوزير فقال لى : يا أبله أين كنت فالوزير يطلبك منذ الصباح ، وحملنى إلى الوزير ، فحدثته عن أحوالى ، وقلت له أيضا الكلام الذى قاله الشيخ لى . فبكى كثيرا . وقال : فى ذلك الوقت قمت من النوم ، وتذكرت أمرك ، وقلت : اليوم لا أقوم بأمر ، حتى أقضى حاجته أولا . وأرده إلى أهله .

ثم قال : مثل هذا الشيخ فى المدينة ونحن غافلون عن خدمته ، ثم قضى حاجتى وصرفنى وأرسل رسولا إلى الشيخ قائلا كل ما تراه من المصلحة فمر به ، حتى أقضيه ، وأعده غنيمة .

فصـــل (٧)

قال أبو أحمد الصغير : غادر أحد الدراويش الدنيا ، وحين فرغنا من دفنه ، قال الشيخ : خذوا الدراويش لنخرج بهم إلى الصحراء ، وقال لأبى سعيد الدقاق : معكَ شئ ؟ قال : بلى . وأعطى

كيسا مملوءًا بالدراهم للشيخ ، فأعطى الشيخ ذلك الكيس لحسن الجواليق وقال له : امض واشتر شيئا من أجل أصحابنا . فذهب حسن مع رجل آخر من مريدى الشيخ ، فاشتريا ما يلزم ، وأعطيا الكيس للشيخ ثانية ، وردها الشيخ إلى أبى سعيد ، فنظر فيه فرأى الدراهم على حالها فغضب وقال لحسن : ألم يقل لك الشيخ اشتر بهذه طعاما من أجل أصحابنا ، لقد اشتريت بنقود أخرى . قال : والله ما كان معى درهم آخر قط ، وما اشتريته اشتريته بدراهم من هذا الكيس ، ثم قال أبو سعيد : فوزنت دراهمى مرة ثانية لأتأكد ،ولم تكن قد نقصت مثقال ذرة ، وكان أبوسعيد هذا من بين صُلَحَاء شيراز .

(ص ٢٠٢)

فصــل (٨)

قال أبو الحسن : سمعت من بعض الثقات أن أحدهم أعد مأدبة ، ودعا إليها جماعة من المشايخ ، وكان قد أنفق عليها كثيرا .

قال أبو سعيد الدقاق : ولم يكن عندى علم بهذا الأمر ، فكان عندى جمل ذبحته وقلت فى نفسى : ربما يأتى الشيخ إلى منزلى اليوم ، فيأكل شيئا ، وخرجت من المنزل ، وعقدت نية التوكل ، وأخذت أتلو سورة الإخلاص . وحينما وصلت إلى الشيخ ، كنت قد تلوتها ألف مرة ، ولم أقل شيئا ، حتى فرغ الشيخ من صلاته وصرف أصحابه ، ولم يبق أحد سواى

وأبو الفياض عنده . فوضع نعله في قدمه ، وقال : ياأبا سعيد هلم بنا إلى دارك ، فتغير أبو الفياض وقال : ياشيخ أيليق أن تترك رجلا أنفق كل هذا من أجلك ، وتذهب إلى مكان آخر ؟ فقال الشيخ أصمت كيف لا أذهب مع هذا الرجل وقد تلا سورة الإخلاص ألف مرة حتى جاءنى .

فصـــل (٩)

قال أبو أحمد : قال لى الشيخ ذات يوم ، هناك عامل للسلطان صديق ، وقد نزل به خوف ، ويريد أن يختفى عندنا ، وقد كتب إلى بهذا الأمر ، فأغلق الباب على ، واذهب واجلس على رأس الطريق ، وحين يطلبنى أحد قل له : ليس الشيخ هنا .

قال أبو أحمد : فتركت الشيخ فى الدار ، وأغلقت عليه الدار ، وجلست فى الخارج . وجلس الشيخ داخل الدار مشغولا بالقراءة .
(ص ٢٠٣)

فرأيت شخصا جاء من طرف هذا العامل فى طلب الشيخ ، قلت : لقد خرج الشيخ ، فرجع . فعدت أنا لأخبر الشيخ ، أن رسول العامل أتى فى طلبه ، وأنى قلت له : إن الشيخ خرج ،

وحينما أتيت باب دار الشيخ كان لا يزال مغلقا من الخارج كما تركته ، ففتحت الباب ثانية ، ونظرت فلم أجد الشيخ فى الدار فخرجت وقلت لأبى أحمد الكبير هذا الأمر ، فقال : ربما يكون عند تلك المرأة العجوز فى الرباط ، فذهبت إليها فقالت : لم أر الشيخ

اليوم ، فبقيت حائرا لفترة ثم عدت ثانية إلى الدار ،فوجدته جالساً فى مكانه يطالع ، فقلت : يا مولاى أين كنت ؟ قال : هنا . قلت : أتيت لأخبرك ولم أجدك ، فصاح بى اذهب واطلبنى كما ينبغى الطلب ، فخفت منه وصمت .

فصـــل (١٠)

روى الشيخ : جاءت إلى امرأة وقالت : امرأة بالباب من قبيلة أكراد المباركية ، وتريد [1] أن تسألك عن شىء . فنهضت ، وخرجت فقالت تلك المرأة : أيها الشيخ لقد حدث لنا واقعة عجزنا فى تفسيرها ، فقلت : وما هى ؟ قالت (ص ٢٠٤) ظهر فينا غلام لم يكن يأكل شيئا قط فى النهار ، ولم يكن يتحدث مع أحد ، ولم يشاركنا فى أعمالنا ، وكان يعمل بالرعى ، فكان يترك الأغنام ترعى ، ويشتغل بالصلاة فى مسجد ، وكان قد بناه بنفسه .

وفى الأيام الأخيرة مرض ، فأقمنا من أجله ظلة فبقى فيها ، وعصر ذات يوم ، وكان بعض الفرسان غير موجودين وبعضهم غافلين ، نهض وأخذ يدور حول نفسه كالطاحون ، وأسرعت أمه لتجذبه إليها فارتفع عن الأرض ، وأخذ يسير فى الهواء ، ويرتفع حتى غاب عن أعيننا وأخبرنا رجالنا عن ذلك فنهضوا وطافوا بالجبال علهم يجدون عنه خبرا ، وعادوا ولم يجدوا له أثرا .

---

(١) النص الفارسى : ومى خواهم وهى خطأ وصحتها ومى خواهد .

قال الشيخ : فبقيت حائرا ، وظنت المرأة أن عندى شكا فى روايتها ، فصاحت ، ودعت جماعة من النسوة ، فأتين وقصصن الواقعة على وجهها هذا قال محمد بن أحمد بن أميرويه : سمعت من الشيخ هذه الحكاية كان يرويها بين أصحابنا ، وكان أحدهم واقفا فقال : أيها الشيخ أهذا من جملة الممكنات فقال الشيخ : ياجاهل : هنا رجل ينتظر هذا الأمر ، وكان يشير بهذا إلى نفسه

فصـــل (١١)

روى أبو النصر الطوسى : خرجت مع الشيخ رحمة الله عليه من المسجد الجامع . وحينما وصلنا إلى حى « بال رود » لطمنى ثمل لطمة شديدة ، فنظر إلى الشيخ وقال : ما هذا ؟ قلت : هذا (ص ٢٠٥) الثمل لطمنى ، قال : قطع الله تعالى يده .

وبعد يومين أو ثلاثة ، كنت أمر أيضا « ببال رود » ، وكان الخلق قد تجمعوا ، وحين نظرت ، رأيت ذلك الرجل الذى لطمنى ، وقد ضرب بالسيف ، وفصلت يده عن ساعده ، فجئت فى الحال إلى الشيخ وقلت له الأمر فقال : أنت أرسلت إليه هذا البلاء .

فصـــل (١٢)

روى الشيخ : كنت ذات ليلة نائما فوق سطح المسجد ، فرأيت رجلا أيقظنى وقال : تريد أن ترى ليلة القدر ؟ قلت : بلى ، ثم رأيت نورا عظيما قد ملأ الافاق ، بحيث رأيت جماعة من الحطابين ، قد مدوا أيديهم إلى حطب أمامهم ، وناموا فى طريق الجباه[1] .

---

(١) أى رأى إلى حدود البلد ، حيث أن الجباه يكمنون للمارة .

وقال الشيخ : رأيت ليلة القدر مرة أخرى ، وقد نور العالم بحيث رأيت أعشاش العصافير على رؤوس الشجر .

فصل (١٣)

روى الشيخ : لم أنم ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، على أمل أن أرى ليلة القدر ، وفى وقت السحر غلبنى النوم ، (ص ٢٠٦) فصعدت إلى السطح ، حتى تدفع عنى البرودة النوم ، وكانت أمى فى حجرة دافئة وقد غلبها النوم . فقامت من النوم ونادتنى ، وكان النوم حينذاك قد غلبنى ، ففزعت من النوم ، وأسرعت نازلا وقلت : ماذا حدث ؟ قالت : ألا تدرى لقد ملأ النور دارنا ، ونور العالم بأجمعه ، فخفت وقلت لنفسى : يا سبحان الله ، عانيت أنا كل البرد ، ولم يكن لى نصيب ، ولم أجد مرادى ، وكانت نائمة فى حجرة دافئة ووجدت مراده(١) .

فصل (١٤)

قال أبو سعيد النساج : سمعت من الشيخ أنه قال : حينما أمضى من الدنيا لن تجدوا أحدا له قدم فى مقام التصوف ، وهكذا كان ، فحين مات الشيخ لم يكن أحد يستطيع أن يقوم مقامه .

---

(١) شد : ٣٦٨ : روى أن الشيخ قام ليلة من رمضان فى العشر الأخير ليدرك قدرها ، فيجعل يصلى على سطح الدار (هكذا) وكانت والدته فى البيت متوجهة إلى الله تعالى ، فكوشفت بأنوار القدر ، فنادته يا محمد يا ولدى ههنا ما تطلبه فنزل الشيخ عن السطح فرآها فى تلك الأنوار ، فوقع فى قدمها حتى أخذ منها بنصيب ، وكان الشيخ بعد ذلك يقول الآن اعرف قدر الوالدة . نفحات : ٦٢٣ .

وقال أبو سعيد : سمعت من الشيخ فى اليوم الثامن من ذى الحجة ، قال أثناء حديثه : أعرف قوما يقومون بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم اليوم ، وهم اليوم هنا وغدا يقفون مع الخلق فى عرفه .

وقال عبد الرحيم : حينما وقع محب دنقش فى شيراز ، كان الناس يحملون شكاتهم من ظلمه إلى الشيخ ، ويلتمسون منه الدعاء عليه ، ولم يكن الشيخ يقبل . وحينما جاوز ظلمه الحد ، قال الشيخ ذات ليلة فى سجوده : اللهم اشغله بنفسه . وفى اليوم التالى قلت للشيخ : سمعتك ليلة الأمس تدعو قال : لقد جاوز ظلمه الحدود . وبعد أيام معدودة ، وصل خطاب (ص ٢٠٧) بأن يطلق المساجين ، وترد الأموال المصادرة ، وحين استفسرنا عن سبب ذلك قالوا : أصابه صرع فى سفح الجبل ، وجن ، ثم مات على أقبح صورة .

قال عبد الرحيم : كان الشيخ يدعو دائما هذا الدعاء : اللهم لا تجعل وفاتى فى يوم مطير ، ولم أكن أعلم السبب فى هذا الدعاء ، وبعد وفاة الشيخ ، علمت لماذا كان الشيخ يدعو هذا الدعاء ، وحين رأيت جنازته على تلك الصفة ، علمت أنه كان يعلم فى حياته أن كل هذه الرحمات ، تكون على جنازته بعد وفاته والله أعلم .

(ص ٢٠٨)

الباب الحادى عشر

فى ذكر مشايخ الحديث الذين استمع الشيخ إليهم

أمّا من شيراز فمنهم : أبو بكر محمد سعيد بن إسحق العتايدى، وأبو أحمد بن محمد الشعيرى المعدل . وعبد الله ابن سحتان بن أبى محمد الإمام ، وأبو بكر محمد بن سمعان بن عبد الله ، وعبد الله ابن عمران المعروف بأذران الخياط ، وإبراهيم بن أحمد بن روزبه ، وعبد الله بن جعفر الأزركانى صاحب يعقوب بن سفيان ، ومحمد ابن علان بن أويس . وأبو عبد الله محمد بن جعفر التمار ، وعبد الرحمن ابن نصر بن غيلان ، وأبو بكر محمد بن يحيى بن على بن الخطيب، وإسماعيل بن عبد الله السقطى صاحب أبى بكر بن خثيمة ، وأبو القاسم محمد بن إسماعيل ، وأبو المثنى أحمد بن إبراهيم الربضى ، وأبو بكر محمد بن زيد .

ومن الغرب : حماد بن مدرك الفستحانى ، وعلى بن سعيد العسكرى وأحمد بن محمد بن السكر القرشى . وعبد الله بن سعد الدقى ، وإبراهيم بن حميد البصرى ، وعبد الملك بن حنبل القهمى ، وأبو الطيب النعمان بن أحمد القاضى الواسطى . وأبو العباس أحمد بن عبد الله بن نصر بن كيسان القاضى ، وأبو السائب عبد الرحمن بن محمد الهاشمى ، والزبير بن محمد الحافظ البغدادى ، ومحمد بن أحمد راشد الأصفهانى صاحب أبى مسعود الرازى ، وعلى بن أحمد القاضى

ابن كردى ، والقاضى محمد (ص ٢٠٩) بن أحمد بن سهل البركانى ، وأبو محمد عبدان بن أحمد الهمذانى المفسر ، وأبو الحسن على ابن الحسن الجرجانى ، وأبو بكر أحمد بن أبان الشاردانى ، وسليمان ابن أحمد بن أيوب الأصفهانى الحافظ ، وأبو الحسن أحمد بن محمد ابن عمر الأصفهانى صاحب ابن أبى الدنيا ، ومحمد بن يزداد بن أذين الجورى ، وأبو جعفر المارستانى .

ومن البصريين : حينما كان عائدا من الحج سنة ٣٠٠ لقى أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمى ومن فى طبقته .

ومن البغداديين — محمد بن جرير الطبرى ، وأبو بكر بن أبى داود ، ومن فى طبقته مثل الباغندى ، وابن صاعد وغيرهما .

ومن أهل فسا — أحمد بن يحيى المعروف بجور ، وعلى بن الحسين بن معدان . ومحمد بن إسماعيل .

ومن الأصطخريين — محمد بن أحمد السوقى القاضى .

قال محمد بن على : لم يجلس الشيخ طوال عمره لإملاء الحديث إلا مرة واحدة ، وكان ذلك بعد أن ألحوا عليه كثيرا ، وحين جلس لم يكن هادىء البال لهذا الأمر ، وكان يقول : ليس هذا عملى ، وفى هذه المرة : أملى هذه الأحاديث : روى مصنف السيرة أبو الحسن على بن محمد الديلمى ، هذه الأحاديث عن الشيخ قدس الله روحه ، بالإسناد الذى ذكره فى السيرة .

وروى الشيخ بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن

(ص ٢١٠ آ) دعوة المظلوم على الظالم ، ودعوة الأَب على ابنه ، ودعوة المسافر حين السفر[١] .

وروى أَيضا بإسناده عن أنس بن مالك : أَعد رجل من الأَنصار طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الضحى ، وفرش له حصيرا ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين على ذلك الحصير ، وسئل أَنس : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الضحى ؟ قال : : لم أَره إلا ذلك اليوم .

وروى أَيضا بإسناده عن أَبى ذر الغفارى رضى الله عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا وضعت قدرا على النار ، فأَكثر مرقها ، وأَصب منها جيرانك[٢]

ويروى أَيضا بإسناده عن حذيفة رضى الله عنه : إن منافقى هذا الزمن ، أَسوأ من منافقى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسئل لماذا فقال : هؤلاء يضمرون النفاق بينما أَظهره أولاءِ[٣] .

---

(١) ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن ، دعوة الوالد على ابنه ، و دعوة المسافر ، ودعوة المظلوم . رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى الأدب وأبو داود و الترمذى عن أبى هريرة جامع /١١٨١. المترجم .

(٢) السبكى ٢ ١٥٥ ، الذهبى : وعن أبى خفيف : سألنا يوما القاضى أبو العباس ابن سبريج بشيراز وكان يحضر مجلسه لدرس الفقه : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو المعالى الابرقوهى ، أخبرنا عمر بن كرم ببغداد ، و أخبرنا أبو الوقت السجزى ، حدثنا عبد الوهاب ابن أحمد الثقفى أخبرنا محمد بن عبد الله بن باكويه ، أخبرنا محمد بن خفيف الضى إملاء قال قرأ الجوى عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا صنعت قدرا فاكثر مرقها وانظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم بمعروف .

(٣) لا يبدو أنه حديث : المترجم .

(ص ٢١١) ويروى أيضا بإسناده عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لثعلبة : مر الناس بالمعروف ، وانههم عن المنكر ، وإذا رأيت شحيحا اتبع شحه وهواه ، واختار الدنيا على الآخرة ، فعليك نفسك ، فما دمت قد وجدت الطريق الحق لا يضرنك ضلال أحد .

ويروى أيضا بإسناده عن حذيفة رضى الله عنه ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : خيركم فى عقد كل مائة الخفيف الحاذ ، قالوا : ومن هو الخفيف الحاذ يا رسول الله ؟ قال : الذى لا أهل له ولا مال[1] .

ويروى أيضا بإسناده عن عائشة : كان صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب[2] .

ويروى أيضا بإسناده عن أنس بن مالك : إن الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزل يوما عن جواده ، وأخذ يمشى إلى جواره ، وأخذ الناس يسيرون بجواره ليسألوه ، ودخل وقت الصلاة ، فصلى الرسول صلى الله عليه وسلم بهم ، وحين أقام الصلاة التفت إلى الناس وقال : إن الإمام من أجل أن يقتدى به الناس ، حين

---

(١) « خيركم فى المائتين كل خفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد . رواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هريرة جامع ٢-١٠. المترجم .

(٢) الحديث : جامع ٢-٩٧. المترجم .

يُكَبِّرُ يكبِّرون ، وحين يركع يركعون . وحين يقول : سمع الله لمن حمده يقولون : ربنا ولك الحمد . وحين يسجد يسجدون أيضا .

ويروى أيضا بإسناده عن جابر رضى الله عنه : حينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم خيبر . نهض رجل وقال :

يا رسول الله لقد أمرك الله بالعدل ، وأرى اليوم أنك لا تعدل .

فتغير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إذا لم أعدل معك اليوم ، فمن الذى يعدل من بعدى ويصدق .

(ص ٢١٢)

الباب الثاني عشر

ذكر مصنفات الشيخ ومجموعاته قدس الله روحه

فصل (١)

كان أول مصنفات الشيخ كتاب « شرف الفقر » ، وآخرها كتاب « جامع الإرشاد » وبينهما صنَّف : « كتاب الاستذكار » ، و « كتاب الفصول فى الأُصول » و « كتاب المنقطعين » و « كتاب الجوع وترك الشهوات » و « كتاب لبس المرقعات » و « كتاب الإعانة » و « كتاب اختلاف الناس فى الروح » ، و « كتاب المعراج » و « كتاب الرد على ابن سالم » و « الرد على ابن زينان » و « كتاب الاعتقاد » و « كتاب المنهج فى الفقه » .

ومن كتبه الصغيرة « كتاب الاقتصاد » و « كتاب اللوامع » و « كتاب المفردات » و « كتاب المشيخة » و « كتاب فضل التصوف » و « كتاب الفرْق (ص ٢١٣) بين التقوى والتصوف » و « كتاب الاستدراج والاندراج » و « كتاب الجمع والتفرقة » و « كتاب بلوى الأَنبياء » و « كتاب المحبة » و « كتاب الود والأُلفة » ،

[illegible]

وكتبه المطولة تبلغ عدد خمسة عشر كتابا ، وكذلك كتبه الصغيرة ، أما المسائل المتفرقة التي سئل فيها فأجاب فلا حصر لها ولا عدد [1] .

فصل (٢)

هذا فصل في ذكر الأقوال التي سمعها ودونها مصنف السيرة العربية في أيامه من فم الشيخ . وبعضها في غاية الدقة ، بحيث يعزب عن فهم العامة ، وقد صرفت النظر أنا نفسي عنها ، ولم أكتب ترجمتها الفارسية ، فكل من يجد نفسه أهلا لها ، عليه أن يطلبها من السيرة العربية التي صنفها محمد الديلمي ، ويقرأها فيها ، ولكني أذكر هنا عدة عبارات منها على قدر فهم العامة تبركا .

قال الشيخ : الصوفي هو الذي خلع عليه الحق بعض أوصافه ، فهو قائم بين الخلق بالحق .

وقال الشيخ : واردات الغيب على نوعين : أحدهما الحكم ، وينبغي أن يتقبل بالرضا والتسليم ، والآخر البلاء ، وينبغي أن يتقبل

---

(١) شد ٤٢ ، ٤٣ : وله مصنفات كثيرة : كتاب شرف الفقراء المتخففين على الأغنياء المنفقين ، وكتاب شرح الفضائل ، وكتاب الفصول في الأصول ، وكتاب الاستذكار ، وكتاب اللوامع ، وكتاب المنقطعين ، وكتاب لبس المرقعات ، وكتاب الإغاثة ، وكتاب اختلاف الناس في الروح ، وكتاب الاقتصاد ، وكتاب فضل التصوف ، وكتاب المفردات وكتاب بلوى الأنبياء ، وكتاب الود والألفة ، وكتاب الجمع والتفرقة ، وكتاب مسائل على ابن سهل ، وكتاب أسماء وكتاب الرد على ابن رزمان ، وكتاب الجوع وترك الشهوات ، وكتاب معرفة الزوال ، وكتاب اسماء المشايخ (المترجم عن الأنصاري : أسماء مشايخ فارس ص ١٠٠) ، وكتاب المعراج ، وكتاب المنهج في الفقه ، وكتاب الاستدراج والاندراج ، وكتاب المعتقد الصغير والكبير

بالصبر والاستبشار، وذلك مصداقا لقوله تعالى فى الحديث القدسى « من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليطلب ربا سواى [(١)] ».

(ص ٢١٤) وسئل الشيخ : ماهى دلائل إقبال العبد ؟ قال : كلما أعطى الدنيا ظهره، أسفر الحق تعالى له عن وجهه [(٢)] .

وسئل الشيخ : ما هو التصوف ؟ قال : التصوف على لسان الشريعة : تصفية باطن القلوب من الكدر، ومعاملة الناس بالخلق الحسن، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل عمل . أما على لسان الحقيقة : فهو الخروج من الصفات البشرية، والغنى بخالق السماء والأرض، وعلى لسان الحق : التصوف هو عدم الصفات البشرية، والتزين بالصفات الإلهية . وحينذاك يسمى صوفيا .

وسئل الشيخ : ما التوحيد ؟ فقال : التوحيد هو محو الآثار البشرية، والدخول فى أوصاف الألوهية .

وقال الشيخ : اشتقاق لفظ الفقير من الفقار، والفقار هو ما يحقق الثبات لعظام المرء، وكل من كسر منه هذا العظم صار ضعيفا، وسمى فقيرا، أى يكون فى قيامه وقعوده محتاجا لمن يعينه، وهكذا الفقير فهو محتاج إلى سواه، أى إلى الله تعالى .

قال الشيخ : حظ النفس فى ثلاثة الطعام والنوم والجماع وحظ الروح فى ثلاثة : الطيب، والصوت الحسن، والنظر .

---

(١) الحديث الشريف : جامع ٦٩/٢ رواه الطبرانى عن أبى هند الدارى . المترجم .

قال الشيخ : آخر التفكر الذكر .

قال الشيخ : من شرط الفقير أن تتحقق فيه ثلاث خصال : الصبر عند العدم ، والإيثار عند الوجود ، والسكون عند المحنة فلا اضطراب ولا جزع .

. فإذا تحققت فيه هذه الثلاث ، وفاته شئ آخر ، فلا ضير .

وسئل الشيخ : أيذكر الحق تعالى العبد ؟ قال حين ينسى العبد نفسه ويمحو اسمه ورسمه ، حينذاك يذكره الله تعالى .

وسئل الشيخ : ماالوجد ؟ قال الوجد هو أن تضئ واردات الحق فى الأسرار ، فتجذب إليها الأرواح ، فتجد القلوب من ذلك نسيما .

وسئل الشيخ[٢] : مامعنى الذكر ؟ قال : بذل المجهود والصفاء

(ص ٢١٦)

الباب الثالث عشر

ذكر وفاة الشيخ قدس الله روحه العزيز

وبه ختم الكتاب

قال عبد الرحيم : حين مرض الشيخ ، كان ينام فى الشمس وكان فى كل لحظة يغيب عن وعيه من شدة الحرارة ، ولكنه لم يكن يغفل شيئا من أوراده قط .

وقبل وفاته بعشر سنوات ، كنت أعد خمسة عشر رغيفا بنصف منٍّ من الدقيق ، ولم يكن الشيخ يأكل منها أكثر من رغيف واحد ، وحدث أن ترك بعضه فى بعض الأوقات .

وحين مرض قال الأطباء : لامرض عنده ، وعلاجه الغذاء . وجاهدنا معه كثيرا أن يشرب جرعة باردة ، ولم يفعل ، ومن هيبته لم نجرؤ على قول شىء له ، وجمع أبو الفتح المريدين وقال لهم : تشفعوا لديه حتى يأكل شيئا ، فذهبوا ملحين ، فقال لهم : بحق الصحبة ، دعونى فى حالى ، ولاتضايقونى فأنا أريد أن أكون جائعا حين أصل إلى الله تعالى . فقالوا يقول أبو الفتح من شفقته عليك . . فقاطعهم قائلا أبوالفتح لايعلم مافيه خيرى ، وأنا أتجهز فى هذه الساعة لرؤية الله تعالى . وبعد هذه الحادثة عاش سنة ، ولم يكن يأكل فى اليوم أكثر من زنة عشرة دراهم من الطعام .

قال الشيخ : طلبت من الله تعالى ألا يكون عندى شىء حينما أصله ، (ص ٢١٧) وألا يكون معى شىء ينبغى أن يأخذه مخلوق وألا يكون على جسدى لحم قط [١]

قال عبد الرحيم : ولما مات الشيخ ، كانت هذه الخصال الثلاثة فيه ، وحين مات كان قد مر سبعة عشر يوما لم يذهب إلى جوفه طعام ، وكانت رائحة الطيب تنبعث من فمه ، وعبق ماحوله بالعطور ، وقلت لرفاقى : ما الأمر ، وكانوا هم أيضا فى دهشة .

قال الشيخ : إذا سمعتم حى على الصلاة ، ولم تجدونى فى الصف الأول من المسجد فاطلبونى فى المقابر [٢] .

قال عبد الرحيم : حينما ودع الشيخ الدنيا ، كان قد مر عليه عام وأربعة شهور لم يمدد ساقية وحينما كان الشيخ فى النزع ، كنت مع بعض المريدين إلى جوار فراشه وكان يقول لنا : قولوا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حقا وصدقا ، وظل يقول هذا حتى لفظ أنفاسه [٣] .

---

(١) S 766

(٢) S 766 وقيل : كان به قديما وجع الخاصرة ، فكان إذا أخذه أقعده عن الحركة فكان إذا أقيمت الصلاة يحمل على الظهر إلى المسجد ليصلى . فقيل له : لو خففت على نفسك لكان لك سعة فى العلم فقال : إذا سمعتم حى على الصلاة ولا ترونى فى الصف الأول فاطلبونى فى المقابر الذهبى .

السبكى ٢-٣٠٤

(٣) وقيل له عند وفاته : كيف تجد العلة ؟ قال : سلو العلة عنى ، فقيل له : قل لا إله إلا الله فحول وجهه إلى الجدار وقال : افنيت كلى بكلك .

وكان قد أوصى بأن يصلى عليه أبو بكر العلاف فإن كان غائبا ، فأبو على الفقيه الشافعى ، فإن كان غائبا فأبو على الأمام . وحين مات غُسِّل فى الحال ، وصلى عليه أبو بكر العلاف ، وأحكموا الخشبة التى أرقدوا فيها الشيخ بأوتاد حديدية . (ص ٢١٨) وجلس حسن بدويه الذى كان رئيسا للقصابين ، وكان يخدم المشايخ كثيرا . كما كان رجلا شديد البأس — على رأس نعش الشيخ ، حتى يمنع الناس عن النعش خشية أن يمد أحدهم يده إلى كفن الشيخ .

كما أحاط أصدقاء حسن بدويه من القصابين ذوى البأس بالنعش وكانوا يذودون الناس عنه ، وتناوب الخلق السير فى الجنازة ، حتى لاتحدث فتنة واضطراب ، وحول جماعة القصابين ، وقف جمع الفرسان من أجل دفع العامة وحملوا نعش الشيخ إلى المصلى ووضعوه فيه .

وتقدم أبو بكر العلاف فى البداية فصلى عليه كما أوصى ، ثم أبو على الخلوتى ، ثم أبو إسحق الذى كان نقيبا للعلويين ، ثم أبو على إمام المسجد الجامع ، وكل منهم صلى عليه فى خلق كثير .

ثم أخذ الناس يتقدمون جماعة جماعة ، وكل منها يؤمها إمام فيصلون عليه ، حتى صلوا عليه مائة مرة ، وحضر جنازته اليهود والنصارى والمجوس . وكل صلى عليه صلاة دينه ، وتيسر

كل هذا فى ساعتين من النهار ، فتعجب الناس وقالوا : كنا نظن أن لا يتيسر طوال اليوم .

وقال محمد الحصرى : رأيت الشيخ فى النوم فسألته : مافعل الله بك ؟ قال : غفرلى ، ولكل من صلى على ، إلا أهل الكتاب والمبتدعة .

و قد توفى الشيخ فى الثالث والعشرين من رمضان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، وكان له من العمر خمس ومائة من السنين ، ويقول أبو القاسم الصفار : كان له أربع عشرة ومائة سنة من العمر .

(ص ٢١٩) وسئل : كيف علمت هذا ؟ قال : لقد رأيت مولده وحسبت عليه — أما القول الآخر : إنه سمعه من أمه حين كانت حية — ثم حسبوا عليه حين مات الشيخ . نوّر الله قبره ، وبرد مضجعه ورضى عنه .

« تمت السيرة على أنامل أضعف عباد الله تعالى ، وأحوجهم إلى لطفه ومغفرته ورحمته حسن بن يوسف بن على الأسترابادى محْتِدًا ، والأصنانى مولدا ، أصلح الله باله ، وخير حاله ، وختم عاقبته بالحسنى ، وذلك فى أصفهان ، حماها الله من الحدثان ، فى يوم الثلاثاء الخامس عشر من صفر ختم الله بخير وسنة أربع وخمسين وسبعمائة .

والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه محمد وآله الطاهرين وسلم » .

ملاحق

أعدت هذه الملاحق أنا ماريا شميدت طارى ناشرة السيرة الفارسية حسب أبواب الكتاب وأوردت فيها المعلومات التى وردت عن أبى عبد الله بن خفيف فى المصادر العربية والفارسية .

وقد ترجمت هنا ماورد فى الفارسية ، ونقلت العربية كما هى إلا ما احتاج الأمر إلى تصويبه بعد الرجوع إلى مصادره الأصيلة .

الباب الثانى
فى ابتداء أحوال الشيخ

فصل[1] (١)

الست أم محمد والدة الشيخ الكبير : —

كانت من العابدات القانتات[2] سافرت الحجاز مع ابنها[3] عن طريق البحر ، ولها مكاشفات ومشاهدات

وعن الشيخ : لما فرغت من كتابة الحديث عن ابن سعدان ، ورجعت من فسا إلى شيراز ، وكانت لوالدتى دعوة حضر فيها المشايخ والصوفية ، فلما جلسوا على الطعام قال أبو الحسن بن هند : ضعوا من هذا الطعام نصيبا لأبى عبد الله فقالوا ، أين موصوف هذا ؟ فقال: على كل حال ضعوا له شيئا ، فبينما هم فى ذلك إذ دخلت أنا فقلت : السلام عليكم . فتواجد أبو الحسن وقام عن مجلسه وجعل يدور ويقول : ماكذب قلبى قط ، ثم احضروا لى نصيبى فأكلت .

توفيت قبل الشيخ بسنين ، ودفنت عند القنطرة العليا بدرب اصطخر فى حظيرتها رحمة الله عليهم[4] .

(١) باللغة العربية (٢) فى النص : القانتنات
(٣) فى النص : ابنه وعنده : أبوالحسين بن هند

(ص٢٢١)

فصل (٢)[1]

روى أنه كان عنده مريدان : أحدهما أحمد الكبير ، والآخر أحمد الصغير ، وكان الشيخ يحسن معاملة أحمد الصغير ؛ فغار الأصحاب من ذلك ،ذلك أن أحمد الكبير قام بأعمال كثيرة ،وزاول رياضات

وعلم الشيخ بذلك فأراد أن يبين لهم أن أحمد الصغير أفضل ، وكان هناك جمل بارك على باب الرباط قال الشيخ : ياأحمد الكبير قال : لبيك . قال احمل ذلك الجمل إلى سطح الرباط ، فقال : أحمد : ياشيخ كيف يمكن حمل الجمل إلى السطح ؟ فقال الشيخ : الآن فاذهب ؛ ثم قال : ياأحمد الصغير ، قال لبيك ، قال : احمل ذلك الجمل إلى سطح الرباط ، فعقد منطقته فى الحال ؛ وشمّر عن أكمامه وأسرع خارجا ، فوضع يده تحت الجمل، واستجمع قوته : فلم يستطع الإمساك به . فقال الشيخ : لقد تم الأمر يا أحمد وصار معلوما .

ثم قال للصحاب : أن أحمد الصغير قام بما فى وسعه ، ونفذ الأمر ، ولم يعترض ،ولم ينظر إلى أمرى أهو ممكن أو غير ممكن. واشتغل أحمد الكبير بالحجة وجادل . ومن الممكن أن يطالع الباطن من الظاهر[2] .

---

(١) باللغة الفارسية .

(٢) تذكرة : ٢ / ١٢٩

فصل (٣)[١]

الشيخ أبو أحمد الكبير : اسمه الفضل بن محمد خادم الشيخ وصاحبه ، قال الديلمى : رأيته نحوا من خمسة وعشرين سنة عليه جباب صوف غليظة بلا سراويل ، وكان كثير العزلة ، حسن السيرة لم يرقط[٢] فى خصومة ولافضول ، قد حبب إليه (ص٢٢٢) الانفراد والخلوة ، وكان يأوى بيتا فوق سطح رباطه نحو خمسين سنة فى الشتاء والصيف يحتمل بردها وحرها ، ويراعى أوقات الصلوات ليلا ونهارا ، ماسها عن وقت واحد ، نهاره صائم وليله قائم ، ولايدخل على القضاة والسلاطين ، وكان له أحاديث ، ويكتب كتابة ودية ، قال : كنا مع أبى عبد الله البيطاروأبى نصر الطوسى ، والحسن الجواليقى فى بستان فخرجنا إلى الطهارة وقت الظهيرة[٣] فإذا أبو أحمد فى[٤] الصحراء وحده ، فقالت له الجماعة : أيها الشيخ هذا الوقت حار فلو ساعدتنا ودخلت أو ساعدناك ، فقال : ولكن ارجعوا إلى ماكنتم فيه ، ودعونى ففيه السلامة لى ولكم ، فتركوه ومضى حتى غاب عن أعينهم فأثر فى الجماعة ذلك .

توفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، ودفن خلف الشيخ الكبير بحظيرته المقدسة رحمه الله[٥]

فصل (٤)[٦]

الشيخ أبو أحمد الصغير : اسمه الحسن بن على الشيرازى خادم الشيخ وصاحبه ، قال : صحبت الشيخ وخدمته خمسا وثلاثين سنة

---

(١) باللغة العربية

(٢) فى النص : قصة .

(٣) فى النص : الظهر

(٤) فى النص : أبو أحمد...ثم الصحراء .

(٥) شد ... ٤٦–٤٧

(٦) باللغة العربية

مامعنا في البيت ثالث إلا امرأة في بعض الأوقات تجيء وتخدم .

قال الديلمي : سمعت الشيخ الكبير رحمه الله يقول كيف لا أحب أبا أحمد وكان يغطيني وأهلي بالثياب ثلاثين سنة . قال مات وقد قارب السبعين مارأيته ولاسمعت قبله أن تغير عما كان عليه من الفقر . وثبت على ذلك حتى شاخ وضعف ، وما أفرد قط لنفسه (ص٢٢٣) طعاما ولامكانا . كان يأكل مع الفقراء . وينام حيث ينام الفقراء ، وما فرش لنفسه إلا في مرض موته ، وكان أُميًّا لا يكتب ، ويستقي الماء ويكنس الرباط كالصبي الصغير ، وإذا دعى بالشيخ غضب ، يخدم نهاره مع الصبيان ويقوم ليله كالرهبان ، ماعرفت له طول عمره زلة ولا هفوة ، لبس مرقّعة واحدة مدة حياته ، ونزعت عنه في المغسل ، وأوصى عند موته بمرقعته ومنديله لصبيان الرباط ، وأوصى بكساء كان له لكفن والحنط والمؤن .

توفي سنة خمس وثمانية وثلثمائة ، ودفن عند الشيخ أبي أحمد الكبير خلف الشيخ وقبره متصل بقبرهما والله أعلم (١) .

فصل (٥)[٢]

روى أنه قال لخادمه في منتصف الليل : جئني بامرأة ، فأنا اشتهيتها . فقال الخادم أين أذهب في منتصف الليل ، ولكن عندى ابنة ، إذا سمح الشيخ آتيه بها ، قال أحضرها فأحضرها الخادم ، وتزوجها الشيخ في الحال[٣] وحين انقضت سبعة أشهر ، أنجبت

---

(١) شد : ٤٧ – ٤٨ ؛ وفي الأصل رحمة الله عليهم بدلا من الله أعلم .

(٢) باللغة الفارسية

(٣) نامة دانشوران : ٢ – ١ ؛ فطلب ابنته ثم أتى بعد ذلك بكثير من النساء والجوارى إلى البيت .

الفتاة طفلا توفى فى الحال . فقال الشيخ للخادم : قل للفتاة إن كانت تريد الطلاق ، أو تظل على حالها . فقال الخادم : ياشيخ ماالسر فى ذلك ؟ قال : فى تلك الليلة التى تزوجت فيها ، كنت قد رأيت القيامة فى النوم ، وقد عجز خلق كثير ، (ص ٢٢٤) وغرقوا فى عرقهم ، وفجأة أقبل طفل فأخذ بيد والديه ، ومررهما من الصراط كالنسيم ، فأردت أن يكون لى طفل أيضا ، وحينما ولد الطفل ومات تم المقصود [1]

فصل (٦)[2]

وسمعت أنه عقد أربعمائة زواج ، ويرجع هذا إلى أنه كان من أصل ملكى ، وأنه بعد توبته كان موضع محبة أهل شيراز ، وكان بنات الملوك والأمراء يرغبن فى الزواج منه من أجل مايلحق بهن من بركته ، فكان يستجيب لرغبتهن ويطلقهن قبل الزواج .

ولكن خلال حياته كان هناك أربعون زوجة ، يخدمن فراشه مثنى وثلاث ، وكانت إحداهن ابنة وزير ، وأخذت كل واحدة تقص قصتها معه ، فأجمعن على أنه لم يلامسهن ، وكانت كل واحدة تظن أنه يعاملها بهذه الصورة دون زميلاتها ، ولكن عندما علمن أن هذا سلوك الشيخ منهن جميعا على حد سواء ، استبدت بهن الدهشة ، وقلن : لايعلم سر معاشرته إلا بنت الوزير ، إذ كان بينهما طول

---

(١) نامه دانشوران : ٢/١٤٤ ، وأيضا عبر كل من له طفل الصراط ، فوقفت متحسرا ثم قمت من النوم ، فقلت لنفسى : لاينبغى أن اخرج عن سنة لرسول الله ، وكان أن عجبت فى الأمر على ذلك النسق ، حتى لااعد من زمرة فليس منى . المترجم : اشارة الى من رغب عن سنتى فليس منى .

(٢) باللغة الفارسية .

الصحبة وحسن العشرة ، وكانت أحب نسائه إليه (ص ٢٢٥) فاخترن من بينهن اثنتين ،وأرسلنها إليهافلما سألاها أجابت :عندماعرس الشيخ بى وقيل لى : أنه سيزورنى الليلة . أعددت عشاء طيبا ، وتزينت ، وما أن جاءنى وأعددت مائدة الطعام ، حتى نادانى . ثم نظر لفترة من الزمن إلى وجهى ، ثم إلى الطعام . ثم أخذ بيدى وأدخلها فى كمه ، فألقيت من صدره إلى سرته خمس عشرة عقدة ؛ ثم قال : يابنت الوزير ، سلينى عن هذه العقد ؛ فسألته فأجاب « إنها عقد ناجمة عما أعانى من ألم الإعراض عن وجه كهذا وطعام كذاك » ولم يزد عن ذلك وخرج . وهذا هو مدى ارتباطى به [١] .

فصـــل (٧)[٢]

وبإسناد من أبى القاسم بن على بن المحسن التنوخى عن أبيه قال : أخبرنى جماعة من أهل العلم ، أن بشيراز رجلا يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك ، يجتمعون إليه فيتكلم عن الخطرات والوساوس ، ويحضر حلقته ألوف من الناس ، وأنه فاره فهم حاذق ، فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب .

قال فمات رجل منهم من أصحابه ، وخلف زوجة صوفية ، فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمهن غيرهن . فلما (ص ٢٢٦) فرغوا من دفنه ، دخل ابن خفيف وخواص أصحابه ، وهم عدد كثير إلى الدار ، وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت : قد تعزيت [٣]

---

(١) كشف المحجوب : ٣١٨، تذكره ٢ـ ١٢٨ (٢) باللغة العربية .

(ص ٢٢٧)

الباب الثالث
فى بيان رحلات الشيخ

فصل (١)[١]

قال عبد الله بن خفيف رضى الله عنه : دخلت بغداد قاصدا الحج وفى رأسى نخوة الصوفية ، ولم آكل أربعين ليلة ولم أدخل على الجنيد ، ولم أشرب ، فرأيت ظبيا فى البر على رأس بئر وهو يشرب ، وكنت عطشانا فدنوت من البئر ، وإذا الماء فى أسفله ، فمشيت وقلت : ياسيدى مالى عندك محل هذا الظبى ، فسمعت من خلفى : جربناك فلم تصبر ، ارجع خذ الماء ، إن الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتى ، فكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة[٢] .

فصل (٢)[٣]

وعن ابن خفيف : خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبى على الروزبارى ، فقال لى عيسى بن يونس المصرى ، المعروف بالزاهد : أن شابا (ص ٢٢٨) وكهلا ، قد اجتمعا على حال المراقبة ، فلو نظرت إليهما لعلك تستفيد منهما ، فدخلت إلى صورا[٤] ، وأنا جائع

---

(١) باللغة العربية . (٢) - سلمى : ٥٩٢ (غير موجودة فى الطبعة الحديثة) السبكى تذكرة ١٥٢/٢ ، ويزيد القزوينى : ولم ينفذ الماء فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد على قال : لو صبرت لنبع الماء من تحت قدمك لو صبرت ساعة . (٣) باللغة العربية

(٤) هكذا و لعلها صور .

عطشان وفى وسطى خرقة ، وليس على كتفى شىء . فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلين القبلة . فسلمت عليهما فما أجاباني ، فسلمت ثانية وثالثة ، فلم أسمع الجواب . فقلت : ناشدتكما بالله ألا رددتما السلام ، فرفع الشاب رأسه من مرقعته . فنظر إلى وقال لى : ابن خفيف الدنيا قليل ، وما بقى من القليل إلا القليل . فخذ من القليل الكثير ، يابن خفيف ماأقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا .

قال : فأخذ بكليتى ثم طأطأ رأسه فى المكان ، فبقيت عندهما ، حتى صلينا الظهر والعصر ، فذهب جوعى وعطشى وعنائى . فلما كان وقت العصر [1] قلت : عظنى ، فرفع إلى رأسه وقال : يابن خفيف نحن أصحاب المصائب [2] ليس لنا لسان العظة ، فبقيت عندهما ثلاثة أيام ، لاآكل ولا أشرب ولا أنام ، ومارأيتهما أكلا شيئا ولا شربا ولا ناما . فلما كان فى اليوم الثالث ، قلت فى سرى : أحلفهما أن يعظانى لعلى أنتفع بعظتهما ، فرفع الشاب رأسه فقال لى : يابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ، وتقع هيبته على قلبك ، يعظك بلسان فعله ، ولا يعظك بلسان قوله .

والسلام . قم عنا [3]

---

(١) لعله المغرب فقد ذكرت السطر السابق إنه صلى العصر معهما .

(٢) فى النص المسائب .

(٣) إحياء ٤–٣٦١ ، السبكى ٢–١٥٣ ، تذكره ٢–١٢٧ ، طرائق ٢–٢١٣ (بالفارسية) سمعت ذات مرة أن كهلا وفتى من مصر قد اداما المراقبة . وذكر اسم عيسى فى الإحياء باسم نس المصرى وفى السبكى باسم يونس المغربى الزاهد.

فصل (٣)[1]

روى أنه قال : ذات سنة كنت فى ديار الروم ، وذات يوم خرجت إلى الصحراء ، فرأيتهم قد أتوا براهب كأنه شبح ، فأحرقوه ، وكحلوا بغباره العميان ، فأبصروا بقدرة الله تعالى ،وكانوا يطعمون هذا الغبار للمرضى فيشفون (ص ٢٢٩) فعجبت : كيف يكون هذا وهم على الباطل ، وفى تلك الليلة رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم فى النوم قلت : يارسول الله ماذا تصنع هنا ؟ قال : لقد جئت من أجلك ، قلت : يارسول الله ، أى أمر هذا ؟ قال : هذا أثر الصدق والرياضة فى الباطل ، فما بالك لو كانا فى الحق ![2] .

فصل (٤)[3]

قال ابن خفيف : كنت مدة أسيح على وجه الأرض للالتقاء بالبدلاء ، فسئمت من السياحة والسفر ، فرجعت إلى بلد اصطخر فارس ، فدخلت دويرة الصوفية ، فرأيت جماعة من المشايخ ، وبين أيديهم مأكول ، وهم تسعة نفر منهم الحسن بن أبى سعد ، وأبوالأزهر بن حيان وجماعته ، فوقفت ساعة فتوضأت ، فلما فرغت وسعوا لى فقعدت معهم ، وتناولت مما كانوا يأكلون ، وتفرقنا .

فرقدت رقدة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام ، يقول لى : ياابن خفيف من كنت تطلبهم وترجو مجالستهم ، هم هؤلاء فى هذا البلد ، وأنت منهم ، فطالبتنى نفسى أن أخبر القوم

---

(١) باللغة الفارسية (٢) تذكرة ٢-١٢٧ (٣) باللغة العربية

بما رأيت ، فعلانى منهم وقار وهيبة ولم ألبث ساعة من النهار ، حتى قابلنى الشيخ الحسن بن أبى سعد وقال لى : ياأبا عبد الله أخبرهم بما رأيت فى المنام ، فأخبرتهم فتفرقوا فى البلدان حين فشا الخبر ، رضى الله عنهم وعن سائر الصالحين آمين[1] .

فصل (٥)[2]

(ص ٢٣٠)

روى أن برهميا نَاظَر ابن خفيف فقال : إن كان دينكم حقا فتعال نصبر عن الطعام أربعين يوما ، فأجابه رضى الله عنه إ ذلك ، فعجز البرهمى عن إكمال العدة المذكورة وأكملها الشيخ ، وهو طيب مسرور – يعلوه نور .

وناظره أيضا برهمى آخر أن يمكثا تحت الماء مدة معلومة ، فأجابه الشيخ ومات البرهمى ، فظهرت جيفته على الماء ، ومكث الشيخ إلى أن وفى تلك المدة[3] .

فصل (٦)[4]

والشيخ أبو عبد الله بن خفيف ، كبير القدر فى الأولياء شهير الذكر ، وهو الذى أظهر طريق جبل سرنديب ، بجزيرة سيلان من أرض الهند كرامة لهذا الشيخ .

---

(١) روض الرياض فى حكايات الصالحين (هنار وضة الحكاية) ص٧٩ (من طبعة ١٣١٥)

(٢) باللغة العربية .

(٣) سلمى ٩٣ (غير موجودة فى الطبعة الحديثة) ، السبكى ٢-١٥٢ ويضيف وخرج سالما سالما ولم يظهر عليه تغير ما .

(٤) باللغة العربية .

يحكى أنه قصد مرة جبل سرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء فأصابتهم مجاعة فى الطريق إلى الجبل حيث لاعمارة ، وتاهوا عن الطريق ، وطلبوا من الشيخ أن يأذن لهم فى القبض على بعض الفيلة الصغار ، وهى فى ذلك المحل كثيرة جدا ، ومنه تحمل إلى حضرة ملك الهند ، فنهاهم الشيخ عن ذلك فغلب عليهم الجوع . فتعدوا قول الشيخ ، وقبضوا على فيل صغير منها ، وذكوه ، وأكلوا لحمه ، وامتنع الشيخ عن أكله .

فلما ناموا تلك الليلة ، اجتمعت الفيلة من كل ناحية ، وأتت إليهم فكانت (ص ٢٣١) تشم الرجل منهم وتقتله حتى أتت عليهم جميعا ، وشمت الشيخ ولم تتعرض له ، وأخذه فيل منها ، ولف عليه خرطومه ، ورمى به على ظهره ، وأتى به الموضع الذى فيه العمارة ، فلما رآه أهل تلك الناحية عجبوا منه ، واستقبلوه ليتعرفوا أمره ، فلما قرب منهم أمسكه الفيل بخرطومه . ووضعه من على ظهره إلى الأرض بحيث يرونه ، فجاءوا إليه ، وتمسحوا به وذهبوا به إلى ملكهم فعرفوه خبره ، وهم كفار وأقام عندهم أياما ، وهذا الموضع على خور يسمى خور الخيرزان والخور هو النهر ، وبذلك الموضع مغاص الجوهر ، ويذكر أن الشيخ غاص فى بعض تلك الأيام بمحضر ملكهم ، وخرج وقد ضم يديه معا ، وقال للملك : اختر ما فى إحداهما ، فاختار ما فى اليمنى فرمى إليه بما فيها وكانت ثلاثة أحجار من الياقوت لامثيل لها ، وهى عند ملوكهم فى التاج يتوارثونها [1]

---

(١) ابن بطوطة . طبعة مصر حـ ١ ١٣٣ - ١٣٤ .

ص (٢١٢)

الباب الرابع
فى أحوال عدد من المشايخ الذين لقيهم الشيخ فى مكة

فصل (١)[1]

وقال ابن خفيف : سمعت أبا بكر الكتانى يقول : سرت أنا والعباس بن المهدى ، وأبو سعيد الخراز فى بعض السنين ، وضللنا عن الطريق . والتقينا بحيرة ، فبينا نحن كذلك ، إذا بشاب قد أقبل وفى يده محبرة وعلى عنقه مخلاة فيها كتب ، فقلنا له : يا فتى كيف الطريق ، فقال لنا : الطريق طريقان . فما أنتم عليه فطريق العامه ، وما أنا عليه فطريق الخاصة ، ووضع رجله فى البحر وعبره[2]

فصل (٢)[3]

والحديث بإسناد عن عبد الله بن خفيف قال : قال يوسف بن أسباط : خرجت من سبح راجلا حتى أتيت المصيصة ؛ وجرابى فى عنقى ، فقام ذا من حانوته يسلم على وذا يسلم ، فطرحت جرابى ودخلت المسجد أصلى ركعتين ، فأحد قوابى ، واطلع رجل فى وجهى ؛ فقلت فى نفسى : كم بقاء قلبى على هذا ، فأخذت جرابى ورجعت بعرقى رعنائى إلى سبح ، فما رجع قلبى إلى سنتين

---

(١) باللغة العربية .

(٢) السبكى ٢-١٥١ ، أنظر أيضا الرسالة : ٢١٨ .

(٣) باللغة العربية .

(٤) ابن الجوزى : ١٥٥ - ١٥٦ .

(ص ٢٣٣)

الباب الخامس

فى نعت عدد من المشايخ لقيهم الشيخ بالعراق

فصل (١)[1]

وقال أبو عبد الله بن خفيف : قال لى رويم : يابنى اجعل علمك ملحا وأدبك دقيقا[2]

فصل (٢)[3]

يقول أبو عبد الله بن خفيف : ماوقع بصرى على أحد قط ، تحدث فى التوحيد مثل رويم[4]

فصل (٣)[5]

وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال : سمعت محمد بن خفيف يقول : قال رويم : كل الخلق قعدوا على الرسوم ، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق . وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع ، وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق[6] .

---

(١) باللغة العربية — (٢) 16, As. 1136

(٣) باللغة الفارسية . — (٤) ـ أنصارى : ٢١٧

(٥) باللغة العربية . — (٦) رسالة ٢٧ـابن الجوزى ١٦٣

فصل (٤)[١]

(ص ٢٣٤)

قال ابن خفيف : سأَلت رويم بن محمد عن التصوف فقال : يابنى التصوف إفناء الناسوتية ، وظهور اللاهوتية ، فقلت : زدنى رحمك الله ، فقال : لا رحمنى الله إن كان فى ذلك مزيد[٢] .

فصـــل (٥)[٣]

الحسين بن منصور الحلاج :

. . . . . . وجعلوه من المحققين حتى قال محمد بن خفيف : الحسين بن منصور عالم ربانى[٤] .

فصـــل (٦)[٥]

وقال أحمد بن يونس : كنا فى ضيافة ببغداد ، فأَطال الجنيد اللسان فى الحلاج ونسبه إلى الشعبذه والنيرنج ، وكان مجلسا خاصا ، فلم يتكلم أحد احتراما للجنيد ، فقال ابن خفيف : ياشيخ لاتطول ، ليس إجابة الدعاء والإخبار عن الأَسرار من النيرنجات والشعبذة والسحر ، فاتفق على تصديق ابن خفيف ، فلما خرجنا أَخبرت الحلاج بذلك ، فضحك وقال : أَما محمد بن خفيف فقد

---

(١) باللغة العربية

(٢) ابن يزدانيار   ١٢ a

(٣) باللغة العربية .

(٤) سلمى : ٣٠٨ ، تذكرة ٢-١٣٦ ، تاريخ بغداد ٨-١١٢ ، شعرانى ١-١٠٧

(٥) باللغة العربية

تعصب هو والجنيد ؛ وسيؤجران على ذلك وأما أبو القاسم الجنيد .
فقد قال إنه كذب ولكن قل له : «سيعلم الذين ظلموا أى منْقلب
ينقلبون »[(١)] .

فصل (٧)[(٢)]

(ص ٢٣٥)

الحلاج : ولم يذهب إليه فى السجن أحد طيلة خمسة أشهر ،
إلا ابن عطاء مرة وابن خفيف مرة[(٣)] .

فصل (٨)[(٤)]

حكى أن أبا عبد الله بن خفيف ، قبل يد الحسين بن منصور
وهو فى الحبس ، فقال : لو كانت اليد يدنا لمنعناك ؛ ولكن اليد يد
تبوسم[(٥)] اليوم وتقطع غدا . ثم يجلس عند الشيخ ساعة ولا يتكلم ،
إلا أن يسأله عن شيء . فيجيبه عن سؤاله ، ولا يبلغه سلاما ،
ولا يذكر أحدا إلا أن يكون نظيره فى الحال ، أو فى السن ،
فيجوز ذلك ثم يرجع إلى موضعه[(٦)] .

فصل (٩)[(٧)]

روى عن أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى قال : خرجت من
شيراز قاصدا زيارة أبى المغيث الحسين منصور الحلاج ، كى أسمع

---

(١) اخبار الحلاج Receuil 60 N. 7 والآية الشعراء ـ٢٢٧.
(٢) باللغة الفارسية (٣) تذكرة ٢ـ١٤١
(٤) باللغة العربية (٥) هكذا فى النص . (٦) b - 76 Ase 1136
(٧) باللغة العربية

من مستحسناته ، وغرائب كلماته : فدخلت بغداد فسمعت أنه فى السجن ، فأتيت حاجب المقتدر فسألته الدخول عليه ، فأخذ بيدى وأتى بى إلى السجان ، وقال له : أى وقت أراد هذا الشيخ الدخول على الحلاج فلا تمنعه ، فدخلت عليه ، وسلمت عليه برفيع من صوتى ، فرفع إلى رأسه وقال : وعليك السلام ياابن خفيف . (ص ٢٣٦) .

قال ابن خفيف : فورد على وارد من ذلك عظيم ،[1] بأنه عرفنى ولم يكن لديه معرفة تقدمت قبل ذلك ، فقال لى : ماتقول العامة فى ، فقلت : ياسيدى بعضهم يقول : كاهن ، والبعض يقول : ساحر ، والبعض يقول : على قدر عقله ، قال : ياابن خفيف هذا كلام العامة فما سمعت عن الخليفة المقتدر ، يقول : قلت : يقول نقتله ، فتبسم وقال : حسب الواجد إفرادُ الواحد ثم أنشأ يقول :

أَحرف أَربع بها هام قلبى وتلاشت بها همومى وفكرى
أَلف قد تألف الخلق بالصنع ثم لام على الملاحة تجرى
ثم لام زيادة فى المعانى ثم هاء بها أَهيم أَتدرى[2]

قال : فكتبتها عنه وحفظتها منه ، فلما كان فى اليوم الثانى عدت إليه فقال

إذا هجرت فمن لى ومن يجمل كلى
ومن لروحى وراحى يا أكثرى وأقلى

---

(١) باللغة العربية (٢) فى النص : عظيما بدلا من عظيم و لدى بدلا من لديه

أحبك البعض منى فقد ذهبت بكلى
ياكل كلى فكن لى إن لم تكن لى فمن لى
ياكل كلى وأهلى عند انقطاعى وذلى
مالى سوى الروح خذها والروح جهد المقل (١)

قال : فكتبتها عنه وحفظتها منه . فلما كان اليوم الثالث عدت إليه فقال : (ص٢٣٧)

لى حبيب أزور فى الخلوات حاضر غائب عن اللحظات
ما ترانى أصغى إليه بسمع كى أعى ما يقول من كلمات
كلمات من غير شكل ولانطق ولا مثل نغمة الأصوات
حاضر غائب قريب بعيد وهم لم تحده رسوم الصفات
وهو أدنى من الضمير إلى الوهم وأخفى من لائح الخطرات (٢)

قال : فكتبتها عنه وحفظتها منه ،فلما كان اليوم الرابع عدت إليه فقال :

لبيك لبيك ياسرى ونجوائى لبيك لبيك ياقصدى ومعنائى
أدعوك بل أنت تدعونى إليك فهل ناديت إياك أم ناجيت إيائى
ياعين عين وجودى يامدى همى يامنطقى وعباراتى وإعيائى
ياكل كلى ويا سمعى ويابصرى (٣) ياجملتى وتباعيضى وأجزائى

(١) فى النص : خذها والمقطوعة : ديوان رقم ١٢٥
(٢) ديوان : رقم ١١. (٣) فى النص بصرى بدون ياء

يامن به علقت روحي فقد تلفت ... وجدا فصرت رهينا تحت أهوائي

أبكي على شجني من فرقتي وطني ... طوعا ويسعدني بالنوح أعدائي

أدنو فيبعدني خوفي فيقلقني ... شوق تمكن من مكنون أحشائي

فكيف أصنع في حب كلفت به ... مولاى قد مل من سقمي أطبائي

قالوا تداوبه منه[1] فقلت لهم ... ياقوم هل يتداو الداء بالدائي

حبي لمولاى أضناني وأسقمني ... فكيف أشكو إلى مولاى مولائي[2]

ياويح روحي منه ياروحي[3] فوا أسفي

على مني فإني أصل بلوائي

إني لأرمقه والقلب يعرفه ... فما يترجم عنه غير إيمائي

ذاك العليم بما لاقيت من دنف ... وفي مشيئته موتي وإحيائي

ياغاية السؤل والمأمول ياسكني ... ياعيش روحي ياديني ودنياء

قل لي فديتك ياسمعي ويابصري ... لم ذا اللجاجة في بعدي وإقصائي

إن كنت بالغيب عن عيني محتجبا ... فالقلب يرعاك في الأبعاد والنائي[4]

(ص ٢٣٨) قال : فكتبتها عنه ، وحفظتها منه ، فلما كان في اليوم الخامس عدت إليه فقال : يا ابن خفيف من اليوم إلى خمسة عشر يوما ، يكون من أمري كذا وكذا ؛ ثم قام وتوضأ للصلاة . وكان

---

(١) في النص : من وصحته منه .

(٢) في النص ملائي .

(٣) غير موجودة في النص ورأيتها لازمة للوزن .

(٤) ديوان : ١ .

فى السجن حبل مشدود ، وعليه خرقة فأَتته الخرقة من مكان بعيد فلا أدرى أَتجارى [1] الخرقة إليه ، أَم مد يده فأَخذها ، فبت [2] متعجبا ، وبهت شاخصا نحوه ، ففهم عنى ، وأَشار إلى الحائط فإذا به قد انفتح ، ورأَيت الدجلة والمراكب والناس قيام على الشاطئين [3] فأَخذنى عند ذلك زمع [4] ، ثم اشتغل فخرجت من عنده وكنت أُريد أن أَخرج إلى بلدى ، فصبرت حتى أَرى ما يكون من أَمره .

فلما كان بعد خمسة عشر يوما ، دعا به المقتدر فقطع يديه ورجليه على طرف الجسر فمشى على الخشبة التى صلب عليها تسع عشرة خطوة على ركبه حتى صلب ، وجاءه حامد بن العباس البلخى الوزير إلى عند خشبته فقال : الحمد لله الذى أَمكن ياعدو الله ، فكيف رأَيت تقبيل الناس يديك ورجليك وقولهم سيدى ومولاى وأَنت راض بذلك ، فالتفت الحسين بن منصور وقال : اسمع ياألكع إن كنت تحسن تسمع : قال :

تأَمل الوجد وجد والفقد فى الوجد وجد [5]

قال ابن خفيف : فقدمت إليه فى الليلة التى صلب فيها ، فلما رأَيته كان على خشبته التى صلب عليها : قال فرأَيته وأَنا مفكر فى أَمره وإذا به ينادينى أَن أَقبل إلىَّ : فأَقبلت إليه فقال لى : دعانى بالحقيقة

---

(١) هكذا فى النص .

(٢) فى النص فبتيت . ، (٣) فى النص : الشاطئين

(٤) الزمع : رعدة من الخوف والنشاط . أساس البلاغة جا ص ٤٠٧ .

(٥) ذكرت الشطرة الثانية فى النص : والعقد فى الوجد .....وتكملتها وجد الأخيرة . ديوان مخطوطة رقم ١٤٩ .

ففعل (ص ٢٣٩) بنا ما ترى ، فلما أَصبحنا جاءه حامد بن العباس الوزير ، ومعه موكبه وصاحب الشرطة محمد بن عبد الصمد ، فنشره ، فإذا فيه شهادة أربعة وثمانين من الفقهاء والقراء ، بأَن فى قتله صلاح المسلمين ودمه فى رقابنا ، فقال الوزير : أُريد الشهود، فإذا هم يهرعون إليه فقال لهم: هذه شهادتكم وخطوطكم ، فقال الوزير : للشهود : أَمير المومنين برئ من دمه ، قالوا : نعم ، قال : وأَنا برئ من دمه ، قالوا : نعم فتقدم إليه السياف فأَنشأَ يقول

نديمى غير منسوبٍ إلى شى من الحيف
سقانى مثلما يشرب كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأْس دعا بالنطع[1] والسيف
كذا من يشرب الراح مع التنين فى الصيف[2]

قال : ثم ضرب عنقه ، فبقى جسده ساعتين من النهار قائما ورأْسه بين رجليه، يتكلم بكلام لا يفهم إلا أَن آخر كلامه : أَحد أَحد فتقدمت إليه فإذا الدم يخرج ، ويكتب على الأَرض : الله . . الله فى إحدى وثلاثين موضعا ، ثم حرق بالنار

قال ابن خفيف : فرجعت إلى شيراز ، فبقيت مفكرا فى أَمره مدة أَربعين يوما ، فنمت ليلة من الليالى فرأَيت كأَن

(١) فى النص : النطيع (٢) ديوان : رقم ٧٣ .

القيامة قد قامت ،[١] والناس فى الحساب وأنا أقول : سيدى الحسين ابن منصور ولى من أوليائك ، سلطت[٢] عليه خلقك ، فنوديت من الحق : علمته أسمائى يدعو بها الخلق إلىّ ، فباح بسرى بين خلقى وسلطت عليه خلقى . (ص ٢٤٠) قال ابن خفيف : قتل الحلاج يوم الثلاثاء لسته بقين من ذى الحجة سنة تسع وثلثمائة[٣]

فصل (١٠)[٤]

قال شيخ الإسلام : سألت الشيخ أبا عبد الله بن باكو : ما تقول فى الحلاج قال : سألت شيخى أبا عبد الله بن خفيف هذا السؤال فقال : ما أقول فى حق امرئ يقول :

وحدنى واحدى بتوحيد صدق   ما إليه من المسالك طرق[٥]

أنا الحق والحق للحق حق   لا بس ذاته فما ثم فرق

قد تجلت[٦] طوالع زهرات   يتشعشعن فى لوامع برق[٧]

فصل (١١)[٨]

وقد حكى فى هذا المعنى عن الشبلى رحمه الله أنه سئل عن معنى قوله تعالى « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ[٩] » فقيل

---

(١) فى النص : كأن القيامة قد قامت .   (٢) فى النص : سلطنت .

(٣) كل هذا الفصل من asl Permamm II 333

(٤) باللغة الفارسية .   (٥) فى النص : من المالك طراق .

(٦) فى النص : تحلت .   (٧) ديوان ٧٥ ، طواسين ١٣٨ ، أنصارى : ٣١٦ والبيت الأخير عنده : هو حق الحق للحق حق لا بس ملبس حقائق حق .

(٨) باللغة العربية .   (٩) آل عمران ٥٤

له : قدعلمت موضع مكرهم . فما موضع مكر الله بهم؟ فقال : تركهم على ماهم فيه ، ولو شاء أن يغير لغير ، فقال :

فشهد الشبلى رحمه الله لى السائل أنه لم يغنه جوابه ، فقال : أما سمعت بفلانة الطنبرانية فى ذلك الجانب تقول : ص ٢٤١

ويقبح من اسواك الفعل عندى .·. وتفعله فيحسن منك ذاكا

قال الشيخ رحمه الله : فانظر أين تقع إشارته من قصدها ، وجميع ذلك داخل فى الذى قيل : « إن الحكمة ضالة المؤمن »[1] وصاحب المسألة والسؤال أبوعبد الله خفيف كما بلغنى والله أعلم[2]

فصل (١٢)[3]

وقال الشيخ أبو عبد الله : من كثرة ما كان على بن شلويه يتردد على الصحارى والجبال ، شغف به جماعة من الأكراد ، أتى إليه قرويان وقالا : إن لكل منّا ابنة ، ولكل واحدة منهما أربعة آلاف رأس من الغنم ، ونريد أن ننكحك إياهما ، وأن تكون هذه الأغنام للصادر والوارد من الفقراء ، فتزوج الفتاتين . وذات يوم رآه مؤمل فقال له : لاتفضل حالك على حالنا فقد صرت مثلنا ، قال : لقد فعلت هذا من أجل الله تعالى . قال مؤمل : قد فعلناه من أجل الله تعالى ، فقال على بن ملويه طلقتهما ثلاثا ، طلقوا أيضا إن كنتم صادقين . فقال له مؤمل يامشئوم نسيت السنة فى الطلاق[4]

---

(١) رواه الثعلبى . كنوز الحقائق للمناوى ١–١٠٨ .

١ / ٢) اللمع ، ٢٩٨ ، السكى ٢–١٥٠ .　　(٣) باللغة الفارسية .

فصل (١٣) [1]

ولقد سمعت الأُستاذ أبا عبد الله محمد بن عبيد الله الشيرازى الصوفى ، رحمه الله يقول سمعت بعض أَصحاب أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى — رحمه الله — يقول سمعت أبا عبد الله ابن خفيف رحمه الله يقول : (ص ٢٤٢) دخلت البصرة فى أيام شبابى لأَرى أبا الحسن الأَشعرى ، رحمه الله عليه لما بلغنى خبره ، فرأيت شيخا بهى المنظر فقلت له : أين منزل أبى الحسن الأَشعرى ؛ فقال : وما الذى تريد منه ، فقلت : أُحب أن أَلقاه ، فقال : ابتكر غدا إلى هذا الموضع ، قال : فابتكرت . فلما رأيته تبعته ، فدخل دار بعض وجوه البلد ، فلماَّ أَبصروه أكرموا محله ،

وكان هناك جمع من العلماء ومجلس نظر ؛ فأَقعدوه فى الصدر ، فلما شرع فى الكلام دخل هذا الشيخ فأَخذ يرد عليه ، ويناظره حتى أفحمه ؛ فقضيت العجب من علمه وفصاحته ، فقلت لبعض من كان عندى : من هذا الشيخ ، فقال : أَبو الحسن الأَشعرى ، فلما قاموا تبعته ، فالتفت إلىَّ وقال يافتى كيف رأيت الأَشعرى ؛ فخدمته وقلت : ياسيدى لما هو فى محله ولكن مسأَلة ، قال : قل يابنى فقلت مثلك فى فضلك وعلو منزلتك كيف لم تسأَل ويُسأَل غيرك ، فقال : أنا لا أتكلم مع هؤلاء ابتداءً ، ولكن إذا خاضوا فى ذكر مالايجوزفى دين اللَّه ؛

---

(١) باللغة العربية .

رددنا عليهم بحكم مافرض الله عليه من الرد على مخالفى الحق ، وعلى هذه الجملة سيرة السلف ، أصحاب الحديث المتكلمين منهم فى الرد على المخالفين ، وأهل الشبه والزيغ [1] .

فصل (١٤)[2]

وهذا فصل عن ابن خفيف يتضمن رحلته إلى الشيخ أبى الحسن الأشعرى — رحمه الله ورضى عنه — :

قال الإمام الجليل ضياءُ الدين الرازى أبو الإمام فخر الدين ، —رحمهما الله —فى آخر كتابه «غاية المرام فى علوم الكلام » حكى عن الشيخ أبى عبد الله بن (ص ٢٤٣) خفيف شيخ الشيرازيين وإمامهم فى وقته — رحمه الله — أنه قال :

دعانى أرب ، وحب أدب ، ولوع ألب ، وشوق غلب ، وطلب ياله من طلب ، أن أحرك نحو البصرة ركابى . فى عنفوان شبابى ، لكثرة مابلغنى ، على لسان البدوى والحضرى ، من فضائل شيخنا أبى الحسن الأشعرى ، لأستسعد بلقاءِ ذلك الوحيد ، وأستفيد مما فتح الله تعالى من ينابيع التوحيد ، إذ حاز فى ذلك الفن قصب السباق ، وكان مما يشار إليه بالأصابع فى الآفاق وفاق الفضلاءِ من أبناءِ زمانه ، واشتاق العلماءُ إلى استماع بيانه ، وكنت يومئذ لفرط اللهج بالعلم واقتباسه ، والطمع فى تقمص لباسه ، أختلف إلى كل من جل وقل ، واستسقى الوابل والطل

---

(١) السبكى ٢-٢٧٧ .

(٢) باللغه العربية السبكى ٢-١٥٥-١٥٩ .

وأتعلل بعسى ولعل ، فأخذت إليه أهبة السير ، وخفقت إليه خفوق الطير ، حتى حللت ربوعها ، وارتبعت ربيعها ، فوجدتها على ماتصف الألسن ، وتلذ الأعين ، نظيفة المكان ، ترغب الغريب فى الاستيطان ، وتنسيه هوى الأوطان ، فألقيت بها الجران ، وألغيت أهلها الجيران . فلما أنخت بمغناها الخصيب ، وأصبت من مرعاها بنصيب ، كنت أروز [1] فى مسارح لحاتى ، ومسايح غدواتى وروحاتى ، أحدا يشفى أوامى ، ويرشدنى إلى مرامى ، حتى أدتنى خاتمة المطاف ، وهدتنى فاتحة الألطاف ، إلى شيخ بهى منظره ، شهى مخبره ، تعلوه حمرة متحيز إلى زمرة ، فلمحته ببصرى ، وأمعنت فيه نظرى وفرحت به فرحة الحبيب بالحبيب ، والعليل بالطبيب ، لما وجدت فيه ريح المحبوب ، كما وجد فى قميص يوسف يعقوب ، على ماقال صلى الله عليه وسلم « الأوراح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » [٢]

فناجانى فكرى بالإقدام عليه ، وتقاضانى قلبى بالسلام عليه ، فاهتززت لذلك (ص ٢٤٤) اهتزاز المحبين ، إذ التقيا بعد البين ، وحييته تحية محترز عن القدرى ، واستخبرته عن أبى الحسن الأشعرى ، فرد على السلام ، بأوفر الأقسام وأجزل السهام وأجابنى بلسان ذلق ، ووجه طلق ، كهيئة المقيد ، ماالذى منه تريد ، فقلت : قد بلغنى ذكراه ، تقت أن ألقاه ، لأحى

(١) أروز : من المادة أرز ولا يزال فلان يأرز إلى وطنه أى حيثما ذهب رجع إليه . أساس البلاغة للزمخشرى ١ — ٩ المترجم .

(٢) ورد فى البخارى عن عائشة . الجامع الصغير ١ — ١٠٦ المترجم .

بمحياه ، وأتطيف برياه ، واستسعد بلقياه ، واستفيد من نفائس أنفاسه جداه وجدواه ، واحر قلباه ، وواشدة شوقاه : عسى الله أن يجمعنى وإياه .

فلما رأى الشيخ أن شغف الحب زادى [1] فى سفرى ، وعنانى فى حضرى ، وملك خلدى ، واستنقد جلدى ، وأن الشوق قد بلغ المدى ، واللوع قد جاوز الحدا ، قال : ابتكر إلى موضع قدمى هاتين غدا ، فبذلت القياد ، وفارقت على الميعاد ، وبت أساهر النجوم ، وأساور الوجوم ، وما برح الحب سمير ذكرى ، ونديم فكرى ، يستعر استعارا ويلتهب بين ضلوعى نارا ، إلى أن قضى الليل جلبابه ، واستلب الصبح خضابه ، فلما رأيت الليلة قد شابت ذوائبها ، وذابت شوائبها ، ودر قرن الغزالة وثبت وثبة الغزالة وبرزت أنشد الشيخ البهى ، وأتوسم الوجوه بالنظر الجلى ، فألفيته فى المقام المعهود متنكرا ، واقفا لى منتظرا ، فدلفت إليه ، لأقضى حق السلام عليه ، فلما رآنى سبقنى بالسلام ، وحفى للأقدام ، فقضيت الزمام ، وقرنت رد جوابه بالاستسلام ، وقلت حييت بإكرام ، وحييت بين الكرام .

ثم استصحبنى وسار ، فتبعته متابعة العماة أولى الأبصار حتى انتهى إلى القصد ، ودخل دار بعض وجوه البلد ، وفيها قد حضر جماعة للنظر ، فلما رآهم النيام ، تسارعوا إلى القيام ،

---

(١) فى النص : زادنى .

واستبقوا [1] إلى الباب ، وتلقوه بالترحاب ، وبادروا بالسلام ، وما يليق من الإكرام ، ثم عظموه ، وإلى الصدر قدموه ، وأحاطوا به إحاطة الهالة بالقمر (ص ٢٤٥) والأكمام بالثمر ، ثم أخذ الخصام يتبادلون فى المناظرة أطراف الكلام ، وكنت أنظر من بعيد ، متكئا على حد سعيد حتى التقى الجمع بالجمع ، وقرن النبع بالنبع ، فبينما هم يرمون فى عمايتهم ، ويخبطون فى غوايتهم ، إذ دخل الشيخ دخول من فاز بنهرة الطالب ، وفرحة الغالب ، بلسان يفتق الشعور ، ويفلل الصخور ، وألفاظ كغمرات الألحاظ ، والكرى بعد الاستيقاظ ، أرق من أديم الهواء ، وأعذب من زلال الماء ، ومعان كأنها فلك عان ، وبيان كعتاب الكعاب ، ووصل الأحباب فى أيام الشباب ، تفيد الصم بيانا ، وتعيد الشاب شبابا ، تهدى إلى الروح روح الوصال ، فتهب على النفوس هبوب الشمال ، وكان إذا نشأ وشى ، وإذا عبر حبر ، وإذا أوجز أعجز ، وإذا أسهب أذهب ، فلم يدع مشكلة إلا أزالها ، ولا معضلة إلا أزاحها ، ولا فسادا إلا أصلحه ، ولا عنادا إلا زحزحه ، حتى تبين الحى من اللى ، والرشد من الغى ، ورفل الحق فى أذياله ، واعتدل باعتداله ، وأقبل عليه الخاصة والعامة بإقباله .

فلما فرغ من إنشاء دلالته ، بعد جولانى فى هيجان البلاغة من بسالته ، حار الحاضرون فى جوابه ، وتعجبوا من

---

(١) فى النص [illegible]

فصل خطابه . وعاد الخصوم كأنهم فراش النار وخشاش الأبصار . وأوباش الأمصار ، عليهم الدبرة ، وعلى وجوههم الغبرة . قلت لبعض الحاضرين من الناظرين : من هذا الذى أكثر اختلاف القلوب ، ونظم على هذا الأسلوب ، الذى لم ينسج على منواله ، ولم تسمح قريحة بمثاله ، وأجابنى وقال : هو الباز الأشهب والمبارز الأشغب ، والبحر الطامى والطود السامى ، والغيث الهامى ، والليث الحامى ، ناصر الحق وناصح الخلق ، قاطع البدعة ، ولسان الحكمة ، وإمام الأمة ، وقوام الملة ، ذو الرأى (ص ٢٤٦) الوضىء ، والرواء المرضى ذو القلب الذكى ، والنسب الزكى ، السرى بن السرى ، والبجل الحرى ، والسيد العبقرى ، أبو الحسن الأشعرى ، فرمت طرفى فى ميسمه ، وأمعنت النظر فى توسمه ، متعجبا من تلهف جدوته ، وتألف جلوته ، دعوت له بامتداد الأجل ، وارتداد الوجل . فبينما أنا فيه إذ شمر للانثناء بعد حيازة الثناء ، وشحذ للتحفز غرار عزمته ، وخرج يقتاد القلوب بأزمته ، فتبعته مقتفيا لخدمته ، ومنتهجا مواطىء قدمه فالتفت إلىَّ وقال : يافتى كيف وجدت أبا الحسن حين أفتى فهرولت لالتزام قدمه ، وإستلام يده ، وقلت

ومسحل مثل حد السيف منصلت

تزل عن غرة الألباب والفكر

طعنت بالحجة الغراء جيلهم
ورمح غيرك منه العى والحصر

لا قام ضدك، ولا قعد جدك، ولا فض فوك، ولا لحقك من يقفوك، فوالذى سمك السماء ، وعلم آدم الأسماء، لقد أبديت اليد البيضاء، وسكنت الضوضاء وكشفت الغماء، ولحنت الدهماء. وقطعت الأحشاء وقمعت البدع والأهواء ، بلسان عضب وبيان عذب . آنس من الروض الممطور ، والوضى المنثور ، وأصفى من ذار الأمطار . ودر البحار وجررت ذيل الفخار على هامة الشعراء ، وقديما قيل إن من البيان لسحرا .

بيد أنه قد بقى لى سؤال . لما عرانى من الأشكال ، فقال أذكر سؤالك ولا تعرض عما بداك فقلت :رأيت الأمر لم يجر على نظام ، لأنك ما افتتحت فى الكلام ، ودأب المناظر ألايسأل غيرك ، ومثلك حاضر ، قال : أجل لكنى فى الابتداء ولا أذكر الدليل ، ولا أشتغل بالتعليل ، إذ فيه تسبب إلى إلجاء الخصم فى شبهه بطريق الاعتراض ، (ص٢٤٧) وما أنا بالتسبب إلى المعصية راض ، فامهله حتى يذكر ضلالته، ويفرد شبهه ومقالته ، فحينئذ نص على الجواب ، فأرجو بذلك من الله الثواب .

قال الراوى : فلما رأيت مخبره، بعد أن سمعت خبره ،

وما دونه صفر . قد بلغ من الديانة أعلى النهاية ،وأوفى من الأمانة كل غاية ،وأنه هو الذى أومأ إليه الكتاب والسنة ، بحيازة هذه المنة ، نصر الحق ، ونصح الخلق ، وإعلان الدين ، والذب عن الإسلام والمسلمين ، فشادلى من الاعتداد بأوفر الأعداد . وأودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد ، فتعلقت بأهدابه ، لخصائص آدابه ، ونافست فى مصافاته ، لنفائس صفاته . ولبثت معه برهة أستفيد منه فى كل يوم نزهة ، وأدرأ عن نفسى للمعتزلة شبهة ، ثم ألفيت مع علو درجته ، وتفاقم مرتبته . كان يقوم بتثقيف أوده من كسب يده ، من اتخاذ تجارة العقاقير معيشة ، والاكتفاء بها عيشته ، اتقاء للشبهات ، وإبقاء على الشهوات . رضى بالكفاف وإيثارا اللعفاف

(ص ٢٤٨)

الباب السادس

فى ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا فى شيراز

فصل (١)[١]

روى الديلمى عن الشيخ الكبير أبى عبد الله أنه قال : ما رأيت واجدا متحققا فى وجده على السرمدية مثل أحمد بن يحيى ، وهو أول شيخ صحبه أبو عبد الله[٢] .

فصل (٢)[٣]

أبو العباس أحمد بن يحيى الشيرازى هو أستاذ الشيخ أبى عبد الله بن خفيف ، قال أبو عبد الله : لم أر واجدا متحققا مثله ، كان تام السكر ، وحين كان يذهب إلى الصحراء ، كان يلعب مع السباع . ولحق بالجنيد ، ورويم ، وسهل بن عبد الله[٤]

فصل (٣)[٥]

عبد الرحيم الاصطخرى : قال الديلمى : كان طريقه الشطح[٦] وإظهار الشطارة ، يلبس الأكسية الشيرازية ، كأنه شاطر يذهب إلى الصيد معه الكلاب ، وكانت عنده حمائم .

---

(١) باللغة العربية .
(٢) شد ١٣٨ .
(٣) باللغة الفارسية .
(٤) نفحات ١٤٤ .
(٥) باللغة العربية .
(٦) فى النص : الشطح .

وسئل الشيخ الكبير عن أَحواله فقال : كان يتسلى بتلك الحمائم عن ثقل له ، قال : وعزم ليلة على الصيد ، فرصده أَحد (ص ٢٤٩) حين خرج ، فقفا أَثره من غير أَن يعلم به ، قال : فلما توسط الجبال أَطلق الكلاب ، ولبس مدرعة كانت معه ، وانتصب قائما يذكر الله عز وجل . فسمعت جلبة فى الجبل ، حتى ظننت مابقى شجر ولا حجر ولا ذو روح ، إلا ذكر الله بذكره [١] .

فصل (٤) [٢]

بندار بن الحسين بن محمد بن المهلب الأَركانى :

. . . . وبينه وبين محمد بن خفيف مفاوضات فى مسائل ، رد على محمد بن خفيف فى مسأَلة الأَيمان وغيرها حين رد محمد بن خفيف على أَقوال المشايخ . فصوب بندار أَقاويل الشيخ ورد عليه مارد عليهم [٣]

فصل (٥) [٤]

يقول الشيخ أَبو عبد الله بن خفيف : قال لى الشيخ أَبو بكر القصرى ذات يوم : هلم بنا نخرج إلى الصحراء ، فبينا نحن نسير ، رأَينا قوما ما جنين [٥] يلعبون النرد على نجد ، فذهب أَبو بكر وجلس بينهم ، وانهمك فى اللعب معهم ، فتصببت عرقا من الخجل ، إذ كان يفعل هذا والناس ينظرون إلينا .

---

(١) شد ٥١ . (٢) باللغة العربية .

(٣) ابن عساكر ١٧٩ ، أنصارى : ٤٢٣ ، سلمى : ٤٦٥ ، السبكى ٢ — ١٩٥ .

(٤) بالفة الفارسية . (٥) فى النص : أز محنون ، وصحتها أز مجون . المترجم .

وفى النهاية هبطنا وسرنا ، فرأينا بضعة أشخاص يلعبون الشطرنج ، فاندفع إليهم [1] ، وجذب رقعتهم فمزقها ، وألقى بعيدا بتلك القطع الخشبية ، فسحب اثنان منهما السكين . فقال لهما القصرى : أعطيانى السكين لآكلها ، فتعجبوا ، وتركناهم وقلت بحدة (ص ٢٥٠) شديدة : ذلك التجاوز هناك وهذا الاحتساب هنا ، فما هى جريرتهم هنا ؟ قال حينذاك كنت أنظر بالنظر اللدنى فلم أفرقا . والآن نظرت بالنظر العلمى ، فرأيت حكمه [2]

فصل (٦) [3]

وقال الشيخ أبو عبد الله أيضا : كان الشيخ أبو بكر القصرى كثير الإطراق . فسألته عن سبب ذلك ، فقال : فيما مضى وفى سالف عهدى ، كنت آكل شيئا كل سبعة أيام بلياليها . وكان رجل من الجن يأتينى ويسلم على من حيث لا أراه فقلت له ذات يوم : ماذا يكون لو ظهرت ؟

وفجأة رأيت شخصا قد بدا لى على أبهى صورة . قلت : من أنت ؟ قال : أنا من مؤمنى الجن ، وحينما نرى أمثالكم نحب أن نأتى ونسلم عليهم ، ثم قلت : من الآن اظهر لى فى كل آن . وانعقدت بيننا ألفة ، وآنس بى كثيرا . وكان يعلمنى أشياء . فقلت له ذات يوم : هيا بنا نذهب إلى المسجد ونجلس ساعة . قال : حينئذ

---

(١) فى النص بيك باز رفت و صحابيك باز رفت : أى ذهب دفعة واحدة أو اندفع

(٢) أنصارى ٤٣١ ، نفحات ١٩٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ (أبو القاسم القصرى) .

(٣) باللغة الفارسية .

تجلس ونتحدث ويراك الناس ولا يروننى ، ينسبونك إلى الوسواس ، قلت : هيا ولنجلس فى طرف المسجد ، فلا يرانا أحد ، فدخلنا وجلسنا ، قال : كيف ترى هؤلاء الناس ؟ قلت : بعضهم نعسان والبعض نائم ، والبعض الثالث يقظ ، قال : هل ترى مافوق رؤوسهم ؟ قلت : لا ، فمسح على عينى فرأيت فوق رأس كل واحد قد حط غراب ، (ص ٢٥١) وقد رفرف بجناحيه على أعين البعض ، وجلس فوق رؤوس البعض بينما أخذ يحط حينا ، ويطير حينا آخر على رؤوس البعض الآخر قلت : ماهذا ؟ قال : أو لم تقرأ قول الله تعالى «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ له شَيْطاناً فهو لهُ قرينٌ »[1] ، هؤلاء هم الشياطين ، قد جلسوا فوق رؤوسهم ، واستولوا على كل واحد بقدر غفلته .

وظل ذلك الجنى يأتينى هكذا ، ويظهر لى ، حتى كان ذات يوم أصابنى فيه جوع شديد ، وكان عندى بقية من خبز الصدقة ، كما كان قد بقى على وقت الإفطار الذى اعتدته أربعة أيام فأخذت كسرة من ذلك الخبز وأكلتها ، فسكن جوعى ، وفجأة أتانى ذلك الجنى وسلم علىّ ، ولكن لم يظهر وقال : كنا نريدك من أجل هذه الرياضة وذياك الصبر ولكن حين امتحناك لم تكن صبورا ، قال هذا وذهب ، ولم يعد مرة ثانية ، وافترقنا منذ ذلك الوقت[2]

---

(١) الزخرف : ٣٦ (٢) نفحات ٢٥٢ — ٢٥٣ (أبو القاسم)

فصل (٧) [(١)]

وكان الحصرى وابن خفيف قرينين ، كانا فى نفس الزمن ، وغادرا الدنيا فى سنة واحدة ، أما ابن خفيف فكان أكثر عدة ، وكان الحصرى أنقى باطنا ، قال شيخ الإسلام : كنت فى سنة إحدى وسبعين بمكة قلت : حين أعود أذهب لزيارة الحصرى وأبى عبد الله بن خفيف ، وبلغت الأنباء مكة فى تلك السنة أن الحصرى ذهب إلى بغداد ، وأن ابن خفيف ذهب إلى شيراز وتوفيا فى نفس السنة [(٢)] .

فصـــل (٨) [(٣)]

(ص ٢٥٢)

كان على بن بندار ، يسير ذات مرة فى الطريق ، مع أبى عبد الله ابن خفيف ، فبلغا جسرا ضيقا ، فقال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف له : تقدم ، فقال: بل تقدم أنت ، قال : لا يكون ، قال : ولم ؟قال : لقد رأيت الجنيد ولم أره [(٤)] .

فصـــل (٩) [(٥)]

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: قال واحد من هذه الطائفة لى : خرجت إلى الصحراء فرأيت إبراهيم المتوكل قد غسل ملابسه ، ونشرها فى الشمس قلت له : هيا نذهب معا ونأكل شيئا فارتدى ملابسه وهى مبللة . واصطحبنى ، وحينما قطعنا جزءا من الطريق ،

(١) باللغة الفارسية . (٢) أنصارى ٤٤٧ ؛ ٤٥٢ ، نفخات ٢٣١ — ٢٣٢ .

(٣) باللغة الفارسية .

(٤) أنصارى ٢٤٨ ، ٣٢ جريرى (لا على بن بندار) bs 113 ؛ ٧٤ .

(٥) باللغة الفارسية .

رأى قليلا من عنب الثعلب ملقى فى الطريق . فالتقطه وغسله وأكله وجلس . وقال : اذهب أنت فهذا يكفينى . ومهما ألححت لم يأت معى [1]

فصـــل (١٠) [2]

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف قدس الله سره : جاء أبو على الوارجى إلى شيراز للعمل والحكومة ومد السماط لصادر الفقراء وواردهم ، وبعد كل صلاة عشاء ، كان يأتى ويجلس معى فكنا نتحدث معا (ص ٢٥٣) .

وذات ليلة جرى ذكر أيام الإرادة ، فرفع قميصه ، وكان على رقبته أثر على هيئة الطوق ، قلت : ماهذا ؟ قال : كنت فى جبل لكام ، وكنت أرتدى خرقة ، أكلت فى رقبتى ، وحينما عدت من هناك نبت اللحم ، وهذا ماتبقى من أثر ذلك فقلت : إذن وما السبب فى دخولك فى هذا العمل ؟ قال : لقد شاخت أمى وضعفت ، وتجمع على دين كثير ، فاحتجت إلى ماترى [3]

فصـــل (١١) [4]

قال الشيخ أبو عبد الله : أبلغ جعفر الجعدى أن أبا عمرو الاصطخرى قال : كنت أغتسل فانحل إزارى ، فرأيت يدين قد ظهرتا وراء ظهرى ، وأحكمتا إزارى على وسطى . فنهض جعفر الجعدى وذهب إلى اصطخر ، ودخل دار أبى عمرو ، وأمسك

---

(١) نفحات ٢٤٨
(٢) باللغة الفارسية .
(٣) نفحات ٢٥١ .
(٤) باللغة الفارسية .

بقدمه ، فنهض أصحاب أبى عمرو فقال : دعوه ؛ فغضبه لله ؛ وقد جاء ماشيا مسافة اثنى عشر فرسخا ؛ ودخل أبو عمرو فى مقام الاعتذار ، ، وقال : لم أقل ذلك بل قلت كذا وكذا ؛ ثم أمر أصحابه بعد ذلك أن يحسنوا خدمته [(١)]

فصـــل (١٢) [(٢)]

قال شيخ الإسلام : حين وقع خلاف [(٣)] بين الشيخ أبى عبد الله ، والشيخ موسى بن عمران الجيرفتى ، أنفذ إليه رسالة إلى جيرفت ، يقول فيها : إن لى فى شيراز ألف مريد ، لو طلبت من كل واحد منهم ألف دينار (ص ٢٥٤) لما تأخر ليلة . فأرسل موسى بن عمران فى رده : إن لى فى جيرفت ألف عدو ، لو لحق بى واحد منهم ، لما أخرنى إلى ليلة ، ولما تركنى حيا . فهل أنت الصوفى أم أنا ؟ [(٤)]

فصـــل (١٣) [(٥)]

أحمد بن الحسين : جرى بينه وبين الشيخ الكبير أبحاث فى الورع ، وروى أن الشيخ الكبير رأى يوما غصنا من الكرم على طريقه ، فتملكه وغرسه وكان يستقيه من فضل وضوئه

---

(١) نفحات ٢٥١ المترجم : روى شبيه لها عن أبى حنيفة فى كشف المحجوب .

(٢) باللغة الفارسية .

(٣) فى النص الفارسى خونسيه وصحتها خويسه كما ضبطها حبيبى فى حواشى طبقات الأنصارى حواشى ص ٤٥٨ ؛

(٤) أنصارى ٤٥٨ — ٤٥٩ ، نفحات ٢٦٣ .

حتى أثمر ، ثم بعث إلى الشيخ أحمد بقطف عنب من ذاك فلم يأكله ، وقال : كيف آكله ولا أدرى من أين أصل ذاك الكرم [١]

فصــــل (١٤) [٢]

الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بالبيطار :

. . . .وقيل : إن بعض الولاة مرض ، فدعا له الشيخ فشفى ببركة دعائه ، فلقيه الشيخ الكبير ، فقال له : متى صرت بيطارا ؟ فاشتهر به [٣]

---

(١) شد ١٦٢

(٢) بالعربية

(٣) شد ١٠٥ .

الباب السابع

فى ذكر عدد من المشايخ الذين مروا بشيراز

فصل (١)[1]

أبو طالب الخزرجى :

ذات ليلة سمع صوت قرقرة ، قال الشيخ أبو طالب : ما هذا الصوت ياشيرازى ، فقال أبو عبد الله ابن خفيف : كنت آكل فى اليوم بليلة حبة باقلاء جافة ، فأخذت أقللها يوما بعد يوم ، حتى نزلت بها إلى تسع عشرة حبة فى الشهر ، فقال الشيخ أبو طالب : ياشيرازى عض على هذا بالنواجذ ، فقد وقع ماوقع لى ، منذ أن حضرت مع أبى الحسن المزين وليمة ، فجاءوا بحمل مشوى على المائدة ، وكنت قد عاهدت ألا آكل مشويا ، فكففت يدى عنه فقال أبو الحسن المزين : كل بلا أنت[2] ، أى كل ماتراه أمامك ، فظننت الأمر كما يقول ، فأكلت لقمة ، فأحسست أن إيمانى قد خرج منى ، ومن ذلك اليوم فما بعد وأنا أتأخر[3]

---

(١) باللغة الفارسية .

(٢) وردت هكذا بالعربية . وكانت غامضة إلى حد ما . وترجمها الأنصارى بالفارسية (٤٦٨) بى خويشتن بخور : أى كل دون أن تتدخل بأنيتك .

(٣) نفحات : ٢٤٩ ، أنصارى ٤٦٧ — ٤٦٨ : فإذا أنا بإيمانى أحسست قد خرج .

فصل (٢)[1]

قال الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف : قال الشيخ أبو طالب : جاء شاب من خراسان لزيارة الجنيد ، فوضع الجنيد عصاه وركوته فى دار (ص ٢٥٦) وأغلق الباب ، وكان الصحاب مجتمعين فى تلك الليلة .

فقال الجنيد : خذوه معكم ، وإيتونى به صباحا ، وحينما تناولوا الطعام ليلا ، بدأوا اللعب بالحلقات على سبيل المزاح والمطايبة ، وأشاروا إلى ذلك الشاب قائلين : شاركنا ، فأبى وعَيَّرهم ، فنظر إليه الشبلى وقال : اصمت وإلا قمت ففصلت رأسك عن جسدك ، فصمت ذلك الشاب ، ولم ينبس ومضى .

وفى اليوم التالى قصوا على الجنيد هذا الأمر ، فنهض وذهب إلى الدار ، ليتفقد العصا والركوة ، فلم يجدهما ، فخرج وقال لأصحابه : عدة مرات وأنا أوصيكم ، ألا تحقروا غريبا يأتى إلى هنا ، فوالله لقد حمل عصاه وركوته من الدار دون أن أعطيه إياهما ، ومضى[2] .

فصل (٣)[3]

روى أنه كان فى زمانه شيخ محقق ، ولكنه لم يكن من علماء الطريقة ، وقد اتخذ فارس مقاما له ، واسمه محمد الذكيرى ، ولم يرتد مرقعا ، وسألوا عبد الله ابن خفيف : ماهو الشرط فى المرقع ،

---

(١) باللغة الفارسية .

(٢) نفحات : ٢٥٠ — ٢٥١

(٣) باللغة الفارسية .

ولمن يجوز ارتداؤه ؟ قال : شرط المرقع القيام بما يقوم به محمد الذكيرى فى ردائه الأبيض ، وجازله به ارتداؤه ونحن بين الأسمال لاندرى . هل نستطيع القيام به أولا نستطيع ؟[1] .

(ص ٢٥٧)

فصـــل (٤)[2]

روى أنه نزل عند الشيخ مسافر ، قد ارتدى خرقة سوداء ، واشتمل بشملة سوداء ، وائتزر بمئزر أسود ، ووضع قميصا أسود . فداخلت الشيخ غيرة وقال : ياأخى لماذا ترتدى ثيابا سوداء ؟ قال : مات إلا هاى ، أى النفس والهوى ، وقال : « أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ »[3] فقال الشيخ : أخرجوه ، فأخرجوه بإذلال ، ثم أمر : أرجعوه فأرجعوه . وهكذا أمرهم أربعين مرة أن يخرجوه بإذلال ويرجعوه ، ثم نهض الشيخ وقبل رأسه ، وطلب العذر وقال : لقد سلم لك بارتداء السواد ، ففى هذه المرات التى أخرجوك فيها بذلة ، لم تتغير (٤) .

فصل (٥)[5]

سمعت رستم الشيرازى الصوفى يقول : كان أبو عبد الله بن خفيف فى دعوة ، فمد واحد من أصحابه يده إلى الطعام قبل الشيخ ،

---

(١) تذكرة ٢ / ١٢٥

(٢) باللغة الفارسية .

(٣) الجاثية : ٢٣

(٤) تذكرة ٢ / ١٢٩

(٥) باللغة العربية .

لما كان به من الفاقة . فأراد بعض أصحاب الشيخ أن ينكر عليه لسوء أدبه . حيث مد يده إلى الطعام قبل الشيخ ، فوضع شيئا بين يدى هذا الفقير ، فعلم الفقير أنه أنكر عليه لسوء أدبه . فاعتقد ألا يأكل خمسة عشر يوما عقابا[1] لنفسه ، وتأديبا لها وإظهار التوبة من سوء أدبه . وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك[2]

(ص ٢٥٨)

فصل (٦)[3]

روى عن أبى عبد الله بن خفيف أنه قال : سألنا يوما القاضى أبا العباس بن سريج ، وكنا نحضر مجلسه لدرس الفقه ، فقال : محبة الله فرض أو غير فرض ؟ قال : ما الدلالة على ذلك ، فقرأت قوله تعالى : « قلْ إنْ كَانَ آبَاؤكمْ وَأَبْنَاؤكُم وَإخوَانُكُمْ وَأَزوَاجكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَساكِنُ تَرضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكمْ مِنَ اللهِ وَرَسولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتى يَأْتِى اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَومَ الفَاسِقِينَ »[4] فتواعدهم الله على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله ، والوعد لايقع إلا على الغرض ، قلت : ومثل هذا الدليل فى الدلالة على محبة النبى صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله وولده والناس أجمعين »[5]

---

(١) فى النص : عقبة (٢) رسالة ٨٨

(٣) باللغة العربية : من الكفوى ١١١ ، الذهبى ١١٤

(٤) التوبة آية ٢٤

(٥) رواه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن أنس — الجامع الصغير ٢ / ١٧٦ . المترجم

فصـــل (٧)

مريدو الشيخ فى شيراز ومعاصروه

(أ) أبو بكر أحمد بن محمد بن سلمه :

قد صحب أبا عبد الله المقاريضى . والشيخ الكبير أبا عبد الله عاش مائة سنة ، وجاور فى رباط المقاريضى سبعين سنة ، توفى سنة سبع وأربعين وسبعمائة [١] .

(ب) الأكار : أبو على الحسين بن محمد بن أحمد(بازيار) :

(ص ٢٥٩) صحبت الشيخ الكبير . وسافر ولقى المشايخ ، وسلم له الشيخ الكبير الكسب فى عمل الأكارية ، ويقول الشيخ فيه : تصوف الحسين فى مسحاته وتأدب بصحبته الشيخ المرشد أبى إسحق الكارزونى ، وتوفى سنة إحدى وسبعين وثلثمائة ، ودفن بباب مرقد الشيخ الكبير حذاء وجهه . [٢] ولبس خرقة التصوف من حضرة الشيخ الكبير ، ورسخ قدمه سنوات فى خدمته وصحبته [٣] .

(ج) بابا كوهى الشيرازى :

مريد الشيخ عبد الله بن خفيف ـ باكويه : أبو عبد الله محمد بن عبد الله : [٤] لقى الشيخ أبا عبد الله محمد بن خفيف فى أيام شبابه . توفى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائه .

(١) بالعربية شد ١٠٢ ، شيرازنامه : ١٠٩

(٢) شد : ٤٩ المترجم : ولا أدرى من أين أتت الناشرة بسنةوفاته و هى بياض فى نسخة القزوينى وإن أشار فى حواشيه أنها إحدى وتسعين وثلثمائة استنادا على شيرازنامه .

(٣) بالفارسية شيرازنامه ٩٨ ، نفحات ٢٥٤

(٤) تاريخ كزيدة : ٧٨٥ ، شد : ٣٨٠ ، نفحات : ٣٢٠ ، شيرازنامة ١٠٣ المترجم وانظر حواشى القزوينى بالنسبة للخلط بين هذه الشخصية والشاعر باباكوهى ص ٣٨٠ ص ٣٨٢ ، ص ٥٥٠ — ص ٥٦٦ .

(د) البيضاوى : أبو الحسن سالبه بن أحمد .
كانت بدايته فى أواخر الشيخ الكبير [١]

(هـ) حسين بن أحمد بن حسين (ابن أبى بكر الزاهد المتوفى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة) قال الديلمى : مارأيت أحدا صاح من الوجد فى مجلس الشيخ الكبير فرضيه غيره [٢] .

(و) الحضرمى : أبو العلاء ، المشهور بالقفصى :
يقال : إنه أدرك صحبة الشيخ الكبير أبى عبد الله [٣] .

(ز) (ص ٢٦٠) الشيبانى : السيد يحيى بن عمار .
وقد رأى أبا عبد الله بن خفيف فى شيراز وكان قد وضع له مجلسا [٤]

(ح) المقاريضى : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن : قد صحب الشيخ الكبير أبا عبد الله محمد بن خفيف من مبدأ حاله إلى منتهى كماله ، وكان بالباهلية مجلس يتكلم فيه ، وكان فى الحديث والتصوف مشارا إليه ، توفى فى سنة إحدى عشر وأربعمائه ، ودفن فى فضاء مسجد على طرف المقبرة الباهلية ، وزيارة قبره فى قضاء الحوائج أثر عظيم جربه المشايخ . وأخبروا عنه [٥]

(ط) المقاريضى : أبو سعيد عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن : أدرك صحبة الشيخ الكبير . توفى فى سنة أربعة وعشرين وأربعمائة [٦]

---

(١) شيرازنامه : ١٠٠
(٢) شد : ١٦٣
(٣) شد ١٠٨ / ١٠٩
(٤) نفحات ٣٢٥
(٥) شد : ٩٩ شيراز نامه : ١٠١
(٦) شيرازنامه ١٠٢

(ص ٢٦١)

الباب الثامن

شرح كرامات الشيخ

فصـــل (١)[1]

روى أن اثنين من الصوفية جاءا من مكان بعيد لزيارة الشيخ ، فلم يجدا الشيخ فى زاويته ، فسألا : أين الشيخ ؟ فقيل لهما : فى قصر عضد الدولة . قالا : أى أمر للشيخ فى قصور السلاطين ، وآسفا على ظننا فى الشيخ . ثم قالا : لنقم بجولة فى المدينة فدخلا السوق ، وذهبا إلى دكان خياط ، ليخيطا جيب المرقعة . فضاع للخياط مقراض ، فقال لهما : لقد أخذتماه ، وسلما إلى شرطى ، وحملا إلى قصر عضد الدولة ، فأمر عضد الدولة بقطع يد كل منهما . وكان الشيخ أبو عبد الله بن خفيف حاضرا فقال : اصبروا فليس هذا من فعلهما ، فأطلقوهما ، ثم قال : للصوفيين : أيها الشابين ، لقد كان ظنكما فى صادقا ، ولكن مجيىء إلى قصور السلاطين بشأن هذه الأعمال . فصار كلاهما مريدا له . وذلك حتى تعلم أن كل من تعلق بالرجال لايضيعوه ولا يكون ارتكانه على الريح .

---

(١) باللغة الفاسية .

(٢) تذكرة ٢ / ١٣٩ نامة دانشوران ٢ / ٤٤٢

(ص ٢٦٢)

الباب التاسع

فى ذكر الأحاديث (التى رواها الشيخ) [1]

فصل (٢)

حدثنا ابن خفيف : حدثنا القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد ابن إبراهيم : حدثنا شعيب بن أحمد الدارعى : حدثنا الخليل أبو عمرو وعيسى بن المسور قالا : حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا قنان بن عبد الله النهمى ، عن ابن ظبيان ، عن أبى عبيدة بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : سمعت كلاما فى السماء فقلت : ياجبريل من هذا ؟ قال هذا موسى ، قلت : ومن يناجى ؟ قال : ربه قلت : ويرفع صوته على ربه ، قال : إنه قد عرف له حدته . [2]

فصل (٣)

ومن مفاريد ماسمع منه ما أخبرنا فى إجازته وكتابه إلى قال :

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن شاذ هرمز : حدثنا زيد بن احزم عن أبى داود عن شعبه : عن عبد الله بن دينار : عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما عرج بى إلى السماء سمعت

(١) كل فصول هذا الباب باللغة العربية .

(٢) حلية ١٠ — ٣٦٨

تذمرا فقلت : ياجبريل من هذا ؟ قال موسى يتذمر على ربه فقلت : ولم ذلك قال : عرف ذلك منه ، فاحتمله ، هذا من حديث شعبة (ص ٢٦٣) متكرر – وأبو داوود وزيد ثبتان لا يحتملان هذا ، ولعله أدخل لابن شاد هرمز حديثا فى حديث عبد الله بن مسعود .[1]

فصـــل (٤)

قال محمد بن خفيف : لما خلق الله الملائكة والجن والإنس . خلق العصمة والكفاية والحيلة ، فقال للملائكة : اختاروا فاختاروا العصمة ، ثم قال للجن : اختاروا ، فاختاروا العصمة ، فقال : قد سبقتم ، فاختاروا الكفاية . ثم قال للإنس : اختاروا ، فاختاروا العصمة قال : قد سبقتم ، قالوا : الكفاية قيل : قد سبقتم ، فأخذوا الحيلة . فبنوا آدم يحتالون بجهدهم .[2]

فصـــل (٥)

قال ابن خفيف : حدثنا أحمد بن سمعان . قال حدثنا الفضل بن حماد ، حدثنا عبد الكبير بن معاذ بن عمران قال : حدثنا صالح بن موسى الطلحى قال عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لوعدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شربة ماء[3]

---

(١) حلية ١٠ – ٣٦٨

(٢) السلمى ٤٦٤ . تذكرة ٢ – ١٣٠ . المترجم لم يذكر كحديث بل ذكر كقول من أقوال ابن خفيف .

(٣) السلمى : ٤٦٣

(س ٢٦٤

الباب العاشر
فى ذكر مصنفات الشيخ

فصـــل (١)[1]

كتاب الفضائل وجامع الدعوات والأذكار ، للشيخ أبى عبد الله محمد الخفيف الشيرازى الصوفى المتوفى سنة ٣٧١ مجلد : أوله : الحمد لله رفع السماء وما ممكها .... إلى آخره ، رتبها على اثنين وستين ومائتين بابا ، ذكر فيها فضائل القرآن ، وأدعية الصلوات ، وسائر العبادات ، وأدعية الأنبياء والصحابة والزهاد والتابعين .[2]

فصـــل (٢)[3]

ليس أضر بالمريد من مسامحة النفس فى ركوب الرخص وقبول التأويلات .

قال عبد الله بن خفيف مثله .[4]

---

(١) باللغة العربية .

(٢) حاجى خليفة ٥ — ١٣

(٣) هذا الفصل تورد الناشرة الجمل بالعربية ثم مقابلها بالفارسية . وسنكتفى هنا بذكر كلمة مثله إذا كانت الجملتان متطابقتين ، أما إذا كانتا مختلفتين ، فستقدم الترجمة العربية مع النص الفارسى ومثل هذا فى كل الفصول المتشابهة فيما بعد .

(٤) السلمى ٤٦٥ ، رسالة : ٣٧ ، ٩٧٥ ؛ السبكى ٢ — ١٥٤ ، أنصارى ٩ ٤ ٦ ؛ نفحات ٢٤٩ ، الشعرانى ١ — ١٢٠

فصل (٣) فى المحبة[1]

(أ) الباب الثانى : هل يجوز إطلاق العشق من الله على الله ،
وأما شيخنا أبو عبد الله بن خفيف رحمة الله عليه :
فقد كان ينكر ذلك (ص ٢٦٥) زمانا ، وحتى وقعت
إليه مسألة لأبى القاسم الجنيد فى العشق واشتقاقه وماهيته ،
فقال به ورجع عن إنكاره ، وجوزه ، وصنف فيه مسألة .[2]

(ب) الحب : وقال شيخنا أبو عبد الله بن خفيف : يحتمل
أنه (هكذا فى النص) مأخوذة من قوله : (يحبهم) فأفاض
على الأسرار من حبه فاحتواها وألبسها لبسه من حبوبه ،
فساغ فى وضعه فسمى ذلك حبابا باسم الحق ووصفه .[3]

(ج) وحكى شيخنا أبو عبد الله عن أهل دمشق أنهم قالوا :
إن أصل العشق الحب ، ثم الرؤية ، ثم العشق ، وذكر أن
الله تعالى قال لأرميا النبى رضى الله عنه : يا أرميا إنى من
قبل أن خلقتك نبيتك ، ومن قبل أن صورتك قد ستك ، ومن
قبل أن أخرجتك إلى الأرض طهرتك ولأمر عظيم اجتبيتك[4]

---

(١) هذا الفصل باللغة العربية أما العنوانان فبالفارسية .

(٢) الديلمى : a ٥٧

(٣) الديلمى : a ٣١ هنا إشارة للآية ٥٤ من المائدة .

(٤) الديلمى b٣٨ . التوراة باب ١ .

(د) وقال شيخنا أبو عبد الله بن خفيف فى أصل المحبة ،

فقال : إن من الحق لعبده يتولد تأثيرات لابسة لقلوبهم ، وغشاوة تظهر على أسرارهم . ليكونوا بذلك موصوفين ، وإن لم يكونوا لها كاسبين

قال : واحتمل أن يقال أن تأثيرات محبة الحق أغار على القلوب ، فألبسها لبسة نورية وبهجة سماوية ، فوله المحبوب لما غشيه من حبه [(١)] .

(هـ) المحبة ظهور الطاقة ، وبوادى نعمائه اللابس للقلوب للاستلذاذ بذكر المحبوب [(٢)]

(و) المحبة وجد يسر تشعر الأرواح نسيم روحه [(٣)]

فصـــل (٤)[(٤)] فى الذكر

(ص ٢٦٦)

أعلم أن المذكور واحد . والذكر مختلف ومحل قلوب الذاكرين متفاوتة ، فأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم لقوله عليه السلام « من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلت صلاته وصيامة وتلاوته » [(٥)] .

---

(١) الديلمى ٣٩ b

(٢) الديلمى ٤٩ a

(٣) الديلمى ٤٩ a

(٤) باللغة العربية

(٥) الحديث : رواه الطبرانى عن واقد . جامع ٢ — ١٤٠

ثم ينقسم الذكر قسمين ظاهرا وباطنا . فأما الظاهر . فالتهليل والتحميد والتمجيد وتلاوة القرآن ؛ وأما الباطن . فتنبيه القلوب على شرائط التيقظ على معرفة الله وأسمائه وصفاته. وعلى أفعاله ونشر إحسانه ، وإمضاء تدابيره ونفاذ تقديره على جميع خلقه .

ثم يقع ترتيب الأذكار على مقدار الذاكرين . فيكون ذكر الخائفين على مقدار قوارع الوعيد ، وذكر الراجين على مااستبان لهم من موعده ، وذكر المجتبين على قدر تصفح النعما ، وذكر المراقبين على قدر العلم باطلاع الله عليهم ، وذكر المتوكلين على قدر ما انكشف لهم من كفاية الكافى لهم . وذلك مما يطول ذكره ، ويكثر شرحه . فذكر الله منفرد . وهو ذكر المذكور بانفراد أحديته على كل مذكور سواه ، لقوله تعالى فى الحديث القدسى : « من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى »[1] والأصل إفراد النطق بالوهيته لقوله عليه السلام « أفضل الذكر لا إله إلا الله »[2] [3] .

---

(١) عبدى إذا ذكرتى خاليا ذكرتك خاليا وإن ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منهم رواه البيهقى فى الشعب عن ابن عباس جامع ٢ — ٧١ .

(٢) «أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله» رواه الترمذى والنسائى عن جابر (جامع ١ — ٤٢) .

(٣) حلية ١٠ —٣٨٦ ، السبكى ٢ — ١٥٤ ، لبعضه الشعرانى ١ — ١٢٠ .

٢٧٦ ص فصـــل (٥)

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
١ – الإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب ، ومواهب الإيمان بوادى أنواره والملبس لأسراره . وظاهر الإيمان النطق بألوهيته على تصديق أحديته ، وأفعال الإيمان الالتزام عبوديته . والانقياد لقوله . (١)	١ – الإيمان تصديق القلب بما ينكشف له من الغيب . (٢)
٢ – الإنبساط سقوط الاحتشام عند السؤال . (٤)	٢ – الهم كف الجسد عن الطرب . (٣)
٣ – سئل لم صار بلاء المحبين أعظم من سائر الأحوال ، فقال : لأنهم آثروه على أرواحهم فابتلاهم بحبه لهم . (٦)	٣ – مثله . (٥)

(١) حلية : ١٠ – ٣٨٦ إلى الغيوب ، رسالة ٥ ، سلمى : ٤٦٥ ؛ كشف ٣٧٣ الأيمان تصديق القلب بما أعلم الغيوب .

(٢) تذكرة : ٢ – ١٣١ (٣) تذكرة ٢ – ١٣١

(٤) أنصارى : ٤٦٩ ، سبكى ٢/١٥٤

(٥) تذكرة ٢ – ١٣١ (٦) سلمى : ٤٦٦ .

مترجم عن الفارسية	عربى الأصل
انظر رقم ٢ فى الأقوال المترجمة عن الفارسية .	٤ ـ الحزن حصر النفس عن النهوض فى الطرب .[1]
	(ص ٢٦٨)
	٥ ـ الخوف اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود .[2]
	٦ ـ الدنف من احترق فى الأشجار ، ومنع من بث الشكوى .[3]
	٧ ـ الرجا ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب .[4]
٤ ـ الرجاء الاستبشار بوجود وصاله .[6]	٨ ـ حقيقة الرجا الاستبشار بوجود فضله وصحة وعده .[5]

(١) رسالة : ٦٥
(٢) حلية : ١٠ — ٣٨٦
(٣) السبكى : ١٥٤/٢
(٤) رسالة ٨٢ المرجو المحبوب حلية ١٠ — ٣٢٦ الموحد .
(٥) حلية ١٠ — ٣٨٦ . لوجود ، رسالة ٨٢ بوجود وصحته وعده ناقصة .
(٦) تذكرة ٢ — ١٣١

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
٩ – الرجا سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى به واختاره . (١) ١٠–الرضا قسمان : رضا به ورضا عنه . (٢)	٥ – الرضا على قسمين : رضابه ورضا عنه ، فالرضا به يكون فى التدبير ، والرضا عنه يكون بما يجرى به القضاء . (٣) (ص ٢٦٩)
	٦ – الراحة التعفف عن الدنيا وعين الراحة فى الخروج منها . (٤)
١١–حقيقة الإرادة استدامة الكسر وترك الراحة . (٥)	٧ – مثله . (٦)
١٢–الرياضة كسر النفوس بالخدمة ، ومنعها عن الفترة . (٧)	٨ – الرياضة كسر النفوس بالخدمة ومنعها عن الفترة فى الخدمة . (٨)

(١) رسالة : ١١٦ ؛ نامه : ٢ – ٥٤٦

(٢) نامه – ٢ – ٥٤١

(٣) تذكرة ٢ – ١٣١

(٤) تذكرة ٢ – ١٣٠

(٥) السلمى ٤٦٥

(٦) تذكرة ٢ – ١٣١

(٧) السلمى : ٤٦٤ ، حلية ١٠ – ٣٨٧

(٨) تذكرة ٢ – ١٣١

عربى الأصل	مترجم عن الفارسية
١٣–الزهد سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأيدى عن الأملاك [(١)]	
١٤–وحقيقة الزهد التبرم بالدنيا ووجود الراحة فى الخروج منها . [(٢)]	٩ – مثله . (١٢م)
١٥–علامة الزهد وجود الراحة فى الخروج عن الملك . [(٣)]	
١٦–الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . [(٤)]	
١٧–سئل عن السكر فقال : غليان القلب عن معارضات ذكر المحبوب [(٥)] .	

(١) حلية ١٠ – ٣٨٦ ، رسالة ٧٢ .

(٢) حلية : ١٠ – ٣٨٦ .

(٣) رسالة ٧٢ الملك ، إحياء ٤ – ٢١٦ .

(٤) إحياء : ٤ – ٢١٦ .

(٥) حلية ١٠ – ٣٨٦ ، السبكى ٢ – ٤٠١ .

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
(ص ٢٧٠) ١٨ـ المشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق من الغيوب .[١] ١٩ـ الشوق ارتياح القلوب بالوجد ومحبة اللقاء والقرب[٢]	
٢٠ ـ الصبر على ثلاثة أقسام : متصبر وصابر وصبار .[٣]	١٠ ـ الصوفي هو من لبس الصوف على الصفا ، وذاق الهوى في طعم الجفا ، وألقى بالدنيا وراء القفا .[٤]
٢١ ـ الصوفي من استصفاه الحق لنفسه توددا ، والفقير من استصفى نفسه في فقره تقربا[٥]	١١ ـ التصوف الصبر تحت مجاري الأقدار ، والتقرب من يد الملك الجبار ، وقطع الصحاري والقفار .[٦]

(١) حلية ١٠ – ٣٠٨، السبكي ٢ – ١٥٤ الغيب .
(٢) رسالة : ١٩ .
(٣) رسالة : ١١١ . نامة ٢ – ٥٣٩
(٤) تذكرة ٢ – ١٣٠
(٥) نفحات : ١١
(٦) تذكرة ٢ – ١٣١

عربى الأصلى	مترجم عن الفارسية
٢٢ – التصوف تصفية القلوب عن موافقة البرية . ومفارقة الأخلاق الطبيعية . وإخماد صفات البشرية . ومجانبة الدعاوى (ص ٢٧١) النفسانية ، ومناولة الصفات الروحانية والنطق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ماهو أولى على السرمدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء به لله تعالى على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع الشريعة (١)	
٢٣ – التصوف وجود الله فى حين الغفلة (٢)	١٢ – مثله (٣) .

(١) سلمى : ٤٦٤ ، أنصارى : ٤٥٧ ، السبكى ٢ – ٥٥ ؛

(٢) أنصارى ٤٥٥ ، إعلام ١١١ .

(٣) أنصارى ٤٥٥ ، نفخات : ٢٣٥

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
٢٤ — متى تصح العبودية فقال : إذا طرح كله على مولاه وصبر معه على بلواه[١]	١٣ — مثله[٢]
٢٥ — المعرفة مطالعة القلوب لإفراده عن مطالعة تعريفه[٣]	
٢٦ — الغنى الشاكر هو الفقير الصابر[٤]	
٢٧ — الفقر عدم الأملاك والخروج عن أحكام الصفات[٥] .	١٤ — مثله[٦] .
٢٨ — الأكل مع الفقراء قربة إلى الله تعالى[٧] .	

(١) رسالة : ١١٨ ؛ السبكي ٢ ، ١٥٤

(٢) تذكرة ٢ — ١٣١ .

(٣) حلية : ١٠ — ٣٨٦ السراج ٣٦ دون ذكر اسم الشيخ : المعرفة مطالعة القلوب لإفراده على لطائف تعريفه .

(٤) السبكي : ٢—١٥٥

(٥) رسالة ١٦٣ ، نفحات : ١١

(٦) تذكرة : ٢ — ١٣١ .

(٧) ٧٥ ؛ شذرات : ٣ — ٧٧ ,

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
	(ص ٢٧٢)
	٢٩ – قربك منه بخدمة الموافقات ، وقربه منك بدوام التوفيق [(١)]
	٣٠ – القرب طي المسافات بلطيف المداناة [(٢)] .
١٥ – القناعة ألا تطلب ما ليس في يدك [(٤)] وألا تحتاج إلى ما في يدك	٣١ – القناعة الاكتفاء بالبلغة . وحقيقة القناعة ترك التشوف إلى المفقود . والاستغناء بالموجود [(٣)]
١٦ – نفي الذات في الشريعة زندقة ، وفي الحقيقة شرك [(٥)]	
	٣٢ – الإنابة : التزام الخدمة وبذل المحبة [(٦)] .

(١) السلمى : ٤٦٦ ، السبكى ٢ – ١٥٤ بملازمة .
(٢) السبكى : ٢ – ١٥٤
(٣) حلية ١٠ – ٣٨٦
(٤) تذكرة ٢ – ١٣١
(٥) أنصارى ٤٥٧ .

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
٣٣ — التوحيد تحقق القلوب بإثبات الموحد بكمال أسمائه وصفاته . ووجود التوحيد مطالعة الأحدية على إرضاء السرمدية [١]	
٣٤ — التوحيد : الإعراض عن الطبيعة [٢] .	١٧ — مثله [٣] .
(ص ٢٧٣)	
٣٥ — الرضى عن اتصال لمحبوبه في كل شيء وغاب عن كل شيء سواه [٤]	١٨ — مثله [٥] .
٣٦ — التقوى : مجانبة كل شيء يبعدك عن الله [٦] .	١٩ — مثله [٧] .

---

(١) حلية : ١٠ — ٣٨٦

(٢) كشف : ١٩٩

(٣) كشف : ١٩٩

(٤) السبكي : ٢ — ١٥٤

(٥) تذكرة : ٢ — ١٣١

(٦) غنية : ١٣٧ ؛ كل شيء ؛ السلمى ٤٦٥ ، حلية ١٠ — ٣٨٦ ، السبكي ٢ — ١٥٤

(٧) تذكرة ٢ — ١٣١

عربى الأصل	مترجم عن الفارسية
٣٧ – التوكل: الاكتفاءُ بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه[1] ٣٨ – اليقين تحقيق الأسرار بأحكام الغيبيات[2] .	٢٠ – مثله[3]

فصل ٦[4]

وتكلم الشيوخ فى الخاطر الثانى . إذا كان الخاطران من الحق سبحانه وتعالى هو هو أقوى من الأول . فقال الجنيد : الخاطر الأول أقوى لأنه إذا بقى رجع صاحبه إلى التأمل ، وهذا بشرط العلم . فترك الأول يضعف الثانى . وقال ابن عطاء الثانى أقوى لأنه ازداد قوة بالأول . وقال أبو عبد الله بن خفيف من المتأخرين : هما سواء لأن كليهما من الحق ، فلا مزية لأحدهما على الآخر ، والأول لايبقى فى حال وجود الثانى . لأن الآثار لايجوز عليها البقاءُ[5]

---

(١) السلمى : ٣٦٥ ، حلية ١٠ – ٣٨٦ ، السبكى ٢ – ١٥٤

(٢) السلمى : ٣٦٥ تحقق ، حلية ١٠ – ٣٨٦ تحقيق ، رسالة ١٠٨ ، السبكى ٢ – ١٥٤ تحقق .

(٣) تذكرة : ٢ – ١٣١ ، تامة ٢ – ٣٧ ، محقق : أى أن اليقين مبد ما قد قدر فى حجب الغيب

(٤) باللغة العربية .

(٥) رسالة : ٥٧ ، وللسهروردى فى الإحياء ٤ – ١٩١ .

(ص٢٧٤)

وصية ابن خفيف

الوصية العربية الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبته أجمعين ، أما بعد فهذه وصية من كلام الشيخ الكبير سلطان الأقطاب أبو عبد الله محمد بن خفيف الديلمى الشيرازى قدّس الله سره .

يجب على المريد إذا قصد سلوك الطريق ، وخرج من المضيق إلى الشفيق الرقيق أن يحفظ هذه الخصال التى أذكرها .

الوصية المترجمة عن الفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه ترجمة مختصرة للخصال الخمس وعشرين ، أوصى بها حضرة سلطان المشايخ المحققين ، برهان قواعد المدققين ، قطب الأولياء الناسكين ، الهادى إلى طريق حق اليقين . آية من آيات الله الملك اللطيف ، الشيخ أبو عبد الله محمد بن خفيف قدّس الله سره ،

ثم خاتمة كتب : على المريد القاصد الصادق أن يرى أن رعايتها وحفظها واجبان ولازمان عليه . أملا فى أن يثبت من مضيق النفس والطبيعة فى بساط العبودية ، بفضل الله وحسن توفيقه ، وهى على خمس وعشرين خصلة .

الوصية العربية الأصل	الوصية المترجمة عن الفارسية
الأولى : أن يبدأ بالندم على ما سلف من أيامه فى الغفلة والتفريط وأن يخرج من المظالم .	الخصلة الأولى : الندم على الأيام التى ضيعها فى الغفلة وصرفها فى المناهى والملاهى . (ص ٢٧٥ ب) والسعى فى أداء حقوق الله تعالى من تدارك لما فات ومن فرائض ، وحقوق عباد الله من رد للمظالم .
الثانية : أن يتعلم من العلم مايستعمل فى وقته .	الخصلة الثانية : أن يتعلم العلم الذى يفرضه الوقت ويحتاج إليه فى العمل ، بحيث لايجب علم الزكاة على من لاتجب الزكاة عليه . (١)
الثالثة : لزوم الصمت والخلوة وذكر الله تعالى على كل حال .	الخصلة الثالثة : رعاية أمور ثلاثة : الأول : الصمت لعلاج وساوس النفس ، والثانى : الخلوة لجمع الحواس ، والثالث : مداومة الذكر لتصفية القلب .

(١) هنا خلاف مع الهجويرى . انظر كشف المحجوب ص ٤٠٦ . المترجم .

عربى الأصل	مترجم عن الفارسية
الرابعة : أن يعرف حق الله تعالى فى قيامه وقعوده وجميع أحواله .	الخصلة الرابعة : أن يعرف حق الله تعالى فى القيام والقعود . وجميع الأحوال ،حتى يستطيع أن يشتغل برعاية آدابه .
الخامسة : ألاَّ يستعمل إلا مشورة .... وأن يكون للإنسان أخ ناصح .	الخصلة الخامسة : ينبغى ألا يشرع فى أمر يعن له دون مشورة حتى يحفظ من الفساد .
السادسة (ص٢٧٦)أن يوافق قلبه لسانه ، ولا تخطر الدنيا بباله .	الخصلة السادسة : أن يطلب مرشدا ، أو أخا فى الدين حتى يأمن ببركته من المخاطر
السابعة : أن يستعمل الصدق فى جميع أحواله وأقواله .	الخصلة السابعة : ينبغى أن يتوافق قلبه ولسانه ، حتى لايقع فى ورطة الاختلاف ، وينبغى ألا يخطر بفكرة إقبال الدنيا وإدبارها ، حتى لاتهجر قلبه لذة السويداء .
	الخصلة الثامنة : ملازمة الصدق فى جميع الأحوال والأقوال ،

عربى الأصل

الثامنة : أن يضبط بطنه ولسانه ، فإن المريد إذا كان مع شر النفس أكولا يحب الشهوات ، فإنه لايجد مايريد ، ويذهب أيامه بالغفلة والباطل ، فإذا كان كثير الكلام فإنه لايسكن قلبه بذكر الله تعالى ومراقبته ، فإن معصية اللسان أكثر من سائر المعاصى .

التاسعة : أن يستعمل الأدب ولايتكلم إلا بما لابد منه

(ص ٢٧٧) العاشرة : ألا يأكل حتى يجوع ، ولايشرب

مترجم عن الفارسية

يقول الشيخ الشبلى قدس الله سره : مداومة الصدق مع الإخوان ، وملازمة القلب لحضرة الرحمن .

الخصلة التاسعة : ضبط البطن واللسان ، فحينما يبتلى المريد بحب الشهوة ، يمضى أيامه فى الغفلة والبطالة ، ويحرم من الوصول إلى المطلوب ، وحينما يميل إلى كثرة الكلام ، فإن قلبه لايأنس بالذكر ولايشغل بالمراقبة إذ أن معصية اللسان أكثر من سائر المعاصى .

الخصلة العاشرة : استعمال الأدب بظاهر الجوارح وبباطنها فى تزكية النفس ، وتصفية القلب وتجلية الروح .

الخصلة الحادية عشرة : رعاية أمور ثلاثة : الأول : ألا

عربى الأصل	مترجم عن الفارسية
حتى يعطش ، ولاينام حتى يغلب عليه النوم .	يأكل حتى يأخذ منه الجوع ، فقطع المسافة بقطع الغذاء . والثانى : ولايشرب حتى يأخذ منه العطش . حتى لايغلب عليه النوم . والثالث : ألايميل إلى النوم حتى يغلب عليه ، وذلك حتى يأخذ نصيبا من الأفكار الحقانية والمخاطبات الربانية .
الحادية عشرة : ألايحدث مع النساء ولا يجلس معهن فى مواضع الشهوات .	الخصلة الثانية عشرة : أن يجتنب محادثة النساء ومجالستهن خاصة فى مواضع الشهوات حتى يأمن بوائق النفس ووساوس الشيطان .
الثانية عشرة : أن يغض بصره ، ولاينظر إلى مابين يديه ،ولاينظر فى حجرات المسلمين ، فإنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :أن من نظر فى	الخصلة الثالثة عشرة : ينبغى ألا يسترق النظر إلى حجرات المسلمين من خلف ظهره ، فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه

عربى الأصل

حجرات المسلمين فهو منافق .

الثالثة عشرة : ألا يغفل عن الوضوء كل ساعة ولا يغفل عنه عند الأكل والنوم .

(ص٢٧٨) الرابعة عشرة إياه ومجالسة الغافلين إلا عن ضرورة أو فيما لابد منه .

الخامسة عشرة : إياه واستعمال الكلام فى الدنيا.

مترجم عن الفارسية

قال : من نظر فى حجرات المسلمين فهو منافق .

الخصلة الرابعة عشرة : دوام الطهارة ، خاصة فى زمن الأكل والنوم ، فللطهارة فوائد يدرك آثارها أربابها .

الخصلة الخامسة عشرة : اجتناب مجالسة أهل الغفلة إلا فى وقت الضرورة ، وإذا اضطر عليه أن يقوم ، حتى لايصاب بعدوى الغفلة .

الخصلة السادسة عشرة : اجتناب السماع إلى كلام الدنيا ، فمنه يظهر أغلب فساد القلب وتفرقته ، وخوفا من أن يبتلى بمحبته الدنيا ويهلك .

الخصلة السابعة عشرة : ينبغى أن يجتنب منزلا فيه عرس ، حتى لايرتد عن الطريق ، ويبتلى بالتفكير فى النكاح .

عربى الأصل

السادسة عشرة ألَّايقول : إن فعلت كذا لكان كذا ولو لم أفعل كذا لم يكن كذا ، فإنه كلام المنافقين بل يقول : ماشاءَ الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وماقدر سيكون ،حسبنا الله ونعم الوكيل .

(ص٢٧٩) السابعة عشرة : أَلا يناظر جبريا ولاقدريا ، ولا معتزليا ولارافضيا ولا أَحدا إلا مالابد منه .

الثامنة عشرة : إياه والمعاتبة مع أَحد الناس ، فإن هذا ليس من أفعال المريدين القاصدين .

مترجم عن الفارسية

الخصلة الثامنة عشرة : أَن يحترزمن قول هذه الأَلفاظ : لوفعلت كذا لكان كذا ، ولو لم أفعلْ كذا لم يكن كذا ، فهذا من قبيل كلام المنافقين بل ينبغىأَن يقول : ماشاء فعل ، ومايشاء يفعل ، وماقدر كان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الخصلة التاسعة عشرة : ينبغى أَلا يناظر أَبدا قدريا ، أَو معتزليا ، أَو رافضيا ، أَو مبتدعا ، فلا يمكن أَن يغير اعتقادهم ، كما أَن ناقص العقل يتعلق فجأَة بحبال الضلالة بواسطة هذه المناظرة

الخصلة العشرون : عليه بترك العتاب والخطاب ، وعليهبالأَنس بالله تعالى عن اعوجاج الخلق ولجاجهم وعنادهم ، حتى يعتاد

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
	طبعه على المحاسن الكريمة ، ويكون محصنا من التعرض للسخط وغيره .
(التاسعة عشرة : ألا تقبل نفسه شيئا من الوسوسة أنه خير من غيره ، وأنه يعلم مالايعلم غيره .	الخصلة الحادية والعشرون : أن يشغل نفسه بأمر يعود عليه بالخير بدلا من أن يشغل نفسه بالآخرين ، حتى يسرع فى الوصول إلى مقصد الصدق ، ويطلع على علم لااطلاع لأحد عليه .
العشرون : إياه والكبر وعلامته أن يزدرى بأحد من الناس ويستخف بهم .	الخصلة الثانية والعشرون : اجتناب الكبر ، وهو ازدراء الخلائق ، والاستخفاف بأقدارهم ، وهذا من أمراض القلب ، كما أنه عيب كبير جدا ، والخوف من أن توجب له هذه الصفة سخط الأبد .
(ص ٢٨٠) الحادية والعشرون : إياه والعجب ، وعلامة العجب أن	الخصلة الثالثة والعشرون : اجتناب العجب ، وعلامته العجب

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
يرضى بنفسه وعقله ، ولايقبل من أحد شيئا إذا نصحه .	ألا يسلم بعقل أحد ورأيه وصاحب العجب كثيرا مايقع فى الخطأ .
الثانيةوالعشرون : إياه والحسد و لامة الحسد أن يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله .	الخصلة الرابعة والعشرون : اجتناب الحسد ، وعلامة الحسد أن يغبط عبدا أتاه الله نعمة من لدنه . ويرجو زوالها ، وهذه الصفة تقيم العبد دائما فى عذاب أليم .
الثالثة والعشرون : ألا يشتغل بما يشغل قلبه عن مولاه ، فيقعد عن جهده (١) وأن يقعد فى مقعد صدق عند مليك مقتدر حتى تهون عليه كل شدة	الخصلة الخامسة والعشرون ألا يشرع فى أمر يرد قلبه عن الذكر . ويضعفه ويفسد ذوقة فى طلبه ، ويرده عن الطريق ، وينبغي أن يسعى حتى يجد الطريق إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، بحيث إن كل بلاء ومشقة يتوجهان إليه يبدو أن نه سهلين بسيطين

(١) فى النص : عن جهره .

عربي الأصل

الرابعة والعشرون : يحتَاج المريد إلى أَربعة أَشياء : دابة قاهرة ، ودار واسعة ، وثوب حسن ، وسراج مضيء .

فأَما دابة قاهرة . فهي الصبر .

وأَما دار واسعة . فهي العقل .

مترجم عن الفارسية

فائدة : في بيان أَنهناك أَربعة أَشياء ضرورية للمريد : أَولها : دابة حاذقة (ص ٢٨١) تكون ماهرة في قطع المسافات وسرعة السير .

ثانيها : دار واسعة ، يسكن إليها ويستريح فيها .

ثالثها : ثوب حسن ، يبديه بهي المنظر .

رابعا : سراج مضيء .

فالأُولى : دابة حاذقة ، هي الصبر ، يمتطيها متوجها إلى العبادة ، ومجتنبا المعصية ، ومتحملا في نزول البلاء .

والثانية : الدار الواسعة ، هي العقل ، فبالعقل يمكن الأَمن من مضائق وساوس الشيطان ، ومهالك مخالفة النفس .

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
وأما ثوب حسن ، فهو الحياء.	والثالث : الثوب الحسن : هو الحياء ، فبلباس الحياء يمكن اجتناب الأفعال والأقوال المبتذلة . ويمكن أن تؤدب النفس بالآداب الروحانية .
وأما سراج مضىء . فهو العلم .	والرابع : السراج المضىء : وهو العلم النافع ، الذى يبلغ المريد فى طريق الاستقامة بنور الهداية ، ويرشده إلى منابع التوفيق .
(ص ٢٨٢) ووصيتى[1] لهم بحفظ العهد ، والوفاء بالوعد ، وذكر الله تعالى على كل حال[2] وكتمان الفقر ، والقعود مع الحق فى طريق الحق ، حتى يصل بالحق ، وحسبنا الله ونعم الوكيل	واعلم أن وصيتى حفاظ على ست : الأول : الحفاظ على العهد ، فلا يجوز نقضه فهذه ضعة .

(١) هى الوصية الخامسة والعشرون وإن لم يذكر العدد فى النص .

(٢) ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إنى مسلم من إذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان . رواه أبو الشيخ عن أنس جامع ١/١١٩ المترجم .

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله أجمعين .	الثانى : الوفاء بالوعد ، فوعد الكذب علامة النفاق . الثالث : ملازمة عتبة الحق بالمجاهدات والرياضات ، وتحمل البلاء والمخالفات ، حتى يصير مستعدا لقبول الصدق ، وقابلا للفيض الإلهى وأسراره . الرابع : ملازمة ذكر الله تعالى على كل حال ، حتى ينجلى القلب وينشرح ويجد الإخلاص من وحشة الغيرية . الخامس : إخفاء الفقر ظاهر أو باطنا من نظر النفس وحب المدح ، وأن يحفظ قدره عن العمل . السادس – الجلوس مع أهل الحق ، فى الكلام بأسرار الحق حتى يصل بمعونة الحق وهدايته إلى حضرة الحق إن شاء الله تعالى .

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
	(ص ٢٨٣) وحسبنا الله ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المحجلين [1] وسلم تسليما كثيرا والحمد لله وحده .

(١) فى النص بياض يذكر فيه هذه عادة . المترجم .

(ص ٢٨٤)

معتقد ابن خفيف

عربى الأصل

قال الشيخ الكبير أبو عبد الله ابن الخفيف ، قدس الله سره : هذا معتقدى ومعتقد الأئمة السادة والعلماء الصيد القادة الذين قبلى وفى زمانى من أهل السنة والجماعة :

الحمد لله الذى هدانا السبل ، وأنزل إلينا الكتاب ، ومن علينا بالرسل ، وبين الآثار والسنن ، وفصل الآيات والسور ، فحذر وأنذر ، ونهى وأمر ، وحرم

مترجم عن الفارسية

معتقد قطب الأولياء والمحققين ، سلطان الموحدين أبى عبد الله محمد بن الخفيف ، قدس الله روحه العزيز .

قال الشيخ أبو الحسن على بن محمد الديلمى نور الله قبره فى .... السير : سمعت الشيخ أبا عبد الله بن خفيف ، قدس الله روحه . وترجمه إلى الفارسية مولانا زين الدين نايبى رحمه الله .

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
وحرض وزجر . وجعلها عظة لمن اتعظ . وعبرة لمن اعتبر . ولله الحمد أولا وآخرا . وظاهرا وباطنا . والصلاة على خير خلقه محمد المصطفى وآله الطيبين الأخيار .	مثله (٢)
(ص ٢٨٥) أما بعد فإن العاقل من صحح اعتقاده عدة للقاء ربه ، وأخلص نيته تزكية لأعماله . وأحسن عبادة ربه ذخرا لميعاده وعلم أنه لم يخلق عبثا ولم يترك سدى فيجتهد فى توثيق عرى دينه وتصفية عمله وتصحيح عبادته فيه يتم ويصفو* . ويزيد وينمو . والله الموفق لسبل الرشاد ولما يحب ويرضى .	أما بعد . فحقا وصدقا أن العاقل هو من صحح اعتقاده . حتى لايخجل حينما يلقى الله تعالى . ويخلص نيته ويصفيها . حتى يشرع فى أعماله وأفعاله طاهرا . وكما ينبغى أن يكون . ويشتغل بالأعمال الحسنة . ويمضى أيامه فى الطاعة حتى يكون ذلك عونا له وذخرا فى الغد . حين تقوم الساعة . وينبغى أن يعلم العبد أن الله

عربى الأصل	مترجم عن الفارسية
	تعالى لم يخلقه عبثا ، ولن يتركه سدى . إذن فمادام الأمر كذلك، ينبغى عليه أن يجتهد ، ويكافح فى تثبيت دينه وأحكامه ، وتصفية أعماله وأفعاله ، وتنقيتها وتصحيح عبادته ، فبهذا الأمر يتم الدين ، ويزداد ويصفو ، والله تبارك وتعالى هو الموفق ، ويبدى (ص ٢٨٦) طرق الخير والصواب ، فياإلهى هب الجميع توفيق الهداية إلى الطريق بحق محمد وآله .
فأول مايحتاج إليه العبد اعتقاده فى التوحيد[1] لتتم به سائر الأعمال .	مثله .
فيعتقد أن الله واحد لامن حيث العدد ولا كالآحاد ، وأنه	والاعتقاد فى التوحيد أن يعلم يقينا ، أن الله تبارك وتعالى

(١) فى النص التوحيد فقط

مترجم عن الفارسية	عربى الأصل
الجدير بالعبادة واحد ، لامن حيث العدد ولا كآحاد الخلق ، شىء ليس كمثله شىء ، لاشىء نده ، ولا شىء ضده ؛ أى لايوجد من يخالفه أو يخاصمه ، ولا شريك له فى ملكه أو ملكوته ، لا هو بجسم أو جسمانى ؛ ولا هو بعرض تكون به حاجة إلى شىء لكى يوجد ، ولا هو بجوهر ، (ص ٢٨٧) وليس محلا للحوادث ، فلا يستطيع حادث أو حادثة أن يحل به ، ولن تستطيع ولا يمكن أن تستطيع ؛ وهو العالم بكل ما كان ، وماهو كائن ، وما لم يكن بعد ؛ فمادام خالقه ؛ فكيف يكون بدونه .	شىء لا كالأشياء ، وأنه لاشبه له من خلقه ، ولا ضد له فى ملكه ، ولا نده له فى صنعه ؛ ولا هو جسم ولاعرض ولاجوهر ، وليس بمحل الحوادث ولا الحوادث محل له ، ولا حال فى الأشياء ، ولا الأشياء حالة فيه ، ولا يتجلى فى شىء ؛ ولا استتر بالحدث ، وأنه العالم بما كان وبما يكون وبما لايكون لو كان كيف يكون .
	ويعتقد أنه كان ولاشىء معه ، وأنه عالم ، لا معلم ، وقادر

مترجم من الفارسية	عربي الأصل
وينبغي أن يعتقد أنه كان ولم يكن معه شيء قط ، وأنه عالم ولم يكن ثم معلوم قط ، أى أنه كان يعلم الأشياء قبل أن يخلق هذه الأشياء ، وأنه قادر ولم يكن ثم مقدور ، أى أنه قادر على مايريد ، وإن لم يكن ثم شيء ، وأنه الرائي وإن لم يكن ثم مرئي ، أى شيء لايمكن رؤيته . وأنه الرازق ولا مرزوق أى أنه مقسم الأرزاق . وإن لم يكن مرزوق ، وخالق ولا مخلوق . أى أنه الخالق وإن لم يوجد المخلوق بعد . أى أنه يستطيع أن يخلق وإن لم يخلق .	ولا مقدور ، وراء ولا مرئي ، ورازق ولا مرزوق ، وخالق ولا مخلوق .

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
والعلم غير الرؤية . وأنه يرى (ص ٣٨٨) الأشياء موجودة ويعلمها معدومة والمعدوم ليس بمرئي ولا هو شيء .	مثله .
والصفة لاهي الموصوف بل هو معنى في الموصوف قائم بالموصوف .	مثله .
وهو عالم بعلم ، وقادر بقدرة والصفات مأخوذة من السمع ؛ أما ماوصف الله به نفسه ؛ أو وصفه[1] به رسوله ؛ أو أجمع المسلمون على صفته ؛ لاتؤخذ أسماؤه تلقيبا ولا قياسا ؛ والاسم والصفة ليسا مخلوقين . وكلام الله تعالى منه وإليه مسموع ومكتوب ومحفوظ ومتلو ومدروس .	ويعتقد أن الله تعالى عالم بعلم ، أي عالم بكل شيء بعلمه ، لا كذاك العالم لانتفاء الجهل عن ذاته ، وهو قادر بقدرة ، أي قادر على كل شئ بقدرته ، لاكذاك القادر لانتفاء العجز عن ذاته ؛ وأسماؤه وصفاته مأخوذة من السمع ، أي أن أسماءه وصفاته كما بلغتنا عند العبيد من

(١) في النص : أو وصف .

مترجم عن الفارسية	عربى الأصل
الله تبارك وتعالى ، فبعضها قد وصف به نفسه ، أو دعا بها نفسه ، وبعضها الآخر (ص ٢٨٩) قالها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعضها الآخر بإجماع المسلمين ، أى باتفاق أهل الحل والعقد الذين لا تلحق بدينهم أو ديانتهم أدنى شبهة ، مثل الصحابة والتابعين والعلماء الراسخين الذين اتبعهم المجتهدون ولا تقال قياسا ، أى لا تشتق أسماء من صفاته ، فهذا لا يصح ، وأسماؤه وصفاته ليست لمخلوق قط ؛ فكلام الله منه وصفته ؛ وليس محدثا ولا حادثا ، وهو ما يسمع حين القرءاة ، وما يقرأه القراء ، وما كتب	

عربى الأصل	مترجم عن الفارسية
	فى المصاحف وذكر فى القلوب وحفظ .
ويعتقد أنه على عرشه استوى ؛ وأنه ينزل إلى سماء الدنيا عند الأسحار بمعنى الصفة لا بمعنى الانتقال .	ويعتقد أن الله تعالى مستو على العرش ، دون صفة أو كيفية ، وأنه ينزل إلى السماء عند الأسحار : بمعنى الصفة لا بمعنى الانتقال . أى يقترب بصفة الرحمة .
وأنه خلق آدم عليه السلام بيده لا بيد قدرته بل بيد صفته .	ويعتقد أنه خلق آدم بيده لا بيد قدرته ، بل بيد صفته (ص ٢٩٠) أى أن اليد صفة من صفات الله تعالى . كما يليق بعظمته ؛ ولا حاجة إلى التأويل بأن يقال إنها يد قدرته .
وهكذا جميع الأخبار الصحيحة التى رويت فى الصفات يعتقدها إيمانا ؛ وتسليما لا مقايسة ومناقشة .	ويعتقد نفس الاعتقاد فى كل الأخبار الصحيحة ، التى رويت فى باب الصفات لله تعالى ، وينبغى أن يعتنقها

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
	إيمانا وتسليما لا قياسا ومناقشة ، أو جدالا ومباحثة .
ويعتقد أنه تعالى يراه المؤمنون يوم القيامة ، كما يرون القمر ليلة البدر ، لايضامون فى رؤيته من غير إحاطة ولا تحديد إلى حد ، مستقبل أو مستدبر ، أو فوق أو تحت ، أو يمنة أو يسرة .	مثله .
(ص ٢٩١) ويعتقد أنه تعالى فعال لما يريد ، لا ينسب إلى الظلم ، وأنه يحكم فى ملكوته كيف يشاء بلا اعتراض ، ولا مرد لقضائه ولامعقب لحكمه.	مثله .
ويعتقد أنه تعالى يقرب من يشاء بغير سبب ويبعد من يشاء بغير سبب .	مثله .
إرادته فى عباده ماهم فيه ، وبرضاه طاعتهم ، والمعصية ، بمراده لابرضاه .	

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
(ص ٢٩٢) ويعتقد أنه يعطى ويمنع ويذم ويمدح .	ويعتقد أن الله تعالى هو العاطى . يعطى من يشاء مايشاء ، ولايعطى لمن لايشاء وكذا يمدح الله عز وجل ويذم ، أى أن كل من يمدحه ويثنى[1] عليه طيب ومقبول . وكل مايذمه ويقبحه خبيث ومرود .
ويعتقد أن الأفعال لله تعالى لا للخلق ، والاكتساب للخلق والاكتساب خلق الله لاخلق لهم .	ويعتقد أن الأفعال لله والكسب للعبيد ، أى أن كل مايصدر عن العبد من طاعة ومعصية : يخلقها الله تعالى بتمامها ، ولكن صورة الكسب للعبد ، والكسب أيضا مخلوق من الله تعالى . لا من خلق العبد ، فليست للعبد قدرة على خلق شىء قط ، ولا يكون أبدا .

(١) فى النص شنائش ، وصحتها ستائش . المترجم .

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
وأن الأشياء لا تعمل بطبعها ، فلا الماء يروى ، ولا الخبز يشبع ، والنار (ص ٢٩٣) تحرق ، بل يحدث الله تعالى الشبع عند الأكل ، والجوع في غير وقت الأكل ، وهكذا	
الشرب من الشارب ، والرى من الله تعالى ، والقتل من القاتل ، والموت من الله تعالى ؛ لايدركه الوهم ، ولا يحيط به العلم ولا ينعته العقل .	مثله .
هو الواحد الأحد الفرد الصمد [1] له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، له الحكم في الآخرة والأولى ، وله الحمد والشكر والثناء والمجد .	هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، له الحكم في الآخرة والأولى ، وله الحمد والشكر والثناء والمجد [2] . أى أنه الواحد

النص المترجم عن الفارسية	النص العربى
لاشريك له ولا ضريب فى الذات (ص ٢٩٤) والصفات ، وهو ملجأ المحتاجين ؛ أى حيثما كان أو يكون لأحد أو لشىء حاجة فهم محتاجون لحظيرته ، وهو لم يكن محتاجا لشىء أو لأحد ولايكون ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى العظيمة ، له الحكم والأمر فى الدنيا والآخرة ، وهو الجدير بالمجد والعظمة والكبرياء	

فصل

النص المترجم عن الفارسية	النص العربى
ينبغى أن يعتقد العبد أن النبوة والرسالة حق ، وأنها الحجة على الخلق من جن وإنس ، وحجة ناصعة ، قاطعة للعذر ؛ أى لم يبق لشخص قط عذر ـ كأن	ثم يعتقد أن النبوة حق وأنها الحجة على الخلق القاطعة للعذر .

النص العربى

(ص ٢٩٥) وأن نبينامحمدا صلى الله عليه وسلم ، خير الأنبياء والمرسلين ، وخاتم النبوة ، لانبي بعده ، طاعته فرض ، ومخالفته وأمره حتم ، إلا ماقام به دليل ندبه . وأفعاله سنة .

النص المترجم عن الفارسية

يقول : لم أعلم كذا ، أو لم يبلغنى ، ذلك أن الأنبياء قد أتوا ، وبينوا جميعا بين الخلق أحوال الدنيا والاخرة من الخير والشر . ومايـنبغى فعله ومالا ينبغى ، وما ينبغى قوله ، ومالا ينبغى ، وما ينبغى التفكير فيه ومالا ينبغى .

ويعتقد أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهم وخاتم النبوة ، أى لانبي بعده ، وأن الامتثال لأوامره والسير على منهجه حق ؛ وعلى جميع الناس أن يمتثلوا لأوامره ويجتنبوا نواهيه ، فمخالفته كفر ، وكل من يخالفه قولا أو فعلا فهو كافر ، وكل أمر أو قول ، قاله صلى الله عليه وسلم ، فرض ، إلا ما قام عليه الدليل بأنه سنة فهو سنة .

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
ويعتقد أنه ليس كأحدنا فى جميع معانيه ، وأنه قد اطلع على علوم لم يدع الخلق إليها ، وأنه العالم بما كان وما يكون وأخبر عن علم الغيب .	ويعتقد أنه ليس كأحد فى كل المعانى ، بل إن له عدة أشياء لم تكن لأحد من البشر ولن تكون . وقد اطلع على علوم لم يطلع عليها أحد قط . وأنه (ص ٢٩٦) اطلع على ما كان وما سيكون ؛ وأنه أخبر عن علم الغيب . وعلمه الله تعالى إياه .
وأنه رفع فى المعراج لارؤيا ، وأنه رأى ربه عز وجل ، وكلمه وأوصاه وفرض عليه وأباح له . وأنه رأى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ودخل الجنة ورأى النار ، وأنه سأل فأعطى ، وقال فسمع ، وأنه أول شافع ، وأنه أول من يقوم من القبر ، وأنه أول من يدخل الجنة ، وأنه بعثه	

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
الله تعالى إلى الجن والإنس كافة ، وأن شريعته نسخت الشرائع التى قبله ، وأنه بلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وأنه غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . وفرض الله عليه أشياء دون أمته ، وحظر[1] أشياء أباحها على غيره ، وكل ذلك إكراما له صلى الله عليه وعلى آله وعلى صحبه .	مثله . بقية ص ٢٩٦ ، بداية ص ٢٩٧

فصل

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
يعتقد أن الإيمان هو صفة المؤمن ، والتوحيد صفة الموحد ، والمعرفة صفة الموحد ، والمعرفة صفة العارف ، والمحبة صفة المحب ، كما أن الالم صفة العالم ، والقدرة صفة القادر .	مثله .

(١) فى النص : خطر .

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص .	ويعتقد أن الإيمان قول وعمل ونية ، أى أن يقر بلسانه ماينبغى الأقرار به ، وأن الأيمان يزداد ، كما أنه يقبل النقصان.
وأنه نور يقذف فى القلب ، لانور الذات ، والإيمان غير الإسلام ، والتوحيد غير المعرفة ، والمعرفة غير الإيمان .	مثله .
(ص ٢٩٨) ويعتقد أن معرفة الأثبات للصانع ضرورة .	ويعتقد أن معرفة الصانع ضرورة ، أى أن المرء لايستطيع أن يعرف الصانع الخالق ، دون أن ينتبه ، ويعمل فكره ، ويتدبر ويتفكر .
ومعرفة الصفات مكتسبة ، ومعرفة التخصيص موهبة ، وأصل الإيمان موهبة وشرائطه مكتسبة .	ومعرفة صفات الله تعالى مكتسبة ، أى أن الله نعالى يعرفها للعبد بجهده وكسبه ، ومعرفة التخصيص موهبة ،أى أنها المعرفة الخاصة التى قلنا أنها غير الايمان .

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
	وتكون للأولياء من عطاء الله ولكن شرائطها مكتسبة .
ويعتقد أن الإيمان والتوحيد والمعرفة ظاهر وحقيقة ، وأنه تعالى دعا الخلق إلى ظاهرها وهدى من شاء لحقيقتها .	ويعتقد أن للأيمان والتوحيد ، والمعرفة ظاهرا وباطنا وحقيقة... إلى آخره .
وكل مؤمن مسلم ، ولا كل مسلم مؤمن .	
ويعتقد أن الأستطاعة مع الفعل .	ويعتقد أن الاستطاعة والقدرة مع الفعل . أى حينما (ص ٢٩٩ أ) يشتغل العبد به ويفعله ، يهبه الله القدرة . وأنه يخلق هذا الفعل أيضا ، ذلك أن القدرة له قبل أن ينشغل العبد به .
وأن نعيم أهل الجنة باق مع بقاء الله تعالى ، وعذاب أهل الكفر باق مع بقاء الله تعالى .	مثله .

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
والمؤمنين يخرجون من النار ، والكبائر لاتخلد فاعلها فى النار . ويعتقد أن الله تعالى لايجبر عباده على معصيته .	مثله .
وأنه لايدخل الجنة أحد بعمله ، إلا بفضله ورحمته ومنه .	مثله .
ويعتقد أن الجنة حق ، والنار حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، والميزان حق ، والصراط حق ، وعذاب القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق .	مثله .
(ص ٣٠٠) ويعتقد أن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر ، ثم عثمان ، ثم على ، رضوان الله عليهم أجمعين .	مثله .
ويعتقد أن خير القرون ما بعث فيه النبى عليه الصلاة والسلام ،	مثله .

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
ثم الصحابة ، ثم التابعون ، ثم الأفضل بالأعمال ؛ ومن رأينا له فضلا شهدنا له به .	
ويعتقد أن من شهد الشهادتين ، وصلى إلى القبلة ، وآتى الزكاة وصام شهر رمضان ، وحج البيت لم نشهد له بالجنة ولا بالنار ، ولا نشهد عليه بالكفر إلا على معنى من معانى الكفر ، ووجه من وجوهه ، مثل قول الله تعالى : « وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ »[1] .	مثله .
فمن لم يحجج فليس بكافر ؛ ويصلى خلف (ص ٣٠١) كل بر وفاجر ، ويطيع الوالى ولو كان عبدا حبشيا .	زيادة هنا إلا أن يأمر بكفر أو معصية .

(١) آل عمران : ١٩٧

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
ويعتقد أن أخبار الآحاد ، توجب العمل ، ولا توجب العلم وأخبار التواتر ، توجب العلم والعمل .	مثله .
	وأخبار الآحاد ، هى التى رويت عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يصل رواتها إلى حد يوجب الجزم والقطع على صدقها ، والأخبار المتواترة ، هى التى وصل فيها الرواة فى كل طبقة إلى حد يحصل به الجزم والقطع ، ويتعين أن هذا الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
(ص ٣٠٢) والعقل لايحسن ولا يقبح والشرع حاكم على العقل ، والناس على العدالة حتى يظهر الجرح .	مثله .

النص العربى	المترجم عن الفارسية
والأَشياء على الأباحة حتى يقوم دليل الحظر وأموال المسلمين وذبائحهم حلال إلا ما روينا فيه التحريم .	مثله .

فصل

النص العربى	المترجم عن الفارسية
ونذكر فى الفصل الرابع ما تختص به هذه الطبقة أعنى الصوفية دون غيرهم .	
ويعتقد أن الفقر أفضل من الغنى ، والزهد فى الكلية أفضل منه فى البعض .	مثله .
(ص ٣٠٣) والوصول إلى الحق من غير طريق العبادة محال ، والرؤية فى دار الدنيا محال .	
والنبوة أجل من الولاية . ولا يبلغ إلى درجة النبوة بالعمل .	

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
والمعجزة للأنبياء والكرامة للأولياء ، والفراسة كسب ، والمحدث والمكلم غير صاحب الفراسة ، والحرية من رق العبودية باطلة . ومن رق النفوسية جائزة ، والعبودية لاتسقط بحال والصفات من العارفين تفنى ومن المريدين تخمد ، والرجوع بعد الوصول جائز .	والحرية من العبودية باطلة أى إذا تصور امرؤ أن العبد يجوز له فى حياته أن يتحرر من قيد العبودية ، وأن تسقط عنه التكاليف الشرعية فهو على باطل[٣] ، ولكن التحرر جائز من رق النفوسية . أى يجوز للعبد أن يتحرر العبد من قيد نفسه وغلها ، والرق والعبودية لا يسقطان من العبد بحال ، ولا يسقط عنه (ص ٣٠٤) اسم العبودية ، والصفات عن العارفين[٦] فانية ، ويجوز أن تسكن وتخمد عن المريدين ، ويجوز عليه أن يرجع بعد الوصول ، أى يمكن أن يكون فى مقام القرب ، ويرد ثانية .
ويعتقد أن العبد ينقل فى الأحوال حتى يصير إلى نعت الروحانية ، فيعل الغيب وتطوى	مثله .

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
له الأرض ويمشى على الماء ، ويغيب عن الأبصار .	مثله .
والسكر للمريدين حق ، وللعارفين باطل ، وغلبات الحق على سائر الخلق جائز ، والأحوال للمتوسطين والمقامات للعارفين ، والشدة للمريدين ، والصحو أفضل من السكر ،	مثله .
والآماد أفضل من الاصطلام	لم تترجم فى النص الفارسى .
ودخول العارف فى الأشياء غير قادح فى حاله ، وإذا صح التوكل لم يضر الادخار.	مثله .
(ص ٣٠٥) ويعتقد أن	مثله .
عصيان الأنبياء سبب لقربتهم ، وفوائد لأمتهم ،	مثله .
ولا يسمون عصاة لعصيانهم ، بل نقول عصى آدم ، ولا نقول هو عاص .	زيادة : لقوله تعالى «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»[1]

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
ويعتقد أن التصوف ليس	مثله .
بعلم ، ولا عمل ، بل هو صفة	زيادة بعد الصوفى : وهو موهبة
يتحلى بها ذات الصوفى ، وله	الهبة .
علم وعمل ، وهو ميزان العلم	
والعمل ، والتصوف غير الفقر ،	
والتقوى غير التصوف ، وليس	مثله .
للفقير أن يتصرف فى الأسباب ،	مثله .
وللصوفى التصرف ، والأحوال	مثله .
لانهاية لها ولكل حال نهاية فى	مثله .
الحال ، والمعرفة والإيمان والتوحيد	مثله .
ليس بأحوال ، والوجود ليس	
بحال ، وهو مصحوب العبد	
فى الأحوال ، ومعرفة المعترفين	
غير معرفة المعرفين ، (ص ٣٠٦)	مثله .
والسماع للعارفين جايز ، وللمريدين	
باطل ، وليس هو بحال ولا قربة	
وتركه أولى على الجملة لكثرة	زائد بعد قربه : يوجب الثواب
٣ . . اته وعظم فتنته	

النص العربى	النص المترجم عن الفارسية
ويعتقد أن جميع ما يجده	مثله .
الواجد فهو واجد لاغير ، والحق	مثله .
من وراء ذلك ؛ ومن سمع	مثله .
بالله كفر ؛ ومن سمع بمخلوق	
بمعنى النفوسية فسق .	
ويعتقد أن الواجد المحقق	بعد محفوظ زائد : أى من الكفر والفسوق .
محفوظ . وأهل الغلبات يجرى	مثله .
عليهم ما يفوتهم به الواجبات .	مثله .
فإن أقاموا عادوا وإن مضوا فى	
سكوتهم عذروا ؛ والشيطان لا يعلم	مثله .
ما فى قلب العبد . وليس له	مثله .
الوسوسة فى شيء . (ص ٣٠٧)	
ويعتقد أن النفس غير الروح .	مثله .
والروح غير الحياة ؛ والروح	مثله .
يفارق الجسد إذا نام . والحياة	مثله .
لاتفارق الجسد إلا اذا مات	مثله .

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
وهذا كله ما حضر الوقت وفيه مقنع لك إن شاءَ الله تعالى وليكن[1] بعد ذلك	غير موجودة فى الترجمة الفارسية .
اعتقادك فى الناس الخير والنصح والأَمانة ،	مثله .
واحذر فيهم الغدر والخيانة فهى طباعهم .	مثله .
واعتقد فى نفسك السوء والعداوة ،	مثله .
وفى الشيطان العدوان والمخالفة ، حتى تنجوا منهما .	مثله .
(ص٣٠٨) واعتقد فى مولاك الفضل والمنة ،	مثله .
وحسن الظن والرجا آخر عهدك بالآخرة ،	مثله .
فهو لايخيب رجاءَك ولا يقطع أملك .	مثله .
وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم .	زيادة : ظاهرا وباطنا وسلم تسليما كثيرا دائما .

(١) فى النص : ولكن

(ص ٣٠٩)

الباب الثالث عشر

فى وفاة الشيخ

فصل (١)

ارتدى الأسمال عشرين سنة ، وكان كل عام يواصل أربعين يوماً ، وفى ذلك اليوم الذى مات فيه ، كان قد واصل أربعين أربعيناً ، ومات فى الأربعين الأخيرة ولم يخلع عن نفسه الأسمال[١]

فصـــل (٢)

روى أنه حين دنت منيته قال لخادمه : لقد كنت عبدا عاصياً آبقاً ، فضع غلا حول عنقى وقيدا على قدمى ، وتوجه إلى القبلة وضعنى لعله يقبلنى ، وبعد وفاته بدأ الخادم فى تنفيذ وصية شيخه ، فنودى : إحذر ياغافل لاتفعل ، تريد أن تذل من أعززناه[٢] .

فصل (٣)

الأتابك زنكى بن مودود . . . . . جددعمارة مزار سلطان الأولياء الشيخ أبى عبد الله بن خفيف قدس الله سره ، وأوقف عليه أوقافاً معينه[٣] :

---

(١) باللغة الفارسية ، تذكرة ٢/١٢٥ ، وكشف ٤١٧ . (٢) باللغة الفارسية : تذكرة ٢/١٣١ . (٣) باللغة الفارسية : تاريخ كزيدة : ص٥٠٥ ، نزهة القلوب ١٦٦ .

فصـــل (٤)

أبو بكر سعد بن زنكى . . . . أوقف أوقافاً على ماحول مزار الشيخ الكبير أبى عبد الله بن خفيف[١] .

(ص ٣١٠)

فصـــل (٥)

شيراز : ومن المشاهد بها مشهد الإمام ، القطب الولى أبى عبد الله بن خفيف المعروف عندهم بالشيخ ، وهو قدوة بلاد فارس كلها ، ومشهده معظم عندهم يأتون إليه بكرة وعشياً ، فيتمسحون به ، وقد رأيت القاضى مجد الدين أتاه زائرا واستلمه ، وتأتى الخاتون إلى هذا المسجد فى كل ليلة جمعة ، وعليه زاوية ومدرسة ، ويجتمع به القضاة والفقهاء ، ويفعلون به كفعلهم فى مشهد الإمام أحمد بن موسى ، وقد حضرت الموضعين جميعا ، وتربة الأمير محمدشاه ينجو[٢] والد السلطان أبى إسحق متصلة بهذه التربة[٣]

فصـــل (٦)

بقاع شيراز : زاوية الشيخ الكبير أبى عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى ،وقدذكرت سيرة هذا الشيخ الكبير فى مقدمة ذكر شعراء شيراز .

وكان لهذا الشيخ الجليل فى حياته زاوية عظيمة ، يتردد عليها عظماء الرجال من قريب وبعيد ، وبعد وفاة الشيخ الجليل ، أضاف العظماء الكثير إليها ،وأوقفوا عليها الأملاك ، وأخذوا يفدون إليها جماعات من المدن البعيدة ، للعبادة وتزكية النفس ، ولقضاء بعض الأوقات

---

(١) [illegible] (٢) [illegible] (٣) ابن بطوطة ٢٠ / [illegible]

بفراغ بال[1] ، ومنذ بداية عهد سلاطين الصفوية أهملت الزاوية ، وجاء كريمخان زند ، فسوى صحن الزاوية والرباط والجبانة حولها ، وحولها إلى ميدان واسع ، وفى جوانب هذا الميدان بنى عدة حجرات مساكن لتلامذة الديوان ، وبنى على قبر الشيخ مقصورة صغيرة ، وهذه المقصورة بجوار الناحية الشرقية للميدان ويسمى هذا الميدان الآن بميدان (بعمل بندان) وهو متصل بسوق الوكيل[2]

---

(١) فى النص : مال وصححتها بال .

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة